دراسات في تاريخ
اليهودية والمسيحية في كوردستان
د. فرست مرعي

دراسات في تاريخ

اليهودية والمسيحية في كوردستان

دار ئاراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - شارع گولان - أربيل - كُردستان العراق

دراسات في تاريخ

اليهودية والمسيحية في كوردستان

تأليف:

د. فَرسَت مرعي

اسم الكتاب: دراسات في تاريخ اليهودية والمسيحية في كوردستان
تأليف: د. فَرسَت مرعي
من منشورات ئاراس، رقم: ٧٨٧
التنقيح: أوميد احمد البناء
الإخراج الفني: كارزان عبدالحميد
الغلاف: مريم موتِقيان
الطبعة الأولى – ٢٠٠٨
رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة في إقليم كردستان: ٢٠٠٨/١٦٨٥

مقدمة

مما لا شك ان غالبية سكان كوردستان من المسلمين، ولكن هذا لا ينفي وجود طوائف اخرى تعيش على هذه البقعة من الارض من يهود مسيحيين وايزيديين وغيرهم.

وإذا ما اردنا ان نعرف كيفية وصول اليهودية والمسيحية الى كوردستان، فلا بد من تتبع تاريخي لكيفية وصول عقائد هاتين الديانتين الى ديار الكورد، ولا يكون ذلك إلاّ من خلال البحث وتقصي الحقائق التاريخية من مصادر ومراجع الديانتين خاصة ومصادر اخرى عامة.

دار الكتاب الذي نحن بصدد تأليفه عبارة عن مجموعة من البحوث والدراسات والمقالات التي تلقي مزيداً من الضوء على هذا التأصيل التاريخي، فضلاً عن علاقتهم مع المسلمين في كوردستان خلال حقب طويلة من الزمن، وما تخلل هذه العلاقات من عوامل الشدّ والجذب والتسامح والصراع كنتيجة طبيعية لتعايش مشترك تمليه ضرورات الحياة المختلفة.

وبخصوص اطلاق تسمية المسيحية او النصرانية، فقد واجه الباحث إشكالا في تحديد احد المصطلحين في هذا البحث، فالتحليل اللغوي لكلمة المسيحية يدل على الدين الذي جاء به عيسى (عليه السلام) ترجع في نسبتها الى المسيح، والمسيح كما في المعاجم اللغوية فعيل بمعنى مفعول يعني الممسوح بدهن البركة، وهذا اشهر الاقوال فيه، وفي تحليل هذه الكلمة وتعليلها اقوال كثيرة ليس هنا مجال لسردها، كما انه ليس من المنطق ان نرجع في إشتقاق الكلمة الى اللغة العربية وحدها فأن الكلمة في جذورها عبرية او سريانية او على ابعد التقديرات ذات اصل مشترك بين العبرية التي ظهرت فيها في لفظة (مشيحا) والعربية التي ظهرت فيها لفظة (المسيح).

وإذا ما تجاوزنا التحليلات اللغوية او الشروح المختلفة لكلمة (مسيح) في تفاسير القرآن الكريم، فاننا لا نجد اثراً لتسمية المسلمين لأتباع عيسى بـ(المسيحيين) او لديانته بـ (المسيحية) بل ظلت التسمية الثابتة لهم في جميع كتب التراث الاسلامي (النصارى) ودينهم هو (النصرانية) لا غير، وغني عن القول ان الحال كذلك في القرآن الكريم وفي نصوص السنة النبويّة.

ويستطيع الباحث ان يقول من غير تردد ان مفردات المسلمين كانت حتى مطلع العصر الحديث لا تعرف كلمة (مسيحية) ولا كلمة (مسيحيين) سواء كان ذلك في كتب التاريخ ام العقائد او كتب الملل والنحل او الفرق او الاديان او غير ذلك من العلوم وانما غلب النصارى المسلمين في العصر الحديث، وبالتحديد بعد الخضوع للاستعمار في تثبيت مصطلح (مسيحية) في اذهان المسلمين بدلاً من (نصرانية) وفي تثبيت مصطلح (مسيحيين) بدلاً من نصارى.

ولكن على أية حال فأن التسميتين تردان في ثنايا الكتاب وان كانت الغلبة للمسيحية والمسيحيين، حيث اصبحت هذه الكلمة شائعة ولا مشاحة في الاصطلاح.

وختاما أرجو من الباري عز وجل ان يسدد خطاي لما فيه الخير، والله من وراء القصد.

دهوك

٢٠٠٨/٢/١

القسم الأول

إنتشار اليهوديه فى كوردستان

في العصور القديمة، كانت الديانة اليهودية ديانة توحيد في محيط وثني، وكانت تكتسب هويتها من هذا التمايز الواضح والبسيط. أما في العصور الوسطى الغربية وفي العالم الإسلامي، فقد اختلف الأمر تماماً، إذ وجدت اليهودية نفسها في محيط توحيدي إسلامي أو شبه توحيدي مسيحي أدى إلى انطماس معالمها. ولذلك حاول علماء اليهود أن يخلقوا فجوة بين اليهود وأعضاء الديانات السماوية الأخرى.

وكان كتابهم المثير للجدل (التلمود) هو ثمرة تلك المحاولة. خلال هذه الفترة ظهر تعريف الشريعة (هالاخاه) للهوية اليهودية، فعرف اليهودي بأنه من ولد لأم يهودية أو من تهوّد(١).

وقد ساد هذا التعريف منذ ظهور اليهودية الحاخامية مع بدايات العصور الوسطى وإلى بداية القرن التاسع عشر، وهو تعريف ديني إثني (عرقي) حيث أدى إلى ظهور إشكالية أساسية تعلق بالجانب القومي أو العرقي، حيث يتضمن أن من يولد لأم يهودية يظل يهودياً حتى ولم لو لم يمارس تعاليم الدين اليهودي، فهو يهودي بالمعنى العرقي.

أما اليهودي المتهوّد، فكان عليه أن يقوم بتنفيذ جميع الأوامر والنواهي، أي بعبارة أخرى يجب أن يكون يهودياً بالمعنى الديني. لكن هذه الإشكالية كانت هي الأخرى في حالة كمون لأن عدد الذين يتهوّدون أي يدخلون إلى اليهودية كان قليلاً إلى حدٍ كبير، فضلاً أن الترابط كان من المتانة بحيث أن أي يهودي يترك دينه كان عليه أن يتبنى ديناً آخر ويندمج في المجتمع الخارجي وينصهر فيه تماماً، الأمر الذي يحل الإشكالية.

وكان الفيلسوف الهولندي (اسبينوزا) أول يهودي يترك الدين اليهودي ولا يتبنى ديناً آخر، أي إنه كان أول يهودي إثني علماني(٢).

أما التعريف الصهيوني اليهودي فهو إعتبار اليهودي كعنصر عرقي متميز. فهم

---

(١) د. عبد الوهاب المسيري: من هو اليهودي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠٠، ص٣١.

(٢) د. عبد الوهاب المسيري: من هو اليهودي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠٠، ص٣١-٣٢.

يتحدثون عن (الجنس اليهودي) وعن اليهود بإعتبارهم جنساً متميزاً، وقد عرّف كثير من الزعماء الصهاينة، اليهودية: بأنها (مسألة تتعلق بالدم) وتأسيساً على ما تقدم يرى مفكرو الصهيونية اليهودية بأن التزاوج بالأجانب سيؤدي إلى تدهور العرق اليهودي وأنه لا بد من تأسيس وطن قومي ودولة مستقلة يعبر فيها عن عبقريته، ولكن تم التخلي عن هذا التعريف بسبب لا علمية النظريات العرقية وعدم القبولية في الغرب خصوصاً بعد أن استطاع الزعيم الألماني هتلر عن طريق هذه النظريات إقامة جينوسايدات لليهود في ألمانيا وغيرها من الدول الأوربية التي وقعت تحت سيطرته.

لذا رأى فريق من الصهاينة أن اليهود جماعة مترابطة ذات تاريخ مشترك منفصل ومحدد، وأن ثمة روابط تراثية (وليست عرقية) فريدة بقيت على مدى قرابة أربعة آلاف سنة بين اليهود.

كما أن أصحاب الاتجاه الديني عرّفوا اليهودي على أساس أن هوية اليهود القومية مصدرها الدين، إذ لا يمكن التفرقة بين القومية اليهودية والعقيدة اليهودية(١).

ومن جانب آخر فإن الدراسات والأبحاث المتعلقة باليهود الكرد قليلة، والدراسات التي ظهرت الى عالم الوجود تتعلق غالبيتها بالدراسات الوصفية والسياسية والاجتماعية(٢)، ماعدا الدراسة الاثنولوجية القيمة التي قام بها الباحث اليهودي الالماني اريك براور واكمله الباحث الانثروبولوجي اليهودي الاخر رافائيل باتاي حول يهود كوردستان والصادرة عن دار ئاراس(٣).

دراسة براور ومن بعده اضافات رافائيل باتاي لم تتطرق في حقيقة الأمر الى كيفية إنتقال اليهود الاسرى من فلسطين الى كوردستان على يد الآشوريين، وانما كان جلّ اعتمادها في المجال التاريخي على دراسات الرحالة اليهود الذين جابوا كوردستان طولاً

---

(١) عبد الوهاب المسيري: من هو اليهودي، ص٦٤-٦٥.

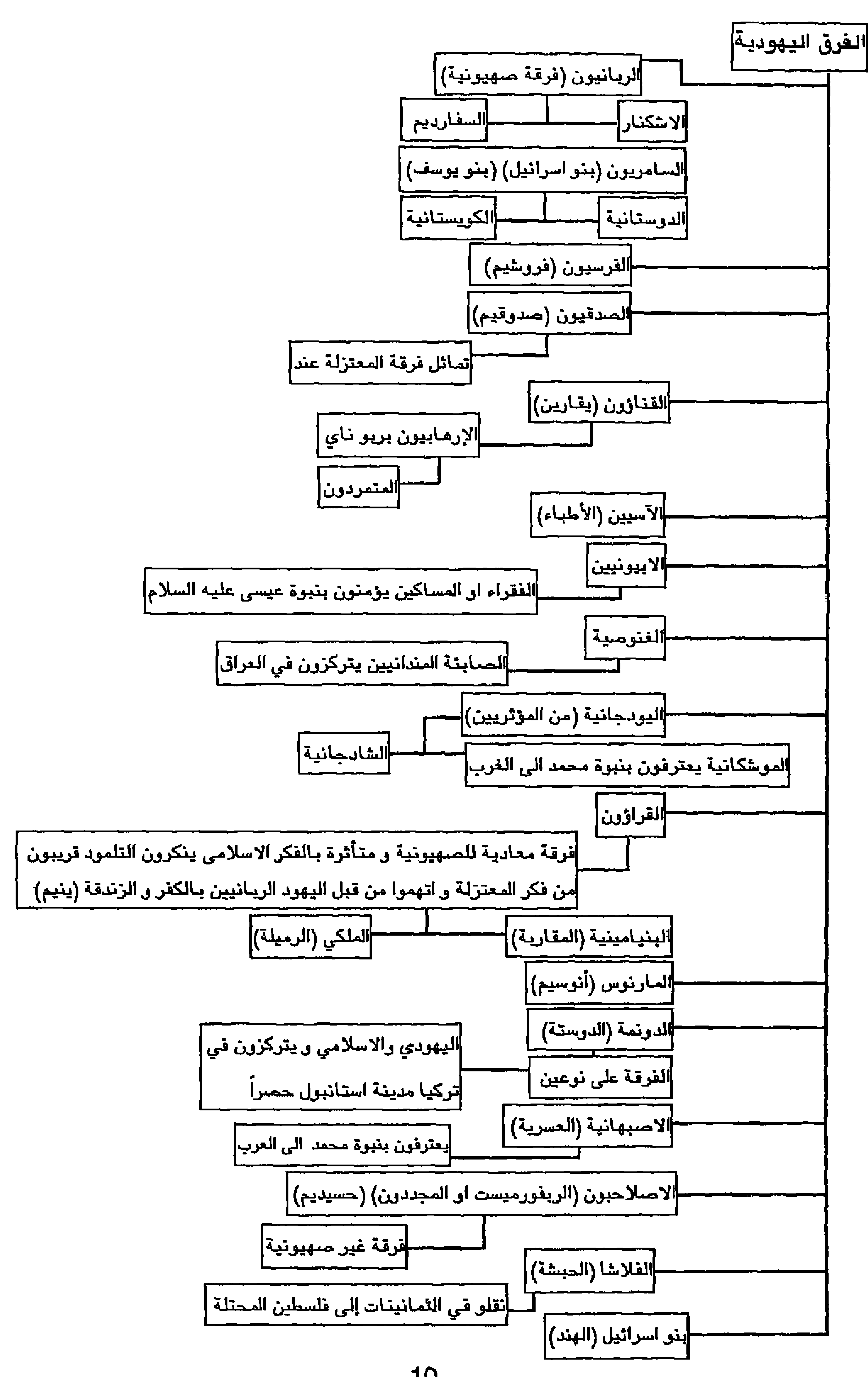
(٢) غنيمة، يوسف رزق الله: نزهة المشتاق في تاريخ العراق، مع ملحق بتاريخ يهود العراق في القرن العشرين، بقلم مير بصري، دار الوراق لندن، ١٩٩٧؛ معروف، خلدون ناجي: الأقلية اليهودية في العراق بين سنة ١٩٢١ - ١٩٥٢، جزءان، مركز الدراسات الفلسطينية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد الطبعة الأولى، ١٩٧٥؛ كورية، يعقوب يوسف: يهود العراق تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم، الدار الأهلية للطباعة الأدرن، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

(٣) نقلها إلى العربية شاخوان كركوكي وعبد الرزاق بوتاني، أربيل الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

وعرضاً وكان همهم الأكبر البحث عن الأسباط اليهودية العشرة (الأسطورية) المفقودة، لذا بدأ بحثه ابتداءً من القرن الثاني عشر الميلادي عندما قام بنيامين بن بونة التطيلي الأندلسي برحلته الى كوردستان سنة ١١٧١م[1]، لذلك فان اكثر من ١٥٠٠ سنة من تاريخ اليهود الكورد مازالت غامضة وبحاجة الى أبحاث ودراسات معمقة تزيل الغموض عن هذا التاريخ الطويل. ولا أظن أن دائرة المعارف اليهودية استطاعت ان تميط اللثام عن هذا التاريخ المجهول الى حد كبير.

---

(١) رحلة بنيامين: ترجمها عن الاصل العربي وعلق حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد مصدرة بمقدمة للمؤرخ الكبير الاستاذ عباس العزاوي، بغداد الطبعة الاولى ١٣٦٤هـ- ١٩٤٥م.



الفرق اليهودية
الربانيون (فرقة صهيونية)
الاشكنار
السفارديم
السامريون (بنو اسرائيل) (بنو يوسف)
الدوستانية
الكويستانية
الفرسيون (فروشيم)
الصدقيون (صدوقيم)
تماثل فرقة المعتزلة عند
القناؤون (يقارين)
الإرهابيون بربو ناي
المتمردون
الآسيين (الأطباء)
الابيونيين
الفقراء او المساكين يؤمنون بنبوة عيسى عليه السلام
الغنوصية
الصابئة المندائيين يتركزون في العراق
اليودجانية (من المؤثريين)
الموشكانية يعترفون بنبوة محمد الى الغرب
الشادجانية
القراؤون
فرقة معادية للصهيونية و متأثرة بالفكر الاسلامى ينكرون التلمود قريبون
من فكر المعتزلة و اتهموا من قبل اليهود الربانيين بالكفر و الزندقة (ينيم)
البنيامينية (المقارية)
الملكي (الرميلة)
المارنوس (أنوسيم)
الدونمة (الدوستة)
الفرقة على نوعين
اليهودي والاسلامي و يتركزون في
تركيا مدينة استانبول حصراً
الاصبهانية (العسرية)
يعترفون بنبوة محمد الى العرب
الاصلاحيون (الريفورميست او المجددون) (حسيديم)
فرقة غير صهيونية
الفلاشا (الحبشة)
نقلو في الثمانينات إلى فلسطين المحتلة
بنو اسرائيل (الهند)

يهـــود كوردســـتان مـــن
السبي إلى الهجرة

قبل التحدث عن كيفية انتشار اليهودية كديانة سماوية في المنطقة الكوردية، لابد لنا من ان نعرف اليهودي اولاً ثم اليهودي الكوردي، فاليهودي من ولد لأم يهودية او من تهود[١].

اما اليهودي الكوردي فهو كل «من يقطن منطقة يشغلها الكورد ويتكلم الارامية (التارطوم) ولكن ينبغي ان نضيف الى ارضنا هذه بعض المناطق المتفرقة حيث يتحدث اليهود العربية بصورة رئيسية في مدينة نصيبيين مثلاً».

لقد جاءَ اليهود الى كوردستان في موجات عديدة لا شك ان اولها كانت في سنة ٧٣٢ق.م عندما قام الاشوريون بقيادة ملكهم تجلات بلاصر الثالث (٧٤٥- ٧٢٧ق.م) بإسقاط دمشق عام ٧٣٢ ق.م ومن ثم غزو اسرائيل (المملكة الشمالية) حيث سيطروا على اراضي الجليل (شمال فلسطين) وشرق الاردن وتم سبي قبائل نفتالي[٢] وسكان المدن شرق الاردن الى المنطقة الواقعة تحت سيطرة الدولة الآشورية (كوردستان تركيا حالياً)، ولم يبق من مملكة اسرائيل سوى المنطقة المحيطة بالعاصمة السامرة فقط.[٣]

وهناك مسلة آشورية نقشت عليها حملة الملك تجلات بلاصر الثالث على بلاد آرام (سوريا) واسرائيل جاء فيها: قمت بضم جميع بيت عمري في حملاتي السابقة، ولم اترك سوى مدينة السامرة... واخذت نفتالي (احد الاسباط الاثني عشر) وضممتها الى اشور، وعهدت الى رجالي بأن يكونوا حكاماً عليها، وجميع سكان ارض عمرى وممتلكاتهم حملت الى اشور»[٤].

---

(١) المسيري، عبد الوهاب: من هو اليهودي، القاهرة دار الشروق الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، ص ٣١.

(٢) نفتالي: احدى الاسباط الاثني عشر ينتمون الى نفتالي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (عليهم السلام)، وهذا السبط استقر في منطقة الجليل الشرقي بما في ذلك بحيرة طبرية بناءً على توجيهات خليفة موسى (عليه السلام) يوشع بن نون، بذلك يكون اول سبط استقر في منطقة الحوريين التي سميت فيما بعد بلاد كوردوئيني- كوردستان.

(٣) العهد القديم- الملوك الثاني ١٥:٢٩؛ اخبار اليوم الاول ٥:٢٦.

(٤) سوسة، احمد: العرب واليهود في التاريخ، ص ٣٠٥- ٣٠٦.

وعندما خلف شلمانصر الخامس (٧٢٧- ٧٢٢ق.م) تجلات بيلاصر في حكم مملكة اشور، انتهز الملك الاسرائيل هوشع بن ايلاه (٧٣٢- ٧٢٣ق.م) الفرصة ورفض دفع الجزية لآشور، وبدأ في اجراء إتصالات مع الفرعون المصري (سوا sau)، فما كان من الملك الآشوري شلمانصر إلاّ ان تحرك على رأس جيشه وحاصر العاصمة السامرة عام ٧٢٤ق.م، مما اضطر هوشع لدفع الجزية. ويبدو ان شلمانصر الخامس تغاضى عن اسقاط العاصمة السامرة لكي يوفر جهده لمحاربة صور، ولكنه على اية حال عندما علم بالاتصالات السرية بين إسرائيل ومصر القى القبض على هوشع وأودعه السجن، وفي رواية اخرى أن هوشع أسر اثناء الحصار.(١)

ونتيجة لعدم إيفاء المملكة الاسرائيلية بوعودها تجاه الآشوريين ومساندتها لهم لضم مدينة صور، فقد بدأ الاشوريون من جديد بمحاصرة السامرة وصور في عهد ملكهم الجديد سرجون الثاني (٧٢٢- ٧٠٥ق.م) الذي خلف شلمانصر الخامس في عرش اشور. وفي السنة الاولى لحكم سرجون سقطت العاصمة السامرة حيث نسب هذا الفضل اليه، بينما يعزو العهد القديم النصر الحقيقي لشلمانصر الخامس.(٢)

وعلى أية حال فإن الآشوريين القادمين من نينوى هم الذين أسقطوا العاصمة الاسرائيلية السامرة، وبدأوا في عملية تهديد المملكة الثانية (يهودا- المملكة الجنوبية) وتحديداً عاصمتها اورشليم- القدس التي كانت تقع على مسافة حوالي ثلاثين كيلومتراً من الحدود الجنوبية لمملكة اسرائيل.

وقد اتبع الاشوريون اسلوبهم القديم فقاموا بنقل اعداد كبيرة من المهنيين اليهود الى مناطق بعيدة داخل امبراطوريتهم الى حلج والخابور والى مدن اقليم ميديا (كوردستان الجنوبية والشرقية).

وقد تحدثت الحوليات الآشورية بإسهاب عن عملية نقل سكان المملكة الاسرائيلية الى داخل اراضي الامبراطورية الاشورية، حيث جاء في نص عائد للملك سرجون الثاني خلال السنة الاولى من حكمه ما يلي: "في بداية حكم الملك انا... بلد السامريين حاصرتها وفتحتها... لأجل الإله... الذي جعلني أحرز النصر... وقد نفيت ٢٧٢٩٠ شخصاً من سكانها

---

(١) عبد الحليم، كمال وزميله: اليهود في العالم القديم، دمشق- بيروت دار القلم، ١٤١٦هـ- ١٩٨٥م، ص ١٤٨ نقلاً عن شموئيل بابين: تاريخ اسرائيل، ص٢٤٩.

(٢) العهد القديم: المصدر نفسه.

وجهّزت من بينهم جنوداً ليقودوا خمسين عربة لأجل حرسي الملكي...".

وبعد سقوط الدولة الآشورية عام ٦١٢ق.م على يد التحالف الكلداني– الميدي، فإن الدولة الكلدانية– البابلية قامت بشن هجمات عديدة على المملكة الجنوبية (يهودا) لأسباب عديدة، منها عدم التزامها بعهودها، فضلاً عن التدخل المصري في شؤونها، مما حدا بالملك البابلي نبوخذ نصر الى اسقاطها نهائياً عام ٥٨٦ق.م واحتلال عاصمتها اورشليم وتدمير هيكل سليمان (المسجد الاقصى)، وتم جلب آلاف اليهود كأسرى فيما عرف بالسبي البابلي.

بخصوص اليهود الذين تم جلبهم الى مناطق كوردستان، فقد اختفت اخبارهم، لذا سماهم الباحثين بالاسباط المفقودة The Lost Tribes، والثابت في التقاليد اليهودية ان هؤلاء هم الاسباط العشرة من مجموع الاثني عشر سبطاً وهم:

ت	الاسباط الاثني عشر	الاسباط العشرة في كوردستان (اسرى السبي الاشوري)	الاسباط الاثنان في بابل (اسرى السبي البابلي)	الملاحظات
١	نفتالي	نفتالي	بنيامين	
٢	شمعون	شمعون	يهودا	
٣	لاوي	لاوي		
٤	يساكر	يساكر		
٥	زبولون	زبولون		
٦	دان	دان		
٧	رآوبين	رآوبين		
٨	جاد	جاد		
٩	أشير	أشير		
١٠	يوسف	يوسف		
١١	بنيامين			
١٢	يهودا			

إمارة حدياب (اديابين)

اليهودية في كوردستان

بعد أن سيطر الفرثيون (الاشغان- ملوك الطوائف) على مقاليد الأمور في إيران والعراق وكوردستان في سنة ١٢٦ ق.م وازاحتهم للسلوقيين خلفاء الاسكندر المقدوني، تأسست في نفس المنطقة التي سبي اليها اليهود في العهد الآشوري إمارة واسعة مزدهرة تدعى إمارة حدياب- اديابين Adiabene و بالعربية حزة، انحدر ملوكها من اسرة من قبائل السكس (الاسكيث) التي استكردت بمرور الزمن بجانب القبائل الميدية(١). وقد امتد نفوذ هذه الامارة من منطقة اذربيجان وشرقي دجلة الى منطقة نصيبين.

وكان ملك هذه الامارة مونوبازوس (موناباز) قد تزوج شقيقته الملكة هيلانة (توفيت سنة ٥٠م) حسب العقائد الوثنية بإعتبارها الديانة الرسمية للإمارة، ورزقا بطفل سمياه ايزاتيس (عزة الثاني) الذي تولى الإمارة سنة ٣٦م واعتنق اليهودية وامتد حكمة حتى توفي سنة ٦٠م حيث دام حكم الإمارة ٧٩ سنة الى ان غزاها الامبراطور الروماني تراجان سنة ١١٦م(٢).

ومن الجدير بالملاحظة ان المؤرخ العراقي احمد سوسة يناقض نفسه حينما يحدد موقع امارة حدياب في اقليم كوردستان، في الوقت الذي يعتبر أهلها من الاراميين بقوله: "و لما كان أهل حدياب من الآراميين لغةً وجنساً فالأرجح ان الملك (ايزاط- عزة) كان قبل تهوّده آرامياً يدين بالوثنية".(٣)

والصحيح ان منطقة حدياب كانت تضم خليطاً من القبائل السكيثية- الميدية التي استكردت حسب قول المؤرخ الكوردي جمال رشيد فضلاً عن سكانها الكورد الأصليين مع أقليات آرامية وثنية سرعان ما دخلت في النصرانية بعد وصولها الى منطقة كوردستان في بداية القرن الثالث الميلادي وليس في نهاية القرن الاول كما تزعم بعض المصادر السريانية، يقول المطران ادي شير بهذا الخصوص: "أما حدياب وسماها العرب حزة

---

(١) د. جمال رشيد: ظهور الكورد في التاريخ، اربيل دار ئاراس، ٢٠٠٣م ص٢٦٠.

(٢) احمد سوسة: ابحاث في اليهودية والصهيونية، اربد دار الامل، ٢٠٠٣م، ص ١١٢- ١١٣.

(٣) احمد سوسة: المرجع السابق، ص ١١٣.

فموقعها بين الزابين وكانت تمتد الى آثور والى نصيبين ايضاً وكانت قاعدتها مدينة أربيل وفي الجيل الاول (القرن الاول) للمسيح كان يملك فيها ملك اسمه ايزاط... وقال عنه يوسفوس المؤرخ اليهودي انه اعتنق الديانة اليهودية على يد حنينا، واشتهرت امه هيلانة بأنها في مجاعة حدثت في زمانها في اورشليم جلبت القمح من مصر ووزعته على أهل اورشليم...»(١).

وقد عثر على قبر هيلانة ملكة حدياب في القدس في المقبرة المعروفة بمقبرة السلاطين (امام مدرسة المطران) التي يعود تاريخها الى ٥٠- ٦٠م حيث توجد كتابة منقوشة على قبرها الحجري تدل على تعيينه، وتشير المعلومات الى أن هيلانة أمرت قبيل وفاتها بحفر قبر لها في الصخر في القدس ثم حفرت فيما بعد قبور مجاورة لأبنائها في نفس المقبرة(٢).

ويعتقد كثير من الباحثين ان تسمية القبيلة الكوردية الضاربة الهذبانية ربما تعود الى الامارة الاديابينية بسبب تطابق مناطق سكانها، وان مضارب الهذبانية في العصر الاسلامي تقع في نفس مناطق إمارة اديابين بين الزابين.

اليهود الكورد في العصر الإسلامي

ان المصادر الاسلامية لم تذكر إلاّ النزر اليسير من أخبار اليهود في العصور الإسلامية التي تلت حقبة الرسالة المحمدية والخلافة الراشدة، والمعلومات التي وردت جاءت على سبيل العرض او تنظيم علاقة أهل الذمة من اليهود والنصارى بالدولة والمجتمع الاسلامي. أما بخصوص اليهود الكوردستانيين فالمعلومات عنهم شحيحة لا تتجاوز عدة روايات او بالأحرى روايتين الأولى ذكرها اليهودي المهتدي الى الإسلام السموأل بن

(١) تاريخ كلدو وآثور، بيروت ١٩١٣م، ١٢ ص ١٧٨- ١٧٩؛ وقد جانب الصواب جمال رشيد عندما ذكر ان الملك مونوبازوس والد عزة قد اعتنق اليهودية، والصحيح ان عزة هو الذي اعتنق اليهودية، عندما ارسله والده الى امارة ميسان (جنوب العراق) لينشأ هناك برعاية ملكها اينطاى الاول. وقد عاد عزة بعد اعتناقه اليهودية لحكم امارة حدياب (اديابين) وعمل على توسيع نفوذ اليهودية فيها. انظر:
Javier Teixidor, The Kingdom of Adiabene and Hatra, Berytus, 1967, vol 27.

(٢) احمد سوسة المرجع السابق، هامش ١٦ ص١٤٠ نقلاً عن ميلر بروز: مخطوطات البحر الميت، الترجمة العربية، ١٩٦٧، ص ٢١٢.

يحيى بن عباس المغربي في كتابه افحام اليهود سنة ١١٦٥[١]، والثانية ذكرها الرحالة بنيامين بن تطيلة الأندلسي سنة ١١٧٠م[٢]، وملخص الروايتين ما ذكرهما بنيامين بقوله: "العمادية يقيم بها نحو خمسة وعشرين الف يهودي[٣] وهم جماعات منتشرة في أكثر من مائة موقع من جبال خفتيان عند تخوم بلاد مادي. ويهودها من بقايا الجالية الأولى التي أسرها شلمانصر ملك اشور ويتفاهمون بلسان الترجوم (لهجة ارامية) وبينهم عدد من كبار العلماء. والعمادية على مسيرة يوم من تخوم بلاد العجم (فارس) يؤدي يهودها الجزية للمسلمين شأن سائر اليهود المقيمين في الديار الاسلامية،... وقبل عشر سنوات (١١٦٠م) قامت في العمادية فتنة داود بن الروحي وكان هذا قد تلقى العلم في بغداد عن حسداي رأس الجالوت (رئيس الطائفة اليهودية) وعن علي رأس مثيبة (غاؤون يعقوب– مدير مدرسة يهودية). فتضلع بالتوراة والفقه والتلمود وسائر العلوم وبرع بلغة المسلمين (اللغة العربية) وآدابهم ونبغ بفنون السحر والشعوذة، فدخل في روعه ان يعلن العصيان على ملك العجم ويجمع حوله اليهود القاطنين في جبال حيتون ومقاتلة النصارى المتمكنين من اورشليم والإستيلاء عليها وطردهم منها فشرع بنشر دعوته بين اليهود ويدعم دعوته بالبراهين الباطلة، كأن يقول لهم: (ان الله قيضني لفتح القدس وانقاذكم من نير الاستعباد) فآمنت به جماعة من بسطاء اليهود وحسبوه المسيح المنتظر".[٤]

وعلى اية حال فقد كان مصير هذه المعركة اليهودية الفشل وقتل مؤسسها على يد السلاجقة.

---

(١) تقديم، تحقيق، تعليق د. محمد عبدالله الشرقاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والإفتاء، الدعوة والإرشاد، الرياض، السعودية ١٤٠٧ه، ص ١٨١– ١٨٤.

(٢) رحلة بنيامين: المصدر السابق، ص ١٥٤– ١٥٥.

(٣) يبدو أن بنيامين قد بالغ في تقدير نفوس اليهود في العمادية كعادته في تضخيمهم في باقي بقاع العالم الاسلامي بالرغم من كونهم أقلية في كوردستان وباقي المناطق.

(٤) السموأل: افحام اليهود، ص ١٥٥.

أثر الحركة الصهيونية على الكورد

كان اليهود الكورد يعيشون في ود وسلام مع مواطنيهم من المسلمين والنصارى وبقية اطياف المجتمع الكوردستاني لاتشوب علاقاتهم أية شائبة.

و كان اليهود الكورد قد سبقوا اليهود الاخرين في الهجرة الى فلسطين بصورة فردية لدوافع دينية اعتباراً من عام ١٨١٢م، وبتأثير الرسائل (الدعاية) التي كان اليهود الكورد يتلقونها من المهاجرين الذين سبقوهم ويصورون لهم الوضع بانه كان مثالياً، فقد بدأ اليهود الكورد في الانضمام الى اخوانهم في فلسطين، فعلى سبيل المثال هاجر جميع يهود قرية برآشي الواقعة شرق مصيف سوارەتوكه شمال دهوك الى فلسطين وبنوا لأنفسهم كنيساً هناك(١).

ولكن هذه الهجرة اتخذت أبعاداً بعد أخرى ظهور الحركة الصهيونية في مؤتمر بازل ومناداتها بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، ففي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٠ و١٩٢٦ هاجر الف وتسعمائة يهودي من كوردستان الى فلسطين، وهذا عدد كبير لو قيس بعدد اليهود الكورد آنذاك.

اما بخصوص النشاط الصهيوني وتأسيس الاحزاب والحركات الصهيونية في كوردستان، فقد كان لمدن اربيل وكركوك وخانقين القدح المعلي في هذا المضمار، ففي اربيل كان (نوريئيل) رئيس الطائفة اليهودية فيها هو مسؤول النشاط الصهيوني فيها وقد أرسل مبالغ مالية كبيرة الى الكيرن كيمث (الصندوق التأسيسي اليهودي)، ونظراً لذلك فقد دعي لحضور المؤتمر الصهيوني الخامس عشر (المنعقد في سنة ١٩٢٧) إلاّ أن معرفة السلطات الملكية العراقية آنذاك وتحريض بعض رؤوساء الطائفة اليهودية في بغداد ومن المعارضين للصهيونية حال دون سفره، إذ منع من السفر. ومن نشطاء الصهيونية في مدينة كركوك (اسحاق دانييل) الذي كان نائباً في البرلمان العراقي في سنة ١٩٢٤ وقد جبى التبرعات لصالح الكيرن كيمث(٢).

---

(١) اريك براور: المرجع السابق، ص ٧٩– ٨٠.

(٢) السوداني، صادق حسن: النشاط الصهيوني في العراق، الجمهورية العراقية منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد ١٩٨٠، ص ٦٢.

أما في مدينة خانقين فقد نصب (ابراهيم ساسون) نسيم الملقب بإبراهام نفسه وكيلاً للكيرن كيمث وكان مهووساً بالصهيونية، ورغم خلافه مع رئيس الطائفة اليهودية في خانقين فقد تمكن من إرسال كمية كبيرة من المال، فضلاً عن إرسال بعض المهاجرين الى فلسطين في عام ١٩٣٥(١).

و كانت هناك عدة جمعيات صهيونية نشأت في العراق، كانت حصة كوردستان منها كالآتي:

١- منظمة بني يهوذا في اربيل.

٢- منظمة بني يهوذا في خانقين.

٣- منظمة الهاجاناه (الدفاع) في كركوك عام ١٩٤٦.

٤- حركة حالوتس (الطلائع) في كركوك تحت اسم (قعوروت) عام ١٩٤٤.

٥- حركة حالوتس في اربيل تحت اسم (طبريا) في شهر آذار عام ١٩٤٧.

٦- حركة حالوتس في حلبجة تحت اسم (تل حاي) في شهر آذار عام ١٩٤٧(٢).

وأثناء الحوادث التي قامت بها المنظمة الصهيونية هشوراه ضد المنشآت اليهودية في بغداد عام ١٩٥٠-١٩٥١ بقصد الضغط على الطائفة اليهودية للهجرة الى فلسطين، قام المحامي الكوردي جمال بابان الذي استوزر عدة مرات في العهد الملكي بالدفاع عن اليهود المشتركين في هذه العملية وبالأخص مردخاي بن بورات وتمكن من إطلاق سراحه بعد ان « تسلم مبلغاً محترماً من المال» على حد تعبير شلومو هيلل. وقد اتهم جمال بابان بالخيانة ومساعدة الصهاينة آنذاك وارسل اليه طرد ملغوم الى منزله، وجرح من جرائه الخادم الذي يعمل في بيته(٣).

---

(١) السوداني: المرجع السابق، ص ٦١- ٦٢.

(٢) المسيري، عبد الوهاب محمد بالاشتراك مع سوسن حسين، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية- رؤية نقدية، القاهرة مطابع الاهرام التجارية، ١٩٧٤.

(٣) المفتي، عبد المنعم: التغلغل الاسرائيلي في كوردستان العراق - صحيفة الشرق الاوسط، العدد ٤٣٧٨ في ١٩٩٧.

الأماكـن المقدســة والمعابـد
اليهودية في كوردستان

لليهود عدة أماكن مقدسة خاصة بهم في العراق، أما في كوردستان فلديهم عدة أماكن مقدسة أيضاً تحديدا وهي:

١- قبر النبي ناحوم الألقوشي.(١)

٢- قبري حازان ديفيد وحازان يوسف في العمادية.(٢)

٣- كهف إيليا في قرية بيّتنور في منطقة بترواري بالا (العليا).(٣)

٤- ضريح دانيال ورفاقه في مدينة كركوك.(٤)

٥- مرقدي إستير وعمها مردخاي في مدينة همدان.(٥)

٦- قبر ر. ناثانيل هاليفي بارزاني في قرية بارزان.(٦)

٧- قبر شموئيل ناثانيل بارزاني في مدينة الموصل ويسمى شيره دين (الأسد المجنون)(٧).

أما بخصوص الكنيسات اليهودية (كنيشته) في كوردستان فلا تكاد مدينة أو قصبة

---

(١) پی رەش: بارزان وحركة الوعي القومي الكوردي ١٨٢٦-١٩١٤، ١٩٨٠، ص٢٦.

(٢) يوسف رزق الله غنيمة: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، لندن دار الوراق، ١٩٩٧، ص٢٤٤-٢٤٦.

(٣) إريك براور: يهود كردستان، نقله الى العربية شاخوان كركوكي وعبدالرزاق بوتاني، اربيل دار ئاراس ٢٠٠٢م، ص٣٥٢.

(٤) إريك براور: المرجع نفسه، ص٣٥٢.

(٥) إريك براور: المرجع نفسه، ص٣٥٢.

(٦) رحلة بنيامين، ترجمها عن الاصل العبري وعلق حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد، بغداد المطبعة الشرقية،١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م، ص١٥٨؛ همدان، اعرق من التاريخ، وزارة الثقافة والإرشاد الاسلامي، طهران - ايران، ١٩٩٥، بلا صفحة.

(٧) إريك براور: المرجع نفسه، ص٣٥٢، ويبدو ان الكاتب ناقض نفسه فهو يقول في موضع آخر بأن قبر ناثانيل هاليفي بارزاني يقع في مدينة الموصل وان يهودها يزورونه للتبرك به.

كوردية تخلو منها، بعكس القرى الكردية فإنها تخلو من الكنيسات إلا ما ندر. فقريتي سندور وبيتنور (بيت النور) يهوديّتان خالصتان، وهناك قرى كوردية أخرى تتواجد فيها الكنيسات مثل:

ت	إسم القرية	الملاحظات
١	نيروة	قرية في كوردستان العراق بالقرب من الحدود التركية
٢	بارزان	ناحية تابعة لقضاء ميركەسور وهي مسقط رأس الزعيم الكردي مصطفى البارزاني
٣	برآش	قرية تقع في شرق مصيف سوارەتوكا في سفح جبل كارة
٤	جلي (جقورجة)	ناحية تقع في كوردستان تركيا بالقرب من الحدود العراقية
٥	كوهرز	قرية تقع شرق العمادية
٦	شندوخا	قرية تقع في ضواحي دهوك
٧	شوخو	قرية تقع شمال غرب العمادية
٨	شرانش	قرية تقع شمال زاخو
٩	ميزة	قرية تقع في سفح جبل كارة
١٠	شوشي	قرية تقع شرق عقرة
١١	هركي	منطقة تقع شمال شرق بارزان
١٢	تاصيا	قرية تقع في كوردستان تركيا قرب أورمار
١٣	رولكة	قرية تقع قرب العمادية
١٤	روبار	قرية تقع قرب العمادية
١٥	رفلا	قرية تقع قرب العمادية
١٦	گەرەگو	قرية تقع شرق مصيف سرسنك
١٧	قدش	قرية كبيرة (مجمع) تقع غرب العمادية
١٨	كاني بلاف	قرية تقع في سفح جبل متين

وفيما يلي جدول باسماء وأعداد الكُنيسات اليهودية في المدن والقصبات الكردية:

ت	الموقع	العدد
١	أربيل	٣
٢	العمادية	٢
٣	كركوك	٢
٤	زاخو	٢
٥	دهوك	٢
٦	السليمانية	١
٧	باشقلعة	١
٨	كويسنجق	١
٩	حلبجة	١
١٠	عقرة	١
١١	شقلاوة	١
١٢	رواندوز	١
١٣	خانقين	١
١٤	كفري	١
١٥	بنجوين	١
١٦	هيزان	١
١٧	سنة (سنندج)	١٧
١٨	أورمية	١
١٩	صابلاغ – مهاباد	١
٢٠	شنو (اشنوية)	١
٢١	دياربكر	١
٢٢	ماردين	١
٢٣	جزيرة ابن عمر	١

كما كانت تتواجد في بعض المدن والقرى الكردية مدارس يهودية ملحقة بالكنيسات أو منفصلة عنها، وفيما يلي جدول بمواقع هذه المدارس:

ت	الموقع	الملاحظات
١	أربيل	مدرسة ملحقة بالكنيس
٢	كركوك	المدرسة الاسرائيلية في كركوك
٣	عمادية	مدرسة ملحقة بالكنيس
٤	سنة (سنندج)	عاصمة كوردستان إيران (مدرستان احداهما للذكور والاخرى للاناث)
٥	خانقين	مدرسة ملحقة بالكنيس
٦	زاخو	مدرسة ملحقة بالكنيس
٧	شنو (اشنوية)	مدينة في كوردستان إيران
٨	نيروه	قرية في كوردستان العراق بالقرب من الحدود التركية

بارزان في المصادر اليهودية

دراسة تحليلية - نقدية

المقدمة

لقد كُتب الكثير عن بارزان القرية والعشيرة من الناحية السياسية والعسكرية بإعتبارها إحدى البؤر الثورية التي كان لها الدور الرئيسي والفعال في ظهور قادة وكوادر تبوأوا الصدارة في قيادة الحركة التحررية الكردية في كوردستان العثمانية ومن ثم الجنوبية في بداية القرن العشرين ولحين ظهور الدولة العراقية والى الوقت الحاضر.

ان قصبة بارزان وأنحائها لم تحظ لحد الآن بالدراسات والأبحاث المتعلقة بالأقليات الدينية التي كانت تتواجد فيها قبل نصف قرن، وكانت تعتبر إحدى مكوناتها الرئيسية، وعلاقة هذه الأقليات بالأغلبية المسلمة الكردية، فضلا عن وجود دراسات تتحدث عن هذه العلاقة في المصادر الاخرى غير العربية والكردية كاليهودية مثلا بما فيها دائرة المعارف اليهودية وكتب الرحالة والحاخامات اليهود، والمسيحية كفهارس المخطوطات المبثوثة في الأديرة والكنائس في العراق وغيرها، بجانب الكتب التي تتحدث عن الأديرة المتمركزة في منطقة بارزان وانحائها بما فيها جبل شيرين المطل عليها، بإعتبارها مراكز كنيسة مسيحية كانت تعمل بانتظام قبل الفتح الاسلامي لكوردستان في القرن السابع الميلادي والى نهاية العهد العثماني تقريبا، حيث يشير الباحث والمؤرخ الدومنيكي جان موريس فييه الى العديد من هذه المراكز المسيحية في كتابه القيم (آشور المسيحية)(١) المؤلف باللغة الفرنسية.

وعملا بمنهج البحث التاريخي فمن الأولى الاشارة الى المصادر والمراجع اليهودية التي تضمت قدرا من الاحوال الدينية والاجتماعية والسكانية (الديموغرافية) ليهود بارزان وعلاقتهم مع المسلمين وعلى رأسهم شيوخ بارزان النقشبنديون.

بارزان في المصادر والمراجع اليهودية

لقد كانت قرية بارزان من القرى الكوردية التي يتعايش فيها المسلمون واليهود

---

(١) جان موريس فييه: احوال النصارى في خلافة بني العباس، بيروت دار المشرق، ترجمة حسني زينة، ص٣٢.

والمسيحيين جنبا الى جنب، وكان لكل من اتباع هذه الديانات السماوية الثلاث أماكن عبادة خاصة بهم (المسجد للمسلمين والكنيس لليهود والكنيسة للمسيحيين) يمارسون فيها شعائرهم وطقوسهم الدينية في جو من الحرية والتسامح، ويشير التقليد الشفوي في بارزان بأن اليهود فيها (بارزان) كانوا اكثر عددا من المسلمين والمسيحين معا، وأن وجود أسماء البساتين في قرية بارزان التي تربو على المائتين تحت عناوين (اليوك- پولص- القس- الدير - موشي...الخ) تدل دلالة قاطعة على جو التعايش والتسامح الذي كان سائدا في تلك القرية. ورغم وجود قريتين مسيحيين خالصتين في منطقة بارزان وهما قرية بيديال واردیل، فإنه لا توجد قرية خالصة لليهود.[١]

أما بخصوص قرية بارزان فهي تعد مع قرية صندور في التقاليد الدينية اليهودية المركزين الرئيسيين لتعليم رجال الدين اليهود من الحاخامات والمذكّين، فكان الناس يقولون في كوردستان " التشريع من صندور وكلمة الرب من بارزان"[٢].

وبخصوص قرية بارزان فإن الحاخام شمعون يونا بارزاني ألف كتابا تحت عنوان (شيحيطات بارزاني) أي تذكّية بارزان في سنة ٥٤٢٠ يهودية أي سنة ١٦٦٠م، وقد نقل هذه المخطوطة اليهودي الألماني (وولتر فيشل) الى ألمانيا أثناء زيارته لكوردستان، ولا زالت هذه النسخة من المخطوطة متواجدة في المانيا ولها نسخة مصورة في دار المخطوطات في اسرائيل[٣]، وفيما بعد آلت المرتبة الأولى الى قرية نيروه، أما اليوم (أي منتصف ثلاثينات القرن العشرين وتحديدا عام ١٩٣٧م) فتحتلها مدينة زاخو، ومع هذا يجري تدريب المذكّين (الشوحيط) في مدن العمادية وعقرة ودهوك ايضا.

ومن جهة اخرى فان دائرة المعارف اليهودية والرحالة اليهود الذين جابوا كوردستان أشاروا الى أهمية بارزان بالنسبة للتاريخ والتراث اليهودي الكامن فيها.

وهناك العديد من الرحالة الذين زاروا كوردستان واتصلوا باليهود الكورد منهم الالماني (جوزيف ظولن) الذي اعتنق المسيحية حيث زار سلماس وأورمية للفترة من ١٨٢١-١٨٢٦م إلا أنه في رحلته الثانية ١٨٣١-١٨٣٤ سافر الى ماردين ونصيبين

---

(١) پی رەش: بارزان وحركة الوعي القومي الكوردي ١٨٢٦-١٩١٤، ١٩٨٠، ص٢٦.

(٢) إريك براون: المرجع نفسه، ص٣٧٨ وكذلك أنظر:

Vol 5, p573. Jerusalem Encyclopedia Judaic

(٣) إيرك براون: المرجع السابق، ص٢٧٨ هامش ٦.

والموصل واربيل، ثم زار منطقة أورمية للمرة الثانية، أما اليهودي الآخر الذي اعتنق المسيحية (هنري آرون ستيرن) فقد زار كوردستان عام ١٨٤٨ قادما من بغداد حيث انتقل الى طوزخورماتو ومنها سافر الى كركوك فأربيل والموصل والقوش ودهوك (التي يسميها آتوك على غرار مسيحيي دهوك)، ومن ثم قرية صندور اليهودية التي يقدم عنها وصفا تفصيليا، وفي هذه القرية باع هنري بعض النسخ المطبوعة من التوراة بثمن بخس بمساعدة يهود محليين، ثم زار زاخو وجزيرة ابن عمر (بوتان) والعمادية، ومن العمادية دخل مناطق النساطرة (الآثوريين في كوردستان تركيا) حتى بلغ قرية آشيتا (الواقعة الآن في كوردستان تركيا شمال ناحية كاني ماسى)، ثم توجه شرقا نحو قرية شوش (شرق عقرة)(١). ويبدو أنه مر في طريقه بقرية بارزان. لأنها بدون شك واقعة على الطريق وتعتبر من المراكز اليهودية المهمة سيما وأن غالبية سكانها كانوا من اليهود والنصارى آنذاك(٢).

أما الرحالة الآخر جوزيف اسرائيل بنيامين الروماني الأصل الذي تطلق عليه الانسكلوبيديا اليهودية (بنيامين الثاني) نسبة الى بنيامين الأول- التطيلي الاسباني) فقد زار كوردستان سنة ١٨٤٨م وأبتدأها بدهوك وقريتى صندور وبيتَنور (بيت النور)، ثم زار القوش وشارك مع اليهود القادمين اليها في عيد شانّوعوث(٣) في نهاية شهر مايس وبداية حزيران عام ١٨٤٨م. بعد ذلك رحل الى الموصل ومنها اتجه نحو الشمال الشرقي قاصدا مدينة عقرة، ثم تحرك نحو الجبال في رحلة بعيدة وفريدة من نوعها (حسب تعبير الكاتب) ليزور قرية بارزان الجبلية، في شهر تموز عام ١٨٤٨، ومكث فيها فترة قصيرة جدا، ومع ذلك وصف الأوضاع فيها بالسيئة حيث يقول:"ان الجهل الذي يعانيه اخواننا اليهود هنا كبير لدرجة انهم لا يقدرون معه على تلاوة صلواتهم، وعليّ الاقرار هنا متألماً، بأني لم أرهم في أي مكان في مثل هذا الوضع المزري غارقين في مثل هذا الفساد الخلقي كما رأيتهم هنا"(٤).

وفي معرض تعليق إرك بروار على هذه الفقرة يقول "وهذا بالطبع تجنٍ على الواقع عند

(١) إريك براور: المرجع نفسه، ص٤٢-٤٣.

(٢) پی رەش: المرجع السابق، ص٤١-٤٢.

(٣) he Jewish Encyclopedia vol 1-11, p437.

(٤) إريك براور: المرجع السابق، ص٤٥، نقلا عن أي. أج. لايارد: نينوى وآثارها، لندن ١٨٦٧، ص٢٠٠.

ملاحظة بروز العديد من الحاخامات من بارزان" ولكن براور يناقض نفسه عندما يذكر في موضع آخر قصة (شجرة الرمان) التي تجري حوادثها في قرية بارزان قبل ١٥٠ سنة اعتبارا من تسجيل القصة عام ١٩٣٧م، وكيف ان شيخ بارزان في نهاية القرن الثامن عشر طلب من الحاخام الحبر ناثانيل هاليظى وابنه الحبر شموئيل وهما من أهالي قرية بارزان بإعتناق الاسلام، مما حدا بالحبر الابن الى ترك بارزان قاصدا العمادية وطلب الأب من شيخ بارزان بأن يتركه على حاله لأنه قد بلغ من العمر عتيا وانه لا يجدي نفعا اعتناقه للإسلام(١).

مكانة بارزان في الميثولوجيا اليهودية

يتركب مصطلح الميثولوجيا (Mythology) ذو الأصل اليوناني من مقطعين هما (Mythos) (حكايات الآلهة والابطال) و(Logos) المنطق، وبمرور الزمن تعددت معاني هذا المصطلح وترجمه العرب المسلمون الى (علم الأساطير). أما في المفهوم المدرسي فبجانب القصص التي تروي ما فعلته الآلهة والأبطال، فإن الميثولوجيا هي في المقام الأول الحكايات القديمة التوراتية والاغريقية والرومانية وغيرها من الحكايات الاخرى التي تتحدث عن أشياء معجزة وخارقة. كما ان هناك علاقة جدلية بين الميثولوجيا والدين، إلاّ أن بعض السمات الخاصة فيها تميزهما الواحدة عن الأخرى فما لا يستطيع الدين أن يحققه للبشر من منافذ تشبع نهمهم تحققه الأسطورة. وهكذا الأمر بالنسبة لليهود في قرية بارزان وغيرها من الأصقاع الإسلامية فهم على كل حال كانوا اقلية ولذلك كانوا يحاولون بشتى السبل الالتجاء الى الاسطورة والعلوم الأخرى التي يشتهر بها اليهود كالقبالة (التصوف اليهودي – الجسيديم) وغيرها لسد الفراغ الناتج عن ضعفهم في المجتمع الاسلامي، فضلا عن محاولة رد الاعتبار الى رجال الدين اليهود من الكهنة والأحبار والحاخامات لإستغلال الطبقات الأخرى من المجتمع اليهودي ولذلك نشأت ميثيولوجيات كهنوتية صاغت مواضعها في دائرة ضيّقة ومغلقة من الكهنة، وترسخت هذه بمرور الزمن في عقائد وأذهان الجماهير على أنها حقائق مسلم بها (٢).

واليهود ليسوا في هذا المجال بدعة فهم كغيرهم من معتنقي الأديان السماوية وغير

---

(١) المرجع نفسه، ص٤٥.

(٢) الميثولوجيا ونشوء العبادات القديمة: تأليف مجموعة من الكتاب الروس، ترجمة الدكتور حسان اسحاق، دمشق ١٩٩٣، ص٧.

السماوية لديهم شعائر وطقوس خاصة بهم أضافوا اليها بعض السمات الميثولوجية لترسيخها في بنية مجتمعهم الصغير الثاوي في أحضان جبال كوردستان. لذلك على هذا المنوال صاغوا قصة شجرة الرمان التي تتعلق بطقوس السبت اليهودي المتسمة بالصرامة الى حد كبير، حيث يحرم على اليهودي العمل في هذا اليوم وإن أي انتهاك لقوانين السبت يعرض اليهودي الى عقوبات شديدة، حيث يبدو أن يهود بارزان والمناطق القريبة منها هم على مذهب ا(لقراؤون) الذين يتمسكون بالتعاليم الحرفية للتوارة.

ولكن هناك استثناء من هذه القاعدة، يروي الحاخام علوان أفيداني من العمادية يرجع اصله الى قرية نيروة التابعة لمنطقة نيروة وريكان الكائنة شمال شرق العمادية لمحاوره الانثروثولوجي اليهودي الألماني (إريك براور) في القدس سنة ١٩٢٧م حول قصة شجرة الرمان التي جرت أحداثها في قرية بارزان قبل ١٥٠ عاماً اعتبارا من سنة ١٩٣٧م، أي ان وقائعها إن صدقت ترجع الى سنة ١٧٨٧م تقريبا، وتتعلق بحوار جرى بين الحبر اليهودي الحاخام ناثانيل هاليظى بارزاني وابنه الحبر شموئيل من جهة وبين شيخ بارزان من جهة اخرى.

تتلخص القصة بان الحبر اليهودي وابنه كانا جالسين في كوخ لهما في قرية بارزان وهما غارقان في نقاش مستفيض عن موضوع (المركاظا) أي الملكوت أو عالم العرش الإلهي، وبينما هما مستغرقين في هذا الجو الفكري والفلسفي، اذ لمح شيخ بارزان وكان جالسا فوق سطح داره شعاعاً اخضر قد ظهر فوق كوخ الحبر اليهودي، مما دعاه الى ارسال خادمه لمعرفة ما يجري هناك لأنه كان متعجبا من هذا الشعاع الأخضر الذي كان يرتفع من الكوخ اليهودي الى السماء دون ان يدمر شيئاً أو يحرق شيئا(١).

وتمضي الرواية قائلة بأن شيخ بارزان أعتقد جازما بأن هذا النور الذي غطى كوخ الحبر اليهودي ليس إلاّ نورا يخص السادة من نسل الرسول محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) لذا حاول جاهدا من الحبر اليهودي وأبنه الاعتراف بشجرة نسبهما النبوي، فلما رفض الحبر وابنه ذلك واعلنا للشيخ بأنهما يهوديان وأعلماه بشجرة نسبهما اليهودي تم اعتقالهما في مكان حقير يستعمل للحيوانات تهيئة لقتلهما إن لم يعتنقا الاسلام.

ومهما يكن من أمر فان ابن الحبر شموئيل استطاع الافلات بمكيدة وقصد العمادية على

---

(١) إريك براور: المرجع السابق، ص٣٠٩.

أمل ان يختبئ هناك عند الجالية اليهودية الكبيرة نوعا ما، ولكن كتابة شيخ بارزان لعدد من المعادلات على الرمل مع ذكر اسم الحبر شموئيل الهارب عليها، قاده ذلك الى معرفة مكان اختباء الحبر شموئيل في الجينيزا (غرفة حفظ نسخ التوراة القديمة) في كنيست يحزقيل في العمادية، وهو مادعاه الى الكتابة الى حاكم العمادية (امير بهدينان انذاك) بتسليم اليهودي اليه، وأخيراً عندما علم الحبر اليهودي بأن لا أمل له في النجاة تضرع الى الله سبحانه وتعالى ليأخذ روحه وكان له ما أراد(١).

ان هذه الرواية في حقيقة الأمر تصطدم وتتعارض مع عدة حقائق دينية وتاريخية تخص منطقة بارزان وشيوخها، ففي الفترة التي ذكرتها الرواية فان شيوخ بارزان لم يكونوا قد استلموا الطريقة النقشبندية من شيوخ نهري(عائلة السيد طه النهري) حيث ان الطريقة وصلت في نهاية العقد الثاني من القرن التاسع عشر على يد الشيخ مولانا خالد الميكائيلي الجاف، فضلاً ان السحر والتنجيم واللعب بالرمال مما كان يتعاطاه رجال الدين اليهود "وخاصة الحاخامات" منهم الذي ينتهي نسبهم الى سبط لآوي بن يعقوب، حيث ان الكهانة موكولة لهم حسب اشتراط التوراة(٢)، بجانب ان التقليد الشفوي الشائع في منطقة بارزان واطرافها وكتب الرحالة والمبشرين الأوربيين تشير بدون شك الى سماحة شيوخ بارزان وعطفهم على اليهود والنصارى مما دعا بأحد هؤلاء وهو الاسكتلندي القس (ويكرام) الى تسمية الشيخ عبدالسلام الثاني البارزاني بن الشيخ محمد بـ(شيخ النصارى)(٣)، فلا يعقل ان يجبر شيخ بارزان المتعاطف مع النصارى حبر اليهود الكبير في بارزان على اعتناق الاسلام وهو قد بلغ من العمر عتيا.

ومن جهة اخرى فان المصادر تشير الى وجود ربِّية بارزانية (عالمة دين يهودية) تدعى (آسيناز بارزاني) ابنة احد كبار رابيي اليهود شموئيل بارزاني عاشت في القرن السابع عشر وتعتبر أول رابية في تاريخ اليهود الشرقيين (السيفارديم) وكانت مثقفة وقامت بتأليف كتاب عن الامثال الكوردية وفتحت عدداً من المدارس، ولعلها ابنة

---

(١) إريك براون: المرجع السابق، ص٣٠٩، ولمن اراد المزيد فعليه مراجعة دائرة المعارف اليهودية مادة كردستان.

(٢) د. حسن ظاظا: الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه، القاهرة معهد الدراسات العربية، ١٩٧١، ص١٤.

(٣) دبليو. أي. ويكرام: مهد البشرية، الحياة في شرق كردستان، ترجمة جرجيس فتح الله، دار ئاراس اربيل، ص١٢٣.

الحاخام شموئيل بنْ ناثانيل هاليفي بارزاني المذكور انفا[١].

كما لا يمكن نسيان عدد من الشخصيات اليهودية من أصل بارزاني تبوأت مناصب مهمة في الحكومة والأحزاب الإسرائيلية، منهم على سبيل المثال لا الحصر (موشي بارزاني) الذي كان احد مساعدي (مناحيم بيغن) رئيس الوزراء الاسرائيلي الاسبق وزعيم حزب الليكود الإسرائيلي، وبعد وفاته دفن في جبل الزيتون في القدس بجانب قبر زعيمه مناحيم بيغن.

إن السماحة والفكر المتنور الذي كان من شيمة شيوخ بارزان الناتج من تلاحم افكار الديانات الابراهيمية الثلاث في بارزان اليهودية والمسيحية والاسلام فضلا عن طريقة نقشبندية متسمة بالعقلانية والفكر الباطني ، ربما أثار البعض من ذوي الاتجاه المحافظ (السني) الى إتهام شيوخ بارزان ببعض النعوت والصفات التي تخرجهم من الملة الاسلامية ولا تليق بهم، وهذا ناتج من أنهم كانوا لا يفرقون في مناحي الحياة المختلفة بين مريديهم الخلص والمسلمين الآخرين فضلاً عن رعاياهم من اليهود والمسيحيين، فجاءت أفكارهم وتجارب حياتهم مما تتعارض مع نهج العديد من التكايا النقشبندية في المناطق الأخرى. أي إنهم بعبارة أخرى كانوا اصحاب فكر باطني حر وتنويري في نهاية القرن التاسع عشر في منطقة جبلية وعرة بعيدة عن حواضر المدن المهمة.

---

(١) نقلا عن الكتاب السويدي Mordet pa pela. ترجمها لي من اللغة السويدية مشكوراً الاستاذ مؤيد طيب.

موقف القيادة الكوردية

من النشاط الإسرائيلي في العراق

تعد الطائفة اليهودية في العراق من أقدم الطوائف اليهودية في العالم، يرجع أصلها إلى السَبيَين الآشوري والبابلي، حيث اقتيد معظمهم أثناء الحملات العسكرية التي قادها الملوك الآشوريون والبابليون على بلاد كنعان (فلسطين) تباعاً. فقد قام الملك الآشوري تجلات بلاصر الثالث (٤٧٥-٧٢٧ ق.م) بغزو المملكة الشمالية (إسرائيل) عام ٧٣٢ ق.م وسيطر من خلالها على أراضي الجليل (شمال فلسطين) وشرق الأردن، وتم سبي قبائل نفتالي (أحد الأسباط الإثني عشر) وسكان مدن شرق الأردن إلى بلاد آشور (شمال العراق - كوردستان حالياً).

ونتيجة لعدم إيفاء المملكة الشمالية الإسرائيلية بتعهداتها للملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م) الذي خلف شلمانصر الخامس في عرش آشور، فقد قام بغزو المملكة الشمالية وإسقاط عاصمتها السامرة (نابلس الحالية)، وبدأ في تهديد المملكة الجنوبية (يهودا) التي كانت تقع على بعد عشرين ميلاً من الحدود الجنوبية للمملكة الشمالية (إسرائيل)، وقد اتبع الآشوريون أسلوبهم القديم فقاموا بنقل أعداد كبيرة من المهنيين إلى مناطق بعيدة داخل إمبراطوريتهم إلى حلج والخابور (شمال سوريا) وإلى مدن إقليم ميديا (كوردستان العراق وإيران)، غير أن الملك الفارسي الأخميني كورش الثاني (كيروس) بعد احتلاله للعراق وإسقاطه للدولة الكلدانية البابلية عام ٥٣٨ ق. م أعاد الأمل لهؤلاء اليهود الأسرى الذين اعتبروه منقذاً ومخلصاً لهم، لاسيما وأنه خيّرهم بين البقاء في بابل والتمتع بخيراتها أو العودة إلى فلسطين.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هؤلاء اليهود كانوا بمثابة الطابور الخامس للجيش الفارسي عند محاولته احتلال العاصمة بابل، لذا فقد تزوج الملك (أحشويروش الأول ٤٨٥-٤٦٥ق.م) من امرأة يهودية جميلة تدعى أستير (النجمة) كان لها دور كبير بمساندة عمها (مردخاي) في تحريض الملك على الانتقام من وزيره الملك (هامان) وشيعته المعادين لليهود، لذا فلا عجب أن رد أحبار يهود الجميل لفتاتهم أستير من خلال إطلاق اسمها على أحد أسفار التوراة تحت اسم (سفر أستير)، واعتبار يوم انتقام اليهود

من (هامان) في الرابع عشر من شهر آذار عيداً لهم تحت اسم (البوريم – الفوز).

وهكذا سنحت الدولة الفارسية الاخمينية لهؤلاء اليهود بالعودة الى فلسطين، وفعلاً عادت القافلة الأولى من هؤلاء اليهود إلى فلسطين برئاسة (زربابل) مؤلفة من (٤٢٣٦٠) شخصاً و(٧٣٣٧) عبداً، وتبعهم بعد ذلك جمع غفير، بينما فضل قسماً منهم البقاء في العراق بعد أن تيسر لهم رغد العيش.

وعند تدمير الهيكل اليهودي على يد القائد الروماني (تيطس) في سنة (٧٠م) هاجر العديد من اليهود إلى الجزيرة العربية، حيث لقوا كل ترحيب ومودة من مضيفيهم العرب باعتبارهم لاجئين هربوا من الظلم الروماني.

وعند مجيء الإسلام كان هؤلاء اليهود اللاجئون قد استقروا في مدن وقرى وقلاع عديدة في كافة أركان الجزيرة العربية في يثرب وخيبر وفدك وتيماء، وقد عقد الرسول محمد (صلى عليه وسلم) معهم معاهدة المدينة واعتبرهم من أهل الذمة، ولكنهم مع ذلك نكثوا بعهدهم، وهذه سجية فيهم لا تكاد تفارقهم، ورغم ذلك فقد كانوا محل اهتمام ورعاية من قبل كافة الدول الإسلامية التي تعاقبت على الحكم بناءً على مقتضيات الشريعة الإسلامية، بل إن بعضهم ارتقى مناصب مرموقة في عهد الدولة الفاطمية في مصر ونالوا رغد العيش فيها، وبخصوص موقف الخلافة العباسية منهم يذكر الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي أثناء زيارته لبغداد سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م بأن عدد يهود بغداد يقدر بأربعين ألفاً وحدها يعيشون بأمن وعزّ ورفاهية.

الحركة الصهيونية وأثرها
على الأوضـــاع فــي العـــراق

بعد ظهور الحركة الصهيونية عام ١٨٩٧ بقيادة المواطن النمساوي الدكتور تيودور هرتزل وإخفاقه في الحصول على أرض فلسطين من قبل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، فإن هرتزل عرض على الثري اليهودي اللورد روتشيلد مشروعاً آخر يتضمن في إنشاء مستعمرات يهودية في العراق، وبالفعل كتب هرتزل في ٤ حزيران ١٩٠٣ إلى عزّت باشا رئيس الوزراء العثماني يذكره بالوعد الذي قطعه على نفسه للسماح للمنظمات اليهودية بإيجاد مستعمرات يهودية لها في العراق، لذا ما أن تسلم إسرائيل زانكول قيادة المنظمات الصهيونية الإقليمية عام ١٩٠٩، فكّر أن بلاد ما بين النهرين Mesopotamia

هي الأرض الصالحة لإنشاء وتكوين المستعمرة الصهيونية، لاسيما وأن طائفة كبيرة من اليهود استقروا فيها منذ أيام الأسر البابلي.

ومن أجل تحويل هذه الأفكار والمشاريع المقترحة إلى وقائع ملموسة على صعيد الواقع فقد بذل اليهود الكثير من الجهود للسيطرة على الإقتصاد العراقي وشراء مساحات واسعة من الأراضي في ألوية الديوانية والعمارة، ومناطق زراعية خصبة في دهوك، كما اشتروا أراضي بغداد بالذات ناحية الكرادة الشرقية (حيث الغالبية الشيعية)، ولكنهم أخفقوا في شراء الأراضي في منطقة الأعظمية (حيث الغالبية السنية) لإدراك أهاليها ووعيهم بما يبيته اليهود من خطر استراتيجي.

وحين نجحت الحركة الصهيونية طوال خمسة عقود من خلق وعي توراتي بين يهود العراق بخصوص العودة إلى أرض الميعاد، ولاقت دعماً من بعض الوزارات العراقية المتعاقبة في النظام الملكي، ولذلك بدأت عملية ترحيل اليهود عن العراق خلال عامي ١٩٥٠-١٩٥١ وكانوا خلالها يقولون علناً:

(سيأتي اليوم الذي نعود فيه إلى العراق لإستعادة أملاكنا)، وقد أعلن موشي دايان يوم ٦ حزيران ١٩٦٧ يوم احتلال القدس (لقد استولينا على أورشليم ونحن في طريقنا إلى يثرب وبابل). وهذا يدل على أهمية العراق عند واضعي استراتيجية الحركة الصهيونية ومن بعدها الحكومة الإسرائيلية لتحقيق حلمهم من النيل إلى الفرات.

وبعد قيام إسرائيل فإنها كانت تعتبر العراق البلد الأخطر عليها وهذا يثبت من كلام ديفيد كمحي مدير عام وزارة الخارجية الإسرائيلية الأسبق بقوله في كتابه المعنون (الخيار الاخير) حيث قال: (العراق هو البلد الوحيد الذي قاوم إنشاء دولة إسرائيل في العام ١٩٤٨، ورفض التوقيع على اتفاق الهدنة من أجل إنهاء الحرب مع إسرائيل، ولقد مالت إسرائيل إلى الأكراد الذين حملوا السلاح بزعامة الملا مصطفى بوجه بغداد بعد أن رفض طلبهم بالاستقلال).

ويعترف السياسي الكوردي الدكتور محمود عثمان عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني سابقاً وعضو البرلمان العراقي حاليا بالعلاقة الكوردية الإسرائيلية في كراس اصدره عام ١٩٧٧ تحت عنوان (تقييم مسيرة الثورة الكوردية وانهيارها والدروس والعبر المستخلصة منها)، وفي محاضرته في نادي الكوفة بلندن في ١٩٩٤/٩/٢٨ وفي لقائه بمجلة الوسط اللندنية العدد (٩٨) في ١٩٩٨/١٠/١٣

بقوله أن إسرائيل دعمت الثورة الكوردية بالمال والسلاح للوقوف بوجه الهجمات العنيفة للجيش العراقي على كوردستان، وأنه زار برفقة الزعيم الكوردي الراحل مصطفى البارزاني إسرائيل مرتين في سنوات ١٩٦٨ و١٩٧٣.

وبعد مجيء حزب البعث إلى السلطة عام ١٩٦٨ وقيامه بالتضييق على الجالية اليهودية العراقية من خلال إعدام بعض أفرادها بتهمة التجسس عام ١٩٦٩، والسماح للبعض الآخر بالهجرة إلى خارج العراق بعد ضغط دولي شديد يذكر اليهودي العراقي والوزير الإسرائيلي الأسبق شلومو هيلل في كتابه (تهجير يهود العراق، الصفحة ٢٩٨ ما يلي: ((اضطر بعضهم -أي اليهود- إلى البحث من جديد عن مغادرة العراق بطرق غير مشروعة وتفرقوا من جديد على طرق التهريب في شمال العراق (كوردستان) إلى إيران التي سبق أن سلكها شباب وفتيات في الفترة ما بين ١٩٤٩-١٩٥١، أي قبلها بنحو عشرين سنة؛ ولكن في هذه المرة نستطيع القول بأن اليهود الفارين من العراق كانوا يحصلون على مساعدة كاملة من الأكراد في شمال العراق، وإذا كان المهاجرون اليهود يستقبلون لدى وصولهم إلى القرى الكوردية في شمال العراق بحفاوة وتكريم ويشعرون في الواقع ببداية خلاصهم...)).

وعلى أية حالة فبعد سقوط بغداد عام ٢٠٠٣ دخلت إسرائيل على الخط بقوة وواتتها الفرصة حيث احتفل شعبها وحاخاماتها بسقوط بابل، وبدأت الصحف والشائعات تشير إلى تغلغل وتسلل إسرائيلي إلى العراق ومحاولة شراء العقارات والأملاك في بغداد والمدن الرئيسية في العراق، وكيف أنهم استقروا في بعض مناطق بغداد الراقية لإتمام صفقاتهم بواسطة بعض السماسرة العراقيين، كما راجت شائعات عن تغلغلهم في بنية المنظمات الأجنبية الإنسانية؟ العاملة في العراق فضلاً عن مهمات أمنية لرجال هدفهم حماية منتسبي الشركات الأجنبية العاملة في العراق من هجمات المقاومة العراقية.

ولابد من الإشارة إلى تواجد كثيف للمنظمات والإرساليات التنصيرية وتحديداً الإنجيلية في العراق بصورة عامة وكوردستان بصورة خاصة، حيث كان لهذه الإرساليات قصب السبق في التواجد في منطقة كوردستان بعيد حرب الخليج الأولى، وكانت تتلقى الدعم من المنظمات الإنجيلية في أمريكا وأوروبا عن طريق تركيا. ولكن بعد سقوط العاصمة بغداد عام ٢٠٠٣ زاد نشاط هذه الإرساليات وامتد نشاطها إلى العاصمة بغداد وغيرها من المدن العراقية، وأصبح مصدر الدعم هذه المرة عن طريق الأردن ومصر حيث لهذه المنظمات تواجد كثيف بحكم العلاقة الخاصة بين أمريكا وهاتين الدولتين.

ومهما يكن من أمر فإن الإنجيليون يدعمون إسرائيل بكل قوتهم ولا غرابة في ذلك فغالبية الإنجيليين ينتمون إلى الصهيونية المسيحية التي سبقت الصهيونية اليهودية في محاولتها إنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، لذلك فالمنظمات والإرساليات الإنجيلية هي عيون إسرائيلية في مناطق تواجدها حسب قول العديد من الشخصيات الآشورية، وقد اتهمت بعض هذه الشخصيات العائدة للحركة القومية الآشورية وبعض آباء الكنائس العراقية من كلدانية وسريانية وآثورية وغيرهم من الكنائس الارثوذكسية غير الخلقدونية، الإنجيليون البروتستانت بأنهم جواسيس لإسرائيل، وقد جاءوا إلى المنطقة بقصد زرع الشقاق بين المسلمين والمسيحيين الذين تعايشوا لمئات السنين.

وكانت إحدى الصحف الأمريكية قد ذكرت أن هناك تواجد إسرائيلي في شمال العراق (كوردستان) الغرض منه مراقبة الدولتين الجارتين إيران وسوريا وتدريب الميليشيات الكوردية (البيشمركه) بحيث تستطيع الوقوف بوجه المليشيات الشيعية المدعومة من إيران، فضلاً عن محاولة زرع مجسات تنصت على المفاعل النووي الإيراني (رغم بعد المفاعل عن كوردستان). ولقد لاقت هذه الأخبار دعماً من بعض وسائل الإعلام التركية والعربية، وعندما سئل الزعيم الكوردي مسعود البارزاني عن هذا التواجد في شمال العراق أجاب قائلاً: بأن طريق الإسرائيلين القادمين إلى العراق سيكون عن طريق بغداد وليس أربيل في إشارة إلى احتمال تواجد إسرائيلي مع المحتلين الأمريكان.

والغريب أن الصحف التركية عند إشارتها إلى التواجد الإسرائيلي في شمال العراق تغفل بقصد أو بدون قصد عن العلاقة الاستراتيجية بين الجيشين التركي والإسرائيلي وكيف أن بعض الخبراء الإسرائيليين كانوا يرافقون الجيش التركي في تعقبه لفلول حزب العمال داخل كوردستان العراق في عقد التسعينات من القرن الماضي، فضلاً عن دور الموساد الاسرائيلي في اختطاف زعيم حزب العمال الكوردستاني (عبد الله اوجلان) في نهاية عام ١٩٩٨ من كينيا الى تركيا. يقول عميل الموساد الاسرائيلي السابق (فيكتور اوستروفسكي) في مقال له حول هذا الموضوع: (ان الموساد كان يراقب اوجلان. خلال وحدة الانصات المعروفة بوحدة ٨٢٠٠ وذلك لغرض الاستفادة منه يوماً ما للتقرب من تركيا، الى أن نجحت خطتها هذه واستطاعت إبرام عدة اتفاقيات عسكرية وأمنية مع تركيا سنة ١٩٩٦، ومن ثم بدأت حينئذ بالتعاون مع الحكومة التركية للتآمر على اوجلان. وحين اجبر اوجلان على ترك سوريا سنة ١٩٩٨ وكان ينوي التوجه الى ايطاليا،

قام الموساد بأخبار السلطات الامنية الايطالية سلفاً بخطة اوجلان، وبالفعل تم القاء القبض عليه عقب وصوله الى مطار روما في ١٩٩٨/١١/٣١ ورفض طلبه للحصول على حق اللجوء السياسي الى ان اجبر في نهاية المطاف على التوجه الى كينيا المعروفة بكونها مركزاً رئيسياً للمخابرات الاسرائيلية والامريكية بجواز سفر قبرصي مزور تحت اسم (مافروس لازاروس) ومن ثم تم اختطافه الى تركيا).

أوجلان كان شخصياً على علم بأن الموساد الاسرائيلي يلاحقه، وقال في اخر مقابلة صحفية له مع الصحفي الفرنسي المشهور (كريس كوجيرا) حين كان موجوداً في روما: (أن تركيا مصممة على معاقبتي وهي تستطيع القيام بذلك بدعم اسرائيلي).

ومن جانب اخر فأن اسرائيل استغلت اغتيال جهاز المخابرات الايراني (سوما) للدكتور عبد الرحمن قاسملو رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني الايراني مع اثنين من رفاقه في فينّا في ١٩٨٩/٧/١٣ للضغط على ايران للافراج عن الطيار الاسرائيلي الرائد (رون اراد) الذي اسقطت طائرته فوق لبنان في تشرين الاول ١٩٨٦، وتعتقد اسرائيل بأنه موجود حتى الان في ايران.

أما بخصوص العرب فقد توالت تصريحات السياسيين والإعلاميين بهذا الخصوص ومن أبرزها تصريحات الدكتور مصطفى الفقي رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشعب المصري لقناة الجزيرة قائلاً: بأنه يعتقد بتواجد إسرائيلي في شمال العراق وعندما سأله المذيع ما هي مصدر معلوماتك؟ فكان جوابه بأنها استنتاجاته الشخصية من خلال ما ينشر عن هذا الموضوع في الصحافة العالمية، وليست لديه معلومات دقيقة بهذا الخصوص، كما لايمكن نسيان تصريحات رئيس حزب الله واركان حزبه بهذا الخصوص.

وفي اعتقاد الباحث أن مصدر المعلومات بخصوص التواجد الإسرائيلي في كوردستان العراق قد تأخر كثيراً، فقد زار عدد من اليهود الكورد كوردستان عن طريق تركيا لزيارة أقاربهم في منتصف عقد التسعينات من القرن العشرين بعد فراق دام أكثر من ثلاثين عاماً، حيث تتواجد جالية يهودية كوردية كبيرة في إسرائيل لازالت حريصة على عاداتها وتقاليدها الكوردية، خاصة بعد الصراع الذي حدث بين اليهود الغربيين (الاشكنازم) واليهود الشرقيين (السفارديم)، وقد تلاشت هذه الزيارات في الآونة الأخيرة، وربما اعتمدت الصحافة على هذه الأخبار القديمة حول لم شمل العوائل وبالغت فيها ودلست

عليها وجعلت من الحبّة قبّة كما يقول المثل.

ومن جهة أخرى فإن بعض القادة الأمريكيين صرحوا في مرات عديدة بأن عليهم الاستفادة من الخبرة الإسرائيلية في قتال المدن وحرب الشوارع، فلذا فليس من المستحيل تواجد خبراء عسكريين إسرائيليين في دعم قوات الاحتلال الأمريكي فيما يسمى بالمثلث السني الملتهب، في إشارة إلى مدن الفلوجة والرمادي وبعقوبة والموصل وغيرها، وقد أثبتت الأيام صحة هذا التقدير فقد ذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية في عددها الصادر في ١٢/١٢/٢٠٠٤ بأن هناك ثمانية مستشارين إسرائيليين يعملون في العراق بناءً على طلب أمريكي.

إذاً فالعلاقة الاستراتيجية وقبلها العقدية بين أمريكا وإسرائيل ربما سهلّت إلى حد كبير بتواجد خبراء وجنود إسرائيليين مع الجيش الأمريكي في كافة أنحاء العراق، فضلاً عن تسلل الإسرائيليين إلى العراق بواسطة الشركات المتعددة الجنسية كخبراء ومراقبين ومستشارين ومرتزقة في الشركات الامنية، وهناك احتمال بأن بعض جنود الجيش الأمريكي ربما يحملون الجنسية الإسرائيلية فضلاً عن جنسيتهم الأمريكية.

فلماذا تشن هذه الحملة العربية التركية الشرسة ضد الكورد وقياداتهم بشأن علاقاتهم مع اسرائيل، هل هي لذر الرماد في العيون!! ام لكسب الاصوات الانتخابية من شعوبهم المغلوبة على أمرها، والتي لا تعلم ما يدبر لها قادتها في قابل الايام من خطط مدروسة للحفاظ على كراسيهم وضمان حتى مستقبل كراسي ابنائهم واحفادهم على سدة الحكم أيضا.

حقيقة العلاقات الكوردية الإسرائيلية(*)

تعد المسألة الكوردية في نظر العديد من الباحثين المسلمين من العرب والفرس والترك مشروع غربي، أو بالأحرى اسرائيلي صهيوني غايته تفتيت الوطن العربي وبقية دول الشرق الأوسط الى دويلات عرقية (اثنية) وطائفية حتى تكون اسرائيل هي القوة الرئيسية والمهيمنة بين تلك الدول الصغيرة! ولذلك اعتبروا المسألة الكوردية ورقة يلعب بها الغرب متى شاء اي بعبارة أخرى وسيلة ضغط يمارسها الغرب على الأنظمة العربية الثورية كلما حاولوا النهوض بشعبهم وامتهم الى ذرى المجد تحت شعارات الصمود والتصدي، وهم في الحقيقة ادوات الغرب واسرائيل لحمايتها من الجماهير العربية.

وبناءً على ما تقدم فقد صدرت العديد من الكتب والبحوث في المجلات المحكمة والصحف السيارة في الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين وفي لقاءات الفضائيات حول هذه المسألة التى تحولت الى ما يشبه الظاهرة من كثرة تطرق الاعلام العربي والتركي اليها.

وكنت في حقيقة الأمر أعرض عن الرد على مثل هذه الخزعبلات التى ما انزل الله بها من سلطان، فالمسألة الكوردية ومطالبة الكورد بحقوقهم اقدم مما يعتقد بكثير فهي اقدم من المشروع الصهيوني الذي قدمه اليهودي النمساوي هيرتزل في المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في مدينة بازل السويسرية عام ١٨٩٧ بعقود كثيرة فالثورات الكوردية التى قادها امراء بدرخان ترجع الى النصف الاول من القرن التاسع عشر وثورات شيوخ نهري ترجع تحديداً الى عام ١٨٨٠.

وعلى أية حال فهي قضية شعب وأمة لها إمتداد في التاريخ وماض عريق تكاد تكون أقدم أمة عاشت على هذه الارض -وحرمت من حقوقها- التى اقرتها الشرائع السماوية والقوانين الارضية، وكلما لاحت لهذا الشعب تباشير الفجر والخلاص والحصول على حقوقه، كلما بدأت الغيوم السوداء الملبدة بالمؤامرات والدسائس تلوح في الافق حول إتهام هذا الشعب وقياداته بالتعاون مع الكفار من اليهود والنصارى. أي أن هناك علاقة طردية بين حصول الكورد على حقوقهم وبين قائمة الاتهامات التي تلقى في طريقهم.

(*) صحيفة الشرق الاوسط اللندنية ، في عددها ٩٨٧٥ في ١١ كانون الاول ٢٠٠٥.

فقد أعدم أحد زعماء هذا الشعب الشيخ عبد السلام الثاني البارزاني بتهمة التخابر مع جهة اجنبية وهي روسيا التى دخلت في حالة حرب مع الدولة العثمانية، رغم ان ولاة الأمر في الدولة العثمانية آنذاك كانوا عملاءً للكفار وتحديداً من (اليهود الدونمة) ولذلك تخلصوا من الشيخ صاحب العمامة البيضاء في عام ١٩١٤ بالموصل، فلا عجب انه كان شيخ الطريقة النقشبندية وكان العدل والسماحة والنبل من شيمه، ولذلك لقب بشيخ النصارى نظراً لدفاعه عنهم في وجه عصابات الغزو التى كانت تريد النيل منهم ومن ممتلكاتهم باسم الاسلام بحجة أنهم نصارى.

كما يجب ان لا ننسى دور الشيخ محمود الحفيد القادري وثورته التي قادها ضد الاستعمار البريطاني عام ١٩١٩ او ما بعدها وأنشأ اول كيان كوردي تحت اسم حاكمدارية كوردستان الجنوبية، حيث اتهم هو الآخر بمحاولة فصل جزء من العراق, علما ان كوردستان الجنوبية لم تكن قد الحقت رسمياً بالعراق آنذاك، وفيما بعد أُتهم الشيخ أحمد البارزاني زعيم ثورة ١٩٣١–١٩٣٢ بالتجديف والخروج عن الاسلام واعتناق النصرانية وانشاء مذهب باطني غامض, عندما طالب بحقوق شعبه في بداية الثلاثينات من القرن العشرين.

اما الاتهامات التي سيقت بحق ابرز زعيم كوردي في التاريخ المعاصر ملا مصطفى البارزاني (١٩٠٣–١٩٧٩) فحدث ولا حرج، فقد اتهم في بداية ثورته في ١٩٤٣– ١٩٤٥ بالتعاون مع الانكلين، وبعد سنة اتهم بالتعاون مع الاتحاد السوفيتي نظير دفاعه عن جمهورية مهاباد في كوردستان ايران وسمي بالجنرال الأحمر، وفي مرحلة لاحقة ابان ثورة أيلول ١٩٦١–١٩٧٥ اتهم بالتعاون مع اسرائيل وتحديداً جهاز مخابراتها (الموساد) وان الحكومة الاسرائيلية قدمت له الدعم السخي لقاء اشغاله الجيش العراقي في عمليات ما يسمى بـ(حركات الشمال)، حتى لا يتفرغ لمقاتلة الجيش الاسرائيلي في الجبهة الشرقية، وأخذت الاتهامات تترى بحق نجليه ادريس البارزاني ومسعود البارزاني رئيس اقليم كوردستان.

وكان ديدن العديد من الحكومات العربية وغير العربية (الاقليمية المجاورة) ضخ هذه المزاعم في وسائل اعلامها المختلفة، فكان للمدعو فاضل البراك رئيس جهاز المخابرات العراقي الاسبق دور كبير في هذا المجال عندما ألف كتابه (ملا مصطفى البارزاني بين الاسطورة والحقيقة). حيث لم يستطع النيل من شخصيته وكبريائه رغم التجني الرخيص والمزاعم التي ملأ بها كتابه وتوصل من خلالها إلى إستنتاجات سقيمة بعيدة عن روح

البحث العلمي، حيث كانت شخصية البارزاني القوية طاغية عليه وعلى سيده الدكتاتور صدام فلذلك أرادوا النيل منه بعد وفاته حيث لم يستطيعوا فعل شيء في حياته رغم قيامهم بحبك العديد من المؤامرات والدسائس للنيل من هذه الشخصية الكبيرة. وكان آخرها محاولة الاغتيال البائسة التي نفذها المقبور ناظم كزار عام ١٩٧١ عندما أرسل مجموعة من علماء الدين الإسلامي من الشيعة والسنة يرافقهم مجموعة من جلاوزة الأمن للتخلص من الزعيم الكوردي ولكن القدر كان لهم بالمرصاد، وقد بانت اخيراً وظهرت الى السطح كل هذه التخرصات وسفاسف الأمور التى كان يراد منها تشويه صورة الزعامات الكوردية أمام أنظار العالم العربي والاسلامي تمهيداً لإخراج الكورد وعلى أقل تقدير احزابهم السياسية وزعمائهم من الإسلام بحجة كونهم علمانيين ومتحالفين على طول الوقت مع أعداء الإسلام! وفيما بعد اصدار الفتاوى الجاهزة وما اكثرها من وعاظ السلاطين تمهيداً لإباحة دمائهم وقتلهم على الهوية، ولدينا العديد من هذه الفتاوى الرخيصة مبثوثة في مواقع الانترنيت وعلى جدران المدراس والجوامع والشوارع في العديد من مدن العراق في وسطه وشماله.

ويبدو ان هؤلاء الكتاب العرب لم يستوعبوا الدرس ولا زالت نظريات المؤامرة تحركهم وتعقد لسانهم الا في الشأن الكوردي. وقد وقع في يدي مؤخرا كتاب تحت عنوان(أضواء على بروتوكولات حكماء صهيون، النصوص الكاملة دراسة تحقيقية تاريخية معاصرة) لمؤلفه رجا عبدالحميد عرابي الصادر عن دار الاوائل، وهنا الأمر طبيعي فلكل باحث الحرية في الكتابة في الشأن الذي يبتغيه وان يلقي المزيد من الضوء على المواضيع التى سبق وان اشبعت بحثاً، ولكن الذي أثار إستغرابي وإستهجاني هو تطرقه إلى موضوع إنشاء الدولة الكوردية وربطها بالمشروع اليهودي لتفجير منطقة الشرق الاوسط، وهو في هذا الموضوع كالببغاء يسرد حكايات اسلافه السابقين البراك وغيرهم ويجترها، ويحاول إضافة المزيد من هذه الخزعبلات المجانبة للواقع وللتاريخ، واليكم النصوص التى دونها المؤلف حول هذا الموضوع حتى يكون القارئ العربي على بيّنة من الأمر قبل شقيقه الكوردي: ((الحقيقة، ان الورطة الكبرى التى سيورط فيها اليهود أمريكا، هو ضغطهم عليها لإنشاء دولة كوردية تخدم مصالح (اسرائيل) والصهيونية العالمية، وان قيام هذه الدولة سيخلق بؤرة توتر وصراعاً اقليمياً يتراجع معه الصراع العربي الاسرائيلى الى الوراء، فقد جاء في تحليل كتبه (ديك هاملتون) قوله (أن هناك إلحاحاً اسرائيلياً صهيونياً على بعث مشروع الدولة الكوردية) وجاء فيه (ان خبراء ومراقبون- هنا في واشنطن يقولون ان(اسرائيل) تلح في إتصالاتها السرية، وعبر مراكز الدراسات

الاستراتيجية التى تسيطر عليها(اسرائيل)، وتؤثر في صياغة القرار الامريكي، تصر(في هذه الدراسات) على وضع الأسس لبناء دولة كوردية مستقلة. وسيكون الهدف الحقيقي لهذا المشروع هو تفجير الدول الاربع: العراق وتركيا وايران وسوريا، ويعتقد الخبراء والمراقبون ان هذا المشروع يهدد فعلاً- الوحدات الجغرافية المحيطة بالعراق، وانه سيحرك المستنقع الآسن للأقليات والطوائف، ليفرض سلسلة من المواجهات والحروب والمنازعات، تمزق هذه الوحدات، وتؤدي الى إقامة دويلات صغيرة تتحالف معها (اسرائيل بهدف دعمها وحمايتها, فتتحول المنطقة الى مزق بشرية جغرافية.

وهكذا، فان اقامة الدولة الكوردية يحجم تركيا وايران وعراق المستقبل وسوريا, لأن الدولة الكوردية المطلوبة اسرائيلياً، سوف تقطع من هذه الدول الاربع، وستفتح باب الصراع والحروب والمنازعات الأهلية، لزمن طويل يستهلكها، ويستنزف قواها ويجعلها ارضا خصبة للتدخل الاسرائيلي. ويشرح تقرير آخر الموضوع الكوردي، فيؤكد (من وجهة نظر (إسرائيل)) أن الدولة الكوردية هي المشروع الوحيد الممكن التنفيذ في المنطقة، دون تدخل خارجي كبير؛ لأن بنية الدولة الكوردية أقيمت في شمال العراق، وهي قادرة- بكوادرها السياسية والعسكرية والإدارية- على إقامة كيان بشري متعاطف مع (إسرائيل، ويذكر التقرير بالمساعدات السخية التي قدمتها (إسرائيل) للمتمردين الأكراد في شمال العراق، خلال الستينات والسبعينات من القرن الماضي، ليؤكد أن الدولة الكوردية ستكون صديقة (لإسرائيل) ولأمريكا (كما يرى اليهود)، وستستعين بأمريكا و(إسرائيل) ضد العرب والأتراك والإيرانيين، وبذلك تكون هٰذه الدولة الكوردية تحت النفوذ الاسرائيلي الدائم، وذلك يؤدي إلى توسع (إسرائيل) في منطقة الشرق الأوسط. "إن قيام هذه الدولة الكوردية بمساندة وحماية ورعاية إسرائيل والصهيونية يكون أشد خطرا على الأمة العربية من قيام إسرائيل نفسها" الصفحة ٢١٨-٢٢١. وكان الرئيس الإيراني الأسبق رفسنجاني قد سبق الآخرين في التحذير من قيام دولة كوردية واعتبرها اسرائيل الثانية، كان ذلك أثناء زيارته لجنوب افريقيا.

وقبل ان ابدأ في الرد على مثل هذه المزاعم والاباطيل الملفقة بحق الكورد لا بد من الإشارة الى أن الإناء ينضح بما فيه، فالعلاقات السرية بين العديد من الملوك والرؤساء العرب والوكالة اليهودية قبل نشوء دولة اسرائيل ثم مع اسرائيل نفسها وتحديدا مع اجهزة مخابراتها العديدة لا تخفى على احد، فقد ظهرت الى الوجود العديد من البحوث والمقالات في هذا الخصوص تبيّن كيف التقى العديد من الزعماء والملوك العرب مع زعماء إسرائيليين في مناطق خاصة في ضواحي العاصمة البريطانية، فضلاً أن بعض

الملوك العرب كان يقدم خدمات مجانية مخابراتية للأجهزة الإسرائيلية في نقل وقائع المؤتمرات العربية والاسلامية على صعيد الملوك والرؤساء العرب. وفي الوقت نفسه يحاولون الدفاع عن القضية الفلسطينية ويعتبرونها قضية إسلامية تهم مسلمي العالم، ولا أريد أن اذكر أسماء هؤلاء الزعماء والقادة حفاظاً على المقامات وعدم التشهير. ولكنهم ان عادوا عدنا. أما قضية كوردستان فهي قضية شعب متمرد! على حكومة ميشيل عفلق منظر البعث الاسلاموي!؟ يعيش على سطح المريخ؟ فاذا ما انتهكت حرماتهم أو قتلوا فكأن شيئاً لم يكن لأنهم (أحفاد الجن والعفاريت).

أما بشأن وجود علاقات سياسية بين الحركة التحررية الكوردية واسرائيل فهذه لم ينفيها احد كعلاقة بين متكافئين، أو لدفع الظلم عن شعب مظلوم. والاستنجاد حتى بالمشركين جائز في هذا الأمر أقره العديد من الفقهاء، وهذا ما بدا واضحاً عندما استنجدت السعودية وغيرها من دول الخليج بالولايات المتحدة الأمريكية لإنقاذهم من الغزو الصدامي، فقد اصدر مفتي السعودية وكبير علمائها الشيخ عبدالعزيز بن باز فتوى بهذا الخصوص. فلماذا تعتبر حلالاً لهم وحرام على غيرهم علماً أن الجيش الإسرائيلي لم يتواجد على أرض كوردستان، وان كوردستان بعيدة عن اسرائيل وان الطريق اليها يمر عبر الدول العربية والاسلامية. كل ما هنالك وجود بعض الأطباء والممرضين وبعض الخبراء العسكريين والأمنيين آنذاك. والسبب المباشر في هذه العلاقة هو في الحقيقة جاءت في معرض الحرب التي شنتها الانظمة العراقية المتعاقبة بدءا من نظام الزعيم عبد الكريم قاسم وانتهاءاً بصدام حسين، هذه الحرب التي كان يراد منها في الظاهر اخماد ما يسمى بحركات الشمال وفي الباطن استباحة كوردستان وتدمير قلاع المقاومة فيها وجعل الكورد عبيدا أذلاّء صاغرين. وهذا ما حدا بالزعيم الكوردي الراحل ملا مصطفى البارزاني الى البحث عن اية وسيلة لانقاذ شعبه من الدمار، وكان صاحب تجربة وخبرة كبيرة بحكم ايام النضال التي قاد فيها فصائل الانصار ضد سلطات النظام الملكي العراقي. فضلاً عن تجربته في الدفاع عن جمهورية مهاباد، وفيما بعد مكوثه لكأثر من عشر سنوات في الاتحاد السوفييتي واطلاعه على الامور عن كثب، بالاضافة الى ما تقدم فان الزعيم الكوردي كان صاحب عقل استراتيجي وعلى دراية بأنه لا أمل يرتجى من الاعتماد على الاتحاد السوفييتي والكتلة الشرقية، وان اوراق اللعبة بيد امريكا لذا فانه حاول الوصول الى الادارة الامريكية مباشرةً كي يستطيع عن طريقها الحصول على أقل تقدير على بعض الحقوق لشعبه او لإنقاذ ما يمكن إنقاذه عندما تخلى عنه الأقربون ولم يرفع أحد من العرب والمسلمين عقيرته للدفاع عن حقوق شعبه المسلم المظلوم، ورأى

بثاقب بصيرته ان طريق الوصول الى امريكا يمر من خلال اسرائيل مُدللّة امريكا، وان اللوبي اليهودي فيها قوي جدا ويتحكم في كثير من مفاصل الاقتصاد والاعلام والسياسة الخارجية لأمريكا. ومع هذا فانه كان يوازن الأمور بدقة وينظر اليها من زاوية اخرى حيث كان على علم بأن العرب والاسرائيليين في حالة عداء مستحكم وان الكورد والعرب تجمعهم روابط الاسلام والتاريخ والجغرافية, لذلك كان حذرا جدا في تبني مثل هذه العلاقات رغم الحاح مستشاريه عليه نظرا للظروف الصعبة التي كان يمر بها الشعب الكوردي آنذاك خاصة بعد حكم البعث الاول في عام ١٩٦٣. ومما يؤسف له ان بعض هؤلاء المستشاريين كشفوا عن هذه العلاقة وهذا لاضير فيها, ولكن ان تصب الاتهامات كلها على شخصية زعيم الكورد ملا مصطفى البارزاني فهذا لايقبله العدل والمنطق, فهؤلاء المستشاريين هم الذين كانوا يتحركون بين العواصم لترتيب هذه العلاقات بينما كان الزعيم الكوردي الراحل قابعاً في جبال كوردستان يصد عنها صولات المغيرين, فلما انتقل الى رحمة الله بدأت الاتهامات تتلو, وهذا دليل على ضعفهم وقوة شخصية وكارزمية البارزاني. ومهما يكن من أمر فقد ابتدأت هذه العلاقة مع اسرائيل إعتبارا من ١٩٦٥ وانتهت في شهر آذار عام ١٩٧٥ بالنكسة المعروفة بعيد اتفاقية الجزائر. وفي تقييمه لهذه العلاقة مع اسرائيل اعتبرها الزعيم الكوردي السيد مسعود البارزاني احدى الهفوات التي ارتكبتها الحركة الكوردية في مسيرتها التاريخية حيث لم تجني منها غير نقد الاعلام العربي واعلام دول الجوار الاخرى التي جعلتها كقميص عثمان(اتهام جاهز) كلما ارادو النيل من الكورد.

ومن جهة اخرى فان الاعلام المعادي لتطلعات الكورد يُسخّر ماكنة إعلامه الضخمة لبث الاشاعات المغرضة حول وجود علاقات بين القيادة السياسية الكوردستانية المتمثلة في الحزبين الرئيسيين الديمقراطي الكوردستاني والاتحاد الوطني الكوردستاني وبين اسرائيل واجهزة مخابراتها (الموساد) وتواجدهم في شمال العراق (كوردستان). وغني عن التعريف فان امريكا قد احتلت العراق برمته ويتواجد حاليا حوالي ١٥٠٠٠٠ جندي امريكي فيها وانهم أي الامريكان اعترفوا بتواجد وحدة اسرائيلية خاصة من كتيبة غولاني في منطقة ابو غريب غرب بغداد وليست اقليم كوردستان، فلماذا هذا الهجوم وهذا التجني على كورد العراق وقياداته السياسية؟ يبدو ان وراء الاكمة ما وراءها، فهناك علاقات استراتيجية بين امريكا واسرائيل، وامريكا ليست في حاجة الى احد لجلب الجنود الاسرائيليين الى العراق.

أما ما يثار حول وجود صفقات عقارية أي شراء اليهود للأراضي والعقارات فليس لها

اساس من الصحة على اقل تقدير في اقليم كوردستان، ونحن غير مسؤولين اذا ما جرت صفقات بهذا الخصوص في المناطق الاخرى من العراق. أما بشأن تزويد الجيش الكوردي (البيشمركه) بمعدات واسلحة متطورة، فأسلحة البيشمركه ظاهرة للعيان أمام الجميع وهي أسلحة خفيفة ومتوسطة كانوا قد غنموها من الجيش العراقي أثناء العمليات العسكرية سابقا، او من مخلفاته بعد إنهياره عقب سقوط النظام في ٩ نيسان ٢٠٠٣.

مما تقدم يظهر ان هناك حملة ظالمة وشرسة ضد المكتسبات التي تحققت للشعب الكوردي في العراق، فلذلك اراد خفافيش الليل النيل من هذه المكتسبات بأية وسيلة كانت ولو كانت رخيصة ساذجة تمرر على عقول المغرر بهم، فالأعلام الاسرائيلية ترفرف فوق العديد من العواصم العربية والاقليمية وهناك زيارات متبادلة بين الجميع على أعلى المستويات، وقسم من هؤلاء المسؤولين يتزعمون احزابا ذات توجهات اسلامية؟ فاذا ما زار يهودي كوردي أرض آبائه وأجداده في كوردستان العراق للقاء أقربائه اقاموا الدنيا ولم يقعدوها واعتبروها عملية مخابراتية ستهدد الأمن القومي العربي والاقليمي.

ان الكورد وقياداته لهم كل الحق في إقامة علاقات سياسية مع أية جهة كانت ما دامت تخدم مسيرتهم وتطلعات شعبهم. وهم واقعيون في هذا الصدد ويدركون ما يفعلونه، وليسوا ملكيين اكثر من الملك، فأصحاب الشأن القيادات الفلسطينية يعقدون العشرات من المباحثات واللقاءات السرية والعلنية مع قادة اسرائيل في القدس المحتلة والعديد من دول العالم، فلماذا لا يوجه الاعلام تهمة العمالة الى هؤلاء ويوجهها الى الكورد الذين ليس لهم ناقة ولا جمل في هذه المعمعة. ان الكورد اذا حصلوا على حقوقهم في الفيدرالية في هذه الأيام او على الاستقلال في قابل الأيام فليس لهذا علاقة البتة بالمشروع الاسرائيلي وغير الاسرائيلي، وكما ان اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ قسمت البلدان العربية فانها قسمت كوردستان ايضا الى عدة اجزاء فاذا ما حاول الكورد ربط هذه الاجزاء وتوحيدها في كيان سياسي واحد يسمى كوردستان الكبرى فهذا لا يسمى اطلاقا اسرائيل ثانية بل على الاعلام العربي تسميتها فلسطين ثانية وسيكونون أصحاب فضل في هذه التسمية فالشعب الكوردي كان على طول الخط مع الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني التي يقرها هو نفسه، وغني عن البيان ان جد الشعب الكوردي صلاح الدين الايوبي طهّر بيت المقدس اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين من رجس الصليبيين، ونتمنى من الباري عز وجل أن يعم السلام في المنطقة وأن ترجع القدس عاصمة لفلسطين المحررة.

القسم الثاني

ركائز واسرار الدين المسيحي

يرتكز الدين المسيحي بصورة عامة على ما جاء في الكتاب المقدس بشقيه القديم والجديد، وعلى ما تناقلته الألسن مما لا يكتب وكونها من السنة أو التقليد، وتدور حول الخطيئة الأولى Originalsin، خطيئة آدم حينما عصى ربه فعوقب بالسقوط إلى الأرض وتعرض لغضب الله فعوقب بالأمراض والموت، ثم شمل الغضب ذرية الإنسان، وهكذا أصبحت خطيئة آدم متوارثة في نسله، هذا وأن كافة الأنبياء والرسل الذين جاءوا قبل المسيح مهمتهم الإعداد لإنقاذ البشرية من الخطيئة والتمهيد لظهور المسيح(١).

وتعتمد الكنيسة في عملية إنقاذ الإنسان وتخليصه على رموز دينية تدعى بالأسرار السبعة Sacraments وهي تقابل إلى حد ما الأركان الخمسة للدين الإسلامي، وسميت بالأسرار لأنها صلات الوصل الخفية التي تربط المسيح وأتباعه بواسطة روحية. وقد حدث تطور في هذه الأسرار وأضيفت إليها أسرار أخرى مع الزمن إلى أن اتخذت صورتها النهائية في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي حينما درسها بطرس لمبارد Peter Lombard في كتابه الآراء Sentences(٢).

وعن طريق ممارسة تلك الأسرار تحتضن الكنيسة الفرد النصراني من المهد إلى اللحد. وجعلت هذه الأسرار سبعاً حسبما حددها المسيح نفسه، ولأن حياة الإنسان الروحية كحياته الجسدية تتطلب هذا العدد. والمتطلبات الجسدية هي: الولادة، النمو، الغذاء، الشفاء، العدالة، التناسل، والمساعدة عند الموت، أما المتطلبات الروحية السبعة المتناظرة مع المتطلبات الجسدية والتي يشار لها بالأسرار السبعة فهي:

١- التعميد: Raptism وهو السر الذي قصد به إزالة الخطيئة الأولى ومنح الولادة الروحية

---

(١) الأب بولس اليسوعي: خلاصة الدين المسيحي، بيروت ١٩٦٥، ٨-١٠، رقماً تجدر الإشارة إليه أن الإسلام يعترف بالخطأ الذي وقع فيه آدم (عليه السلام) ولكنه لا يورث الخطيئة لنسله عملاً بالقاعدة القرآنية (ولا تزر وازرة وزر أخرى).

(٢) عبد القادر أحمد اليوسف: العصور الوسطى الأوروبية، صيدا ١٩٦٨، ص ٢٤٠، نقلا عن:

J.Robinson, An Introduction to the History of Western Europ, Boston, 1946, vol.I p.233

الثانية، ويتم ذلك عن طريق الماء عادة بالرش أو الغسل أو التغطيس. والغاية من المعمودية هو تطهير طالب الدخول في النصرانية، أو الطفل المولود لأبوين نصرانيين من خطيئة الإنسان الأصلية التي هي خطيئة آدم، بحيث يصبح المعمد جاهزاً لقبول النعمة الإلهية والخلاص من خلال المسيح(١).

٢- سر التناول (القربان المقدس) أو نظرية الحلول noitaitnatsbusnarT وهو عبارة عن تحول الخبز والنبيذ (الخمر) في جسم المتناول لها في المراسيم الدينية إلى لحم المسيح ودمه. والقربان المقدس أو العشاء الرباني هو السر الذي تدور حوله العبادة النصرانية الكنسية. وفي ممارسة هذا السر يقوم الكاهن أسقفاً كان أو قساً المترئس للخدمة الكنسية بتقديس خبز وخمر، على أساس أن الخبز بتقديسه يصبح بمثابة جسد المسيح، والخمر بمثابة دمه، وأن المؤمن الذي يأكل جسد المسيح خبزاً، ويشرب دمه خمراً يتسلم النعمة الإلهية جسدياً. ومما تجدر الإشارة أن الطقوس النصرانية وتحديداً سر القربان هو محل خلاف بين الفرق النصرانية من حيث طريقة التقديس والتقديم ونوعية الخبز هل هو مختمر أو غير مختمر.

٣- التثبيت Confirmation: وهو السر الذي يرسخ الإيمان ويمنح الفرد المقدرة للدفاع عن دينه، وتتم ممارسة هذا الطقس عن طريق مسح الجسم بالزيت وهو المسمى بالميرون (من اليونانية myron أي ما يطلى به من مادة سائلة أو شبه سائلة)(٢).

٤- التوبة Pence: وهي غفران الخطايا التي قد تكتب بعد التعميد. وتمارس التوبة عن طريق الاعتراف أمام الكاهن وإظهار الندم. وقد استغل رجال الدين النصارى من باباوات وكاردينالات وأساقفة وقساوسة هذا الطقس للتغرير بالنصارى البسطاء عن طريق منحهم صكوك الغفران لقاء مبالغ مالية معينة حسب كثرة الذنوب وقلتها، أو عن طريق بيعهم أراضي الجنة وتحديد مساحاتها حسب مبالغ مالية معينة، وهذا ما جعل بعض اليهود يستغلون هذا الوضع أسوأ استغلال عن طريق شراء أراضي جهنم بأكملها من الباباوات دون أراضي الجنة بمبالغ زهيدة، وهذا مما جعل تجارة

---

(١) بولس اليسوعي: خلاصة الدين المسيحي، ص٩٨, الحسن بن طلال: المسيحية في العالم العربي، ص٤٨ .

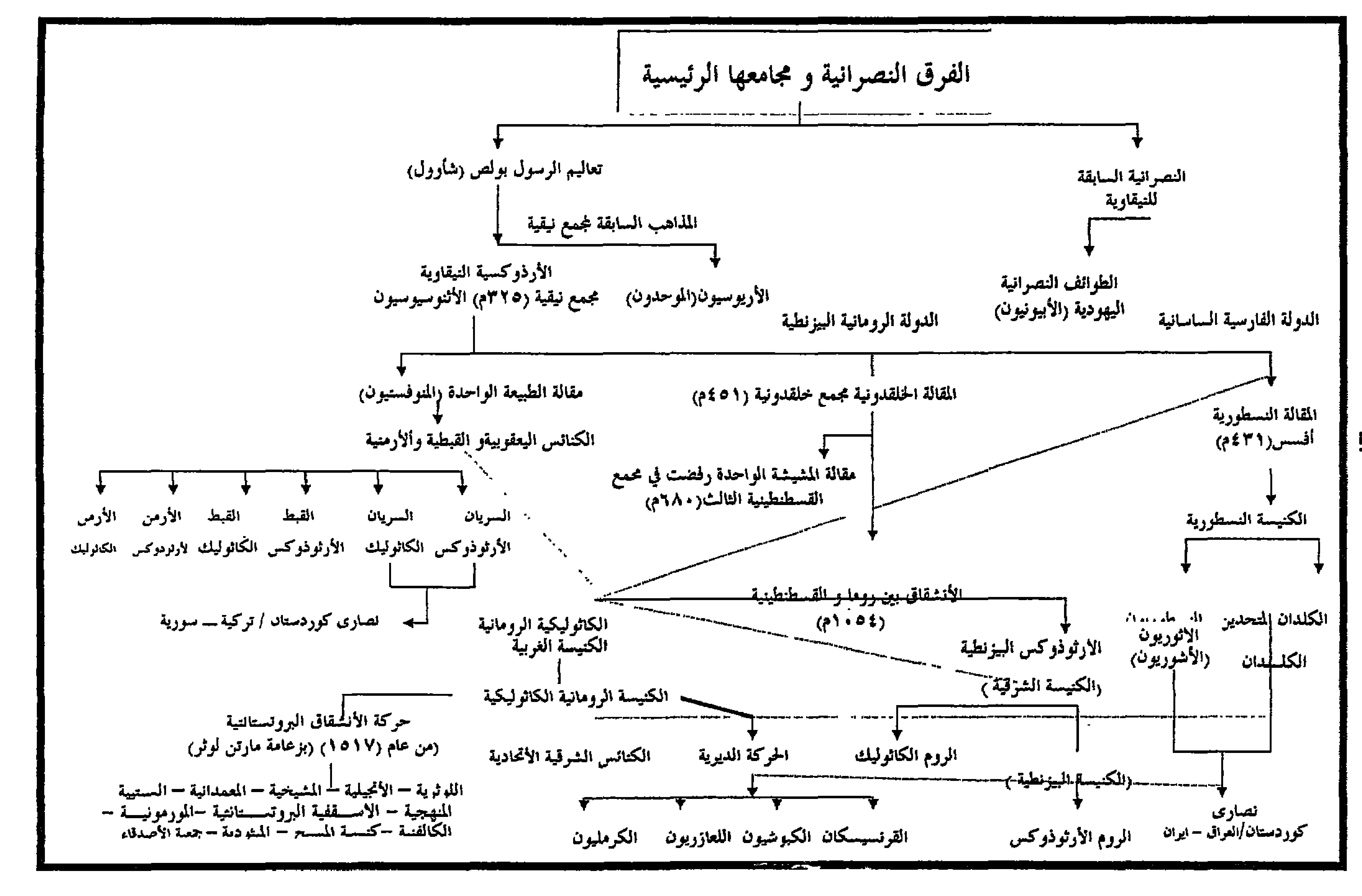
(٢) عبد القادر احمد يوسف: العصور الوسطى الاوربية، ص٢٤١؛ الحسن بن طلال: المسيحية في العالم العربي، المعهد الملكي للدراسات الدينية، مكتبة عمان ١٩٩٥، ص٤٨.

البابـاوات تبور نظراً لأن جميع النصـارى سوف يدخلون الجنة دون اليهودي الذي سوف يدخل جهنم لوحده، مما حدا بـالبـابـاوات إلى شراء أراضي جهنم بمبالـغ خيالية من هـؤلاء اليهود حتى لا تتكدس تجارتهم وتستمر عملية بيع صكوك الجنة على قدم وساق. وكان هذا الوضع أحد الأسباب التي جعلت زعماء حركة الإصلاح الديني من مارتن لوثر وكالفن وغيرهما من التمرد على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية نظراً لانتشار الدجل والشعوذة والسيمونية (شراء المناصب الدينية) على حد تعبير المؤرخين البروتستانت فيها وإنشاء مذهب جديد يدعى بـالمذهب البروتستانتي يحرم التعامل مع صكوك الغفران ووضع إطار خاص لها وهو طلب الغفران من الرب الذي هو المسيح نفسه باعتباره ابن الله والمخلص دون رجال الدين النصارى.

٥- مسحة المرضى Exrtreme Unction وهو عبارة عن دهن حواس المريض بالزيت أو مساعدته على قابلية تحمل آلام النزع (سكرات الموت)

٦- سر الكهنوت Holy Order: وهذا عبارة عن السلطة الروحية التي يمارسها الكاهن، الأسقف أو القس أثناء قيامه بواجباته الدينية.

٧- سر الأمومة Matrimony: أو سر الزواج الطاهر، ويتم ذلك بإجراءات الزواج الدينية برباط الزواج المقدس، على أساس أن هذا السر يجعل من الرجل والمرأة المتحدين بمباركة الكنيسة جسداً واحداً (سفر التكوين ٢:٢٤). وقد جاء سر الزواج هذا مستمداً حجيته من رسالة بولس إلى أفسس (مدينة أصحاب الكهف) (٥: ٣١-٣٣. "ولذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصيران كلاهما جسداً واحداً (سفر التكوين ٢:٢٤)"



الفرق النصرانية و مجامعها الرئيسية
تعاليم الرسول بولص (شاؤول)
النصرانية السابقة للنيقاوية
المذاهب السابقة لمجمع نيقية
الأرذوكسية النيقاوية
مجمع نيقية (٣٢٥م) الأثنوسيوسيون
الأريوسيون(الموحدون)
الطوائف النصرانية اليهودية (الأبيونيون)
الدولة الرومانية البيزنطية
الدولة الفارسية الساسانية
مقالة الطبيعة الواحدة (المنوفستيون)
الكنائس اليعقوبيةو القبطية والأرمنية
المقالة الخلقدونية مجمع خلقدونية (٤٥١م)
المقالة النسطورية
أفسس(٤٣١م)
مقالة المشيئة الواحدة رفضت في مجمع القسطنطينية الثالث(٦٨٠م)
السريان الأرثوذكس
السريان الكاثوليك
القبط الأرثوذكس
القبط الكاثوليك
الأرمن لارثودوكس
الأرمن الكاثولك
الكنيسة النسطورية
نصارى كوردستان / تركية ـ سورية
الأنشقاق بين روما و القسطنطينية (١٠٥٤م)
الكاثوليكية الرومانية
الكنيسة الغربية
الأرثوذكس البيزنطية
(الكنيسة الشرقية)
الكلدان المتحدين
الكلـدان
الاثوريون
(الأشوريون)
الكنيسة الرومانية الكاثوليكية
حركة الأنشقاق البروتستانتية
(من عام (١٥١٧) (بزعامة مارتن لوثر)
اللوثرية — الأنجيلية — المشيخية — المعمدانية — الستيية
المنهجية — الأسقفية البروتستانتية —المورمونية —
الكالفنة —كنسة المسح — المثودة — جمعة الأصدقاء
الكنائس الشرقية الأتحادية
الحركة الديرية
الروم الكاثوليك
(الكنيسة البيزنطية)
نصارى
كوردستان/العراق – ايران
الكرمليون
اللعازريون
الكبوشيون
الفرنسيسكان
الروم الأرثوذكس

أعياد المسيحيين

للمسيحيين أعياد ومناسبات كثيرة، فلكل قديس عيد خاص به، غير أن أبرز عيدين عندهم هما:

١- عيد الميلاد:

وهو اليوم الذي ولد فيه السيد المسيح (عليه السلام) مع اختلاف في تحديد اليوم بين الكنائس الغربية والشرقية، فبينما تحدد الكنائس الغربية ٢٥ كانون الأول- ديسمبر- من كل سنة كموعد لولادة السيد المسيح، يلاحظ أن الكنائس الشرقية الأرثوذكسية بضمنها القبطية المصرية والسريانية السورية والأرمنية تحدد يوم ٦ و ٧ كانون الثاني- يناير - من كل سنة موعداً لولادة السيد المسيح، والسبب في هذا الاختلاف بين الطوائف المسيحية جاء لاسباب عديدة، السبب المهم هو ان بابا روما گريگوري الثالث عشر (جورجيس الثالث عشر) أوجد تأريخا يسمى بالتأريخ الگرگوري، حيث لاحظ الفلكييون في عهده خطأ في الحساب الشمسي، وان الفرق بين السنة المعمول بها والحساب الحقيقي هو (١١) دقيقة، (١٤) ثانية، وهو يعادل يوماً في كل ١٢٨ يوماً، وصحح البابا الخطأ المتراكم فأصبح يوم ١٥ تشرين الاول/ اكتوبر سنة ١٥٨٢ هو التقويم المعروف بالگريگوري السائد الان. ومما تجدر الاشارة اليه ان جميع الطوائف المسيحية ليست مرتبطة، فبعض الطوائف تابعة للكنيسة الارثوذكسية بشقيها الخلقيدوني وغير الخلقيدوني لذلك لم تصحح تواريخها مثلما فعلت روما، السبب الاخر هو ان الاعياد مرتبطة بالزراعة وموسم الحصاد فالاعياد الوثنية السابقة تعتبر يوم الحصاد وهو يوم العيد يوم القيد لانه اليوم الذي تقدم فيه القرابين للالهة، وبما ان مواعيد الحصاد تختلف من بين أوربا والشرق الاوسط بسبب اختلاف الطبيعة الجغرافية والمناخية، لهذا كانت اعياد الشرق قبل المسيحية تختلف عن اعياد الغرب، وان المسيحية قد تجاوبت مع الوثنية وحاولت احتوائها، ففي اوربا كان هناك عيد يسمى عيد الشمس وهو يوم ٢٥ آذار فلذلك اعتبر المسيحيون ان هذا اليوم هو اليوم الذي دخل فيه السيد المسيح في احشاء السيدة مريم العذراء، وبما ان المرأة تحمل ٩ اشهر فحدد يوم ١٢/٢٥ هو ولادة المسيح بسبب مقولة قالها احد الرهبان في الاسكندرية في القرن الثاني الميلادي، ان السيد المسيح دخل الارض

وطلب في نفس اليوم، ربما ان المسيحيين حددوا يوم ٢٥ آذار هو يوم لصلب المسيح أي في يوم عيد الشمس لذلك اصبحت قناعتهم ان ١٢/٢٥ هو يوم مولد السيد المسيح بينما في المشرق خصوصاً مصر فقد كان ٦ نيسان يوم ابن النيل وهو اليوم الذي يفيض فيه النيل طالبا العروس حيث يرمون اليه بأحدى الفتيات المصريات، فقالوا ان صلب المسيح كان في يوم عيد النيل، وبما ان يوم الصلب هو نفس يوم دخول الارض لذلك اعتبروا ولادته بعد تسعة أشهر (الولادة الطبيعية) اي ٦ كانون الثاني عند الأرمن و ٧ كانون الثاني عند الاقباط المصريين[1] ويطلق على هذا العيد عند النصارى بالعيد الصغير.

٢- عيد الفصح: وهو لفظ عبري معناه (عبور) ويسمى أيضاً (عيد الفطير) لأن اليهود خرجوا مسرعين من مصر، ولم يعدوا خبزهم كالمعتاد، وإنما أعدوا فطيراً دون أن يختمر، وقد تحدث الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج بتفصيل عن هذا العيد، وهو أنه يبدأ مساء الرابع عشر من شهر أبيب (أي نيسان – أبريل) ويستمر إلى اليوم الحادي والعشرين مساءً، ثم يذبحون فيه خروفاً، فالدم المسفوك يشير إلى التكفير، والأعشاب المرة إلى مرارة العبودية في مصر، والفطير بدون تخمير إلى الطهارة والنقاء، ورأس العائلة أو المتقدم بينهم يتلوا على مسامعهم تأريخ الفداء، ومن خالف هذه التعليمات أو أكل شيئاً مختمراً تقطع تلك النفس من جماعة إسرائيل[2]، وهذا العيد يخص اليهود والمسيحيين، فعند اليهود هو اليوم الذي أنقذ الله موسى وبني إسرائيل من فرعون مصر (منفتاح – فرعون الخروج)، أي بعبارة أخرى اليوم الذي خرج فيه بنو إسرائيل بصحبة موسى (عليه السلام) من مصر قاصدين صحراء سيناء. وعند النصارى هو ذكرى عبورهم من (العبودية الى الحرية) يقصد به خروج السيد المسيح من بين الأموات يوم الأحد بعد أن صلب وقبر في يوم الجمعة (الحزينة). وقد بنت القديسة هيلانة والدة الإمبراطور الروماني قسطنطين (٣٠٥-٣٣٧م) كنيسة على القبر المنسوب للسيد المسيح في مدينة القدس أطلق عليها (كنيسة القيامة) لقيام المسيح من بين الأموات بعد أن صلب من قبل السلطات الرومانية بوشاية يهودية حسب

---

(١) د. علي النشمي: لماذا اخلف المسحيون حول البلاد، جريدة الاتحاد، العدد ٩٠٩ في ٢٠٠٤/١٢/١٠.

(٢) المقريزي: تاريخ اليهود، ص ١٤٠- ١٤١.

اعتقاد اليهود والنصارى، بينما الصحيح أن رب العالمين رفع السيد المسيح إلى السماء وألقى شبهته على شخص آخر يعتقد بأنه يهوذا الاسخريوطي الذي كان أحد حواريي السيد المسيح الذي خانه في الأخير لقاء عرض زائل من الدنيا (٣٠ مثقالاً من الفضة). قال تعالى: "وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكٍ منه ما لهم به من علم إلاّ اتباع الظن وما قتلوه يقيناً" سورة النساء (١٥٧).

وكالعادة فإن هذا العيد تعرض كسابقه للاختلاف في تحديد موعده بين الكنائس الغربية والشرقية فهناك فئة تحتفل بذكرى (صلب السيد المسيح وانتقاله من الموت الى الحياة) حسب زعمهم، وهناك فئة تحتفل بذكرى (قيامة) السيد المسيح من بعد صلبه وعودته الى الحياة.

والملاحظ ان تأريخ عيد الفصح يختلف من عام الى اخر حسب التقويم الميلادي، ويعود ذلك الى ان المجمع المسكوني الأول الذي عقد في مدينة نيقية عام ٣٢٥م نص على ان يكون احياء تلك الذكرى واقعاً في الأحد الاول الذي يلي إكتمال البدر الذي يظهر بعد الاعتدال الربيعي، على ان يكون بعد عيد الفصح اليهودي، وبيت القصيد في هذا المجال أن الكنائس الشرقية الأرثوذكسية تعتبر يوم ٧ نيسان – أبريل عيداً للفصح حسب تقويمها، أي أن السيد المسيح صلب في يوم الجمعة ٧ نيسان قام من بين الأموات وجلس على يمين الرب في يوم الأحد التالي سنة ٣٠ ميلادية. فلا عجب أن اتخذ ميشيل عفلق[1] مؤسس حزب البعث العربي (٧ نيسان) كميلاد لحزب البعث القومي العلماني، فلم يأت هذا التاريخ اعتباطاً أو صدفة كما يخيل للبعض وإنما لهذا اليوم جذور تاريخية ترجع إلى التأريخ اليهودي والنصراني، أي بعبارة أخرى له قدسية عندهم، فعند اليهود في هذا اليوم تخلصوا من المسيح الدجال حسب اعتقادهم، وعند النصارى فإن مخلصهم خرج من بين الأموات في مثل هذا اليوم

---

(١) لقد أعلنت القيادة البعثية في العراق بزعامة صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية المخلوع بُعيد موت ميشيل عفلق في شهر حزيران ١٩٨٩م أنه قد اعتنق الإسلام وسمي بأحمد ميشيل عفلق، وجرت له مراسيم دفن إسلامية! حيث قرأ مقرئ وزارة الأوقاف العراقية علاء الدين القيسي القرآن عليه (وكان يلبس في ساعده الأيسر ساعة يدوية عيها صورة صدام حسين، فيما صلى عليه أحد أزلام السلطة البعثية المتصفين بالعلم الشرعي عبد الوهاب طعمة. وأثناء إقامة هذه الصلاة المزورة كان ابن ميشيل عفلق المدعو أياد واضعاً يده اليسرى على اليمنى في الصلاة، فتأمل أخي المسلم لهذه الخزعبلات والضحك على ذقون المسلمين!!

وجلس في السماء على يمين الرب وسيكون الديان يوم القيامة، علماً أن ميشيل عفلق وقسطنطين زريق أحد قادة الفكر القومي العربي والأستاذ في الجامعة الأمريكية ببيروت من النصارى الأرثوذكس اللذان يعتبران يوم ٧ نيسان هو عيد الفصح الأكبر حسب تقويم الكنائس الأرثوذكسية قبل أن يكون عيداً للبعثيين، وهكذا استطاع تغرير المسلمين وتمرير هذه المعطيات بين صفوف العرب المسلمين في الوطن العربي (سوريا، العراق، لبنان، الأردن، فلسطين، اليمن، السودان، موريتانيا، وغيرها من الدول العربية) بدون أي ضجة وجعل الملايين من المسلمين أقصد البعثيين يحتفلون بهذا اليوم أيما إحتفال!!

ومن الغريب أن وزير الخارجية العراقي في عقد الثمانينات طارق عزيز المقرب من ميشيل عفلق والمسيحي من الطائفة الكلدانية الكاثوليكية كان له دور كبير في رسم السياسة الخارجية والإعلامية العراقية لعقدين من الزمن وكان يتردد كثيرا على حاضرة الفاتيكان باعتباره من أتباعه الكاثوليك، في الوقت نفسه كان وزير الشؤون الخارجية المصري بطرس بطرس غالي من طائفة الأقباط الأرثوذكس، وكانوا يمثلون الشعبين المسلمين العراقي والمصري في المؤتمرات الإسلامية!! ومع ذلك فلم يثير تمثيلهما وظهورهما أية إشكالية عند الاعلام العربي والاسلامي آنذاك.

الفرق المسيحية

تمتاز المسيحية بكثرة الفرق والطوائف المنسوبة إليها دون غيرها من أديان العالم، ففي أمريكا لوحدها توجد أكثر من مائتين وخمسين فرقة مسيحية. ويذكر أحد الباحثين أن مندوب وكالة الأنباء العالمية قام بتقصّي الفرق المسيحية في أفريقيا في الثاني عشر من آب – أغسطس فأعلن (أنها بلغت أكثر من ألف وأربعمائة طائفة). لذا من الصعوبة بمكان دراسة جميع هذه الفرق والطوائف وإنما سنحاول دراسة الطوائف والمذاهب الرئيسية المسيحية القديمة من ملكانيين ونسطوريين ويعاقبة (منوفستيين)، ومن ثم سنتطرق الى الفرق الرئيسية المعاصرة، ومن هذه الفرق:

النسطورية:

تنسب هذه الفرقة الى البطريرك نسطوريوس(١) الذى نصبه الامبراطور البيزنطي

---

(١) قضى نسطوريوس سنواته الاولى في مقاطعة جرمانيسيا في سورية (مرعش الحالية في جنوب =

ثيودوسيوس(٣٩٥- ٤٣٠ م) بطريركاً على القسطنطينية سنة ٤٢٨ م. وتعاليم نسطورس في الحقيقة هي محاولة للعودة الى التوحيد أو التقرب منه بعد تقرير التثليث كعقيدة في المجمع المسكوني الاول الذي عقد في مدينة نيقية (أزنيك التركية) عام ٣٢٥م في عهد الامبراطور قسطنطين (٣٠٥ - ٣٣٧م)، وقد رأى نسطوريوس أن هناك اقنوما وطبيعة، فأقنوم الالوهية من الأب وتنسب اليه، وطبيعة الانسان قد ولدت من مريم، فمريم أم الانسان وليست أم الاله. ويقول في المسيح الذي ظهر بين الناس وخاطبهم، كما نقل عنه ابن البطريق: "ان هذا الانسان الذي يقول انه المسيح بالمحبة متحد مع الأب، ويقال انه الله أو ابن الله ليس بالحقيقة ولكن بالموهبة" ويظهر من هذا ان المسيح الذي ظهر بين الناس لم يكن ألها بحال من الاحوال، ولكنه مبارك بما وهبه الله من آيات وتقديس، ولهذا جاء في كتاب تاريخ الأمة القبطية ما نصه: "النسطوريون ينكرون ألوهية المسيح."[1]

وقد مهد نسطوريوس ذلك الأساس للقول بطبيعتين او اقنومين: أقنوم الانسان وأقنوم الله ولا ان تسمى مريم العذراء أم لله بل هي بشر ولدت المسيح بالشخصية البشرية، وأن المسيح مات على الصليب كأنسان. فاعتبرت تعاليم نسطوريوس هرطقة وبدعة ضالة تخالف المبادىء الرئيسية التي تدين بها الكنيسة. وعلى اثرها انعقد مجمع أفسس[2] في سنة ٤٣١م وأتهم نسطوريوس بالضلال والاتحاد وتم عزله من اسقفيته ومن ثم نفي الى أحد الاديرة القديمة في انطاكية ومنها الى مصر حيث توفي سنة ٤٥١م[3]. ومما تجدر الاشارة اليه أن اسقفية انطاكية وقفت الى جانب نسطوريوس مؤيدة لتعاليمه، ولكن سيريل بطريك الاسكندرية وأتباعه وأساقفة روما كانوا ضد نسطوريوس وظلوا متمسكين

= تركيا) ودرس في كنيسة انطاكيا حيث تشرب بمبادىء مدرستها اللاهوتية الشهيرة فأصبح راهبا في احد الاديرة، ثم عين قسيسا فأشتهر بالزهد واستقامة الرأي، وعلى هذا رشحه الامبراطور ثيودوسيوس الثاني الى كرسي الاسقفية (أبرشية القسطنطينية) سنة ٤٢٨ م.

(١) محمد ابو زهرة: محاضرات في النصرانية، الرئاسة العالمة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، ١٤٠٤هـ، ص ١٦٥-١٦٧، د. احمد شلبي: مقارنة الاديان المسيحية، الطبعة السادسة، ١٩٧٨- ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٢) افسس: مدينة يونانية قديمة تقع بقاياها بالقرب من قرية سلجوق في مقاطعة ازمير التركية الحالية جنوب غرب تركيا على ساحل بحر ايجة.

(٣) هناك خلاف في تأريخ وفاته حيث يذكر الباحث الروسي (بار متي) ان نسطوريوس قد توفي في ليبيا سنة ٤٥٣م .

بالرأى القائل بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح وصار هؤلاء يعرفون بالمنوفستيين، ولم يمض وقت طويل حتى صار للنساطرة اتباع كثيرون مما أدى الى نمو النسطورية وبروز الانشقاق الخطير في الكنيسة المسيحية.

اليعقوبية

وما أن أدين نسطوريوس في مجمع أفسس عام ٤٣١م حتى جاء دور كنيسة الاسكندرية لمحاولة فرض تعاليمها عن (الطبيعة الواحدة) (باللاتينية Monophsita من اليونانية Monphysis) للكلمة المتجسدة على الكنيسة المسكونية، وذلك زمن البطريرك كيريلوس وخلفه ديونسكورس وهما اللذان وصفهما خصومهما بأنهما: (فرعونان خلف الواحد منهما الآخر)(١). وهذا ما حدا ببابا روماليون الأول المعروف بالكبير (٤٤٠-٤٦١م) الى معارضة مذهب الطبيعة الواحدة معارضة شديدة يسانده في ذلك الامبراطور البيزنطي موكيانوس (٤٥٠-٤٥٧م) الذي خلف الامبراطور العظيم ثيودوسيوس العظيم، والذي كان مطلعاً على الدعم اللامحدود الذي يلاقيه النساطرة المعارضون للدولة البيزنطية من جانب الدولة الفارسية(٢)، لذا اراد هذا الامبراطور وضع حد لهذه الانقسامات داخل الكنيسة النصرانية، فدعا الى عقد مجمع مسكوني في خلقيدونية(٣) عام ٤٥١م، وقد اقر هذا المجمع المدون المسكوني الرابع، بأن المسيح ليس له طبيعة واحدة بل طبيعتان، كل واحدة منهما كاملة بنفسها ومتميزة عن الاخرى، ولكنهما متحدتان اتحاداً تاماً في شخص واحد هو الله، وهو انسان في الوقت نفسه(٤).

وفي الواقع ان قرارات المجمع الخلقيدوني اسفرت عن انقسام فوري داخل كنيسة

---

(١) الحسن بن طلال: المسيحية في العالم العربي، ص٦٠.

(٢) احمد سوسة: ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، جامعة بغداد، مركز الدراسات الفلسطينية،الطبعة الاولى ١٩٧٨، ص١٠٤.

(٣) خلقيدونية:Chalcedon ميناء قديم من مدن اقليم بثيانيا يقع في الجانب الآسيوي المقابل لمدينة القسطنطينية، خربها الملك الفرثي مثريدات السادس عام ٦٣ق.م ثم استعادها الرومان، احتلها الملك الفارسي كسرى الثاني في سنة ٦١٦م، وهي اليوم بلدة قاضي كوي Kadikoi احدى ضواحي مدينة استنبول.

(٤) ديلاس اوليري: الفكر العربي ومكانه في التاريخ، ترجمة تمام حسان، مراجعة محمد مصطفى حليم، عالم الكتب، القاهرة، ص٥٤-٥٦ الحسن بن طلال: المسيحية في العالم العربي، ص٦١.

الاسكندرية ما بين الاقباط (المصريون الاصليون) الذين بقوا متمسكين بمذهب الطبيعة الواحدة وبين اليدوناتيين الذين قبلوا بالتحدي الخلقيدوني للعقيدة النصرانية الارثوذكسية[1]، وهؤلاء عرفوا في مصر وبلاد الشام بأسم الملكية او (الملكانية) ربما نسبة الى الملك بالسريانية (ملكا) إشارة الى الامبراطور البيزنطي الذي ترأس جلسات المجمع الخلقيدوني[2].

وفي الكنيسة الانطاكية انقسم النصارى بعيد المجمع الخلقيدوني بين فريق مؤيد لقراراته وآخر رافض ومتمسك بمذهب الطبيعة الواحدة. وفي عام ٥١٢م تسلّم رئاسة الكرسي الانطاكي راهب من انصار هذا المذهب يدعى ساويروس (ت ٥٤٨م) ثم اطيح به بعد ست سنوات ونفي الى القسطنطينية، وحل محله بطريرك جديد من اتباع المذهب الملكاني، ولكن انصار مذهب الطبيعة الواحدة في بلاد الشام رفضوا الاعتراف بسلطة هذا البطريرك، وصار هؤلاء يعرفون بالسريان الارثوذكس او اليعاقبة نسبة الى منظرهم يعقوب البرادعي (٥٠٠–٥٧٨م)[3] الذي كان يستمد الدعم من الامبراطورة البيزنطية (ثيودورا)، فرسم اسقفاً على مدينة الرها، وابتدأ البرادعي بعد ذلك يرسم اساقفة وقساوسة وشماسين بدوره واضعاً الحجر الاساس للسلم الكهنوتي للكنيسة التي صارت تعرف بأسمه. وقد ذكر المؤرخ الاسلامي المسعودي (ت ٤٣٦هـ) اخباراً عن اليعقوبية كأحدى فرق الكورد النصارى وان ديارهم تقع فيما يلي الموصل وجبل الجودي[4].

وقد اتخذ بطريرك اليعاقبة او السريان الارثوذكس مقره في مدينة انطاكيا[5] اولاً ثم انتقل الى دير الزعفران بالقرب من ماردين[6] حيث كان له اتباع في قرى منطقة جبل

---

(١) الارثوذكسية: معناها الطريق المستقيم، والمقصود بها الان الكنيسة الارذوكسية، احدى الكنائس المسكونية في الديانة النصرانية، وكان مقرها الاصلي في القسطنطينية (استنبول الحالية)، وبعد الفتح العثماني لها ضعف مركزها لأنها كانت تتلقى الدعم من الدولة البيزنطية.

(٢) احمد سوسة: ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص١٠٥.

(٣) يطلق النصارى عليه يعقوب السروجي.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص١٠٤.

(٥) انطاكية: احدى المدن المقدسة عند النصارى على اساس ان الرسل او حواري السيد المسيح قد بشروا بالانجيل فيها وتعتبر مع وصيفاتها، روما والقسطنطينية والقدس والاسكندرية مقر الكراسي الرسولية الخمسة.

(٦) ماردين: مدينة تقع في تركيا على بعد حوالي ٥٠كم من الحدود السورية سكانها خليط من العرب والكرد.

طور عابدين في كوردستان تركيا ومنطقة الموصل في العراق ومناطق حمص وحلب في سوريا، وكان يطلق عليه لقب بطريرك انطاكيا وسائر المشرق.

وبعد مساندة النصارى بشتى فرقهم من أرمن ونساطرة وسريان ارثوذكس دول الحلفاء روسيا وبريطانيا وفرنسا ضد الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى بالرغم من انهم كانوا بالاصل من الرعية العثمانية. غادر اكثر رعاية الكنيسة اليعقوبية الى سوريا، فأتخذ البطريرك مقره في حمص سنة ١٩٢١ ثم انتقل سنة ١٩٥٩ الى دمشق حيث لايزال كرسيه متواجداً هناك.

اما بخصوص المذاهب المسيحية الحالية فأن مذهب الملكانية كان هو المذهب السائد في الكنيسة المسيحية قبل ان تنشق الى قسمين رئيسيين في سنة ١٠٥٤م وهما:

الكاثوليك:

أصلها من كلمة Katholikos اليونانية بمعنى الجامع الشامل، وهي من أكبر الكنائس المسيحية في العالم وتدعي أنها أم الكنائس على أساس أن مؤسسها هو بطرس رئيس الحواريين وتتبع هذه الكنيسة النظام البابوي على اعتبار أن البابا هو وريث بطرس والمشرع بعد عيسى عليه السلام. والبابا في نظر الكاثوليك معصوم لا يصدر عنه الخطأ فإرادته إرادة إلهية وأوامره أوامر إلهية يجب اتباعها بدون مناقشة وجدل. والبابا من أصل كلمة Pope اللاتينية التي تعني الأب ويقابلها في اللغة اليونانية كلمة Patriarch التي تعني الأب أيضاً.

وأول من استعمل لفظة كاثوليك مقابل الحركات الخارجة على الكنيسة (المهرطقة) أسقف إنطاكية القديس أغناطيوس الأنطاكي في القرن الثاني الميلادي .

ومن أهم عقائد هذه الفرقة:

١- تؤمن هذه الفرقة بأن روح القدس نشأ من الله الأب والابن معاً.

٢- تعتقد هذه الكنيسة بالمساواة الكاملة بين الإله الأب والإله الابن.

٣- تعتقد هذه الكنيسة بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين - يعني اللاهوتية والناسوتية.

٤- يعتقد هؤلاء بوجود جحيم صغير بمكان في قلب الأرض، تحترق فيه الأنفس التي ارتكبت في حياتها خطيئة حتى تتنقى من أوزارها وتصبح أهلاً للدخول في الفردوس

السماوي. وهذه العقيدة ليس مصدرها الإنجيل بل هو البابا غريغوريوس الكبير في عام ٥٩٣م.

٥- إن صلوات كهنة الكنيسة ترفع العذاب عن النفوس المتألمة، ومن هنا نشأت عقيدة الغفران وهي أن ممثلي الكنيسة قادرون على تخليص الأرواح الهالكة في العذاب بالدعاء لها والصلاة عليها.

٦- الاعتراف، وهو أن يبوح الإنسان لقسيس لما فعل من آثام، ثم يظهر له الندم ويؤكد له عدم العود إليها، فيقبل القسيس منه ذلك ويدعو له بخير ويصدر له صك الغفران. وهذه العقيدة لم تكن معروفة في أوائل النصرانية ثم جعلت إجبارياً في المجمع الثاني عشر الذي عقد في روما (اللاتيران) سنة ١٢١٥م، وتقرر فيه أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء .

٧- العشاء الرباني Eucharist يقصدون به عشاء عيسى مع تلاميذه، ويزعمون أن الخبز والخمر اللذين يعدهما المصلون، ويتناولونهما في بعض الأعياد يستحيلان إلى جسم المسيح ودمه.

٨- وقد انفردت الكنيسة الكاثوليكية بسر ثامن عن الكنائس الأخرى ألا وهو عصمة البابا عن ارتكاب المعاصي والآثام .

٩- تحرم الكنيسة الكاثوليكية الطلاق تحريماً باتاً، ولا تبيح فسخ الزواج لأي سبب مهما عظم شأنه، حتى الخيانة الزوجية لا تعد مبرراً للطلاق. وقد انفصلت كنيسة إنجلترا عن الكنيسة الكاثوليكية بسبب محاولة الملك هنري الثامن طلاق زوجته والزواج من وصيفتها مما دعا بالكنيسة الكاثوليكية إلى حرمان الملك وانفصال الكنيسة الإنجليزية عن الكاثوليكية وانضمامها إلى الكنائس البروتستانتية تحت اسم الكنيسة الأنجليكانية .

أما التنظيم الكهنوتي (الأكليروس) فإن البابا يدير الكنيسة بواسطة كرادلة في روما وبطاركة ورؤساء أساقفة وأساقفة في بقية أنحاء العالم، حيث تنقسم الكنيسة إلى كاتدرائيات على رأس كل كاتدرائية رئيس أساقفة (مطران)، وفي كل كاتدرائية عدة أبرشيات، يرأس كل أبرشية أسقف، وفي كل أبرشية عدة كنائس يديرها كهنة رعاة (قساوسة) لخدمة أبناء الكنيسة، وينتشر اتباع هذه الكنيسة أو يشكلون الغالبية في: إيطاليا، فرنسا، أسبانيا، البرتغال، بلجيكا، بولندا، المجر، سلوفاكيا، كرواتيا، ليتوانيا،

أيرلندا، دول أمريكا الجنوبية (اللاتينية)، مقاطعة كويبك الفرنسية في كندا، الفلبين، وهناك أقليات في دول أخرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية حيث يتواجد حوالي ٥٠ مليون كاثوليكي من أصل ٢٨٠ مليون أمريكي[١].

عقيدة الكاثوليك في الله سبحانه وتعالى

يقول الكاثوليكيون: إن الآلهة ثلاث متميزون منفصلون: الأب والابن وروح القدس، ويفسرون الآية الأولى من إنجيل يوحنا: (والكلمة كان عند الله) بقولهم: إن الكلمة متميزة عمن ولده، فأب غير الابن، والابن غير الأب، غير أنهما شيء واحد في الطبيعة والذات والحكمة والوجود. وعلى هذا فإن المسيح – عندهم – مساوٍ للأب بحسب لاهوته، ودون الأب بحسب ناسوته، وهو رأي البروتستانت أيضاً، وإلى هؤلاء يشير القرآن الكريم بقوله تعالى: (قد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلاّ إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) سورة المائدة (٧٣) وفي الآية: (ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما اللّه إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما الأرض وكفى باللّه وكيلا) سورة النساء (١٧١).

وقد حدث انشقاق خطير بين الكنيستين الغربية (الكاثوليكية) والشرقية (الأرثوذكسية) في الرسالة التي وجهها البابا ليو التاسع بتأريخ ١٦ تموز ١٠٥٤م التي تضمنت حرمان الكنيسة الشرقية للأسباب العقائدية الآتية:

١- غياب عبارة (والابن) Flicioque من النص اليوناني لقانون الإيمان الذي أقره مجمع نيقية في عام ٣٢٥م، علماً بأن النص اللاتيني منه يقول: بأن روح القدس منبثق من الأب والابن .

٢- قبول الرجال المتزوجين في سلك الكهنوت اليوناني (البيزنطي).

٣- استعمال اليونان (البيزنطيين) للخبز المختمر بدلاً من الخبز الفطير في القربان المقدس، وهناك أسباب أخرى لم يتطرق إليها البابا، منها: أن الكنيسة الشرقية

---

(١) محمد ضياء الرحمن الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد، الرياض، ص ٤٦٤– ٤٦٥، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة مانع بن حماد الجهني، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ج ٢، ص ٦٠٨ – ٦٠٩.

تستعمل اللغة اليونانية، بينما تستعمل الكنيسة الغربية اللغة اللاتينية. فضلاً أن هناك تحامل عرقي قديم بين الشعب اليوناني والشعوب الغربية اللاتينية، إذ كان كل من هذين الفريقين (اليوناني) (واللاتيني) لا يطيق أحدهما الآخر أصلاً وينسب إليه أسوأ الخل[1].

الأرثوذكسية:

وهي أيضاً كلمة يونانية مركبة من كلمتين إحداهما Orthos بمعنى الحق، والأخرى Doxa بمعنى المذهب، أي المذهب الحق، وتسمى كنيستهم الكنيسة الشرقية أو اليونانية، لأن أكثر أتباعهم من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية، انفصلت هذه الكنيسة عن الكنيسة الكاثوليكية في عام ١٠٥٤م لأمور اختلفتا عليها. وهي تتبع النظام الأكليروسي، ويبدأ من البطريرك فالمطران فالأسقف فالقس وينتهي بالشمامسة.

أهم مبادئ الكنيسة الأرثوذكسية:

أ- تذهب هذه الكنيسة إلى أن روح القدس منبثق عن الأب وحده .

ب- تبيح الكنيسة الأرثوذكسية الفصل بين الزوجين في حالة الخيانة الزوجية، مع تحريمها الزواج بين المطلق والمطلقة.

ج- وترى بعض الكنائس الأرثوذكسية أن المسيح من طبيعة إلهية، بينما تدعي الكنائس الأخرى بأن المسيح له طبيعة إلهية لأنه ابن الله وطبيعة ناسوتية من الناسوت لأنه ابن إنسان، فاجتمع فيه اللاهوت والناسوت. وقرر هذا رسمياً في عام ٤٥١م في مجمع خلقدونية.

عقيدة الأرثوذكس في الله سبحانه تعالى:

يقولون: إن اللّه واحد في أقانيم ثلاثة. وتفسيره عندهم أنه نزل من السماء (تعالى الله عما يقولون) واختبأ في بطن مريم العذراء تسعة أشهر، وكان لما دخل بطنها نطفة، ثم علقة ثم مضغة ثم أصبح جنيناً كاملاً، ثم خرج طفلاً اسمه عيسى، ونما كما ينمو الأطفال، ولما بلغ من عمره الثلاثين أعطيت له الرسالة والنبوة، وبعد سنتين وأشهر قتله اليهود وصلبوه ثم دفن في القبر، وبعد ثلاثة أيام قام من القبر وظهر للتلاميذ بعد أربعين يوماً

(١) الحسن بن طلال: المسيحية في الوطن العربي، ص ٧٩، ص ٨٣.

ثم صعد إلى السماء وجلس يمين الله. فهو الأب قبل التجسد، وهو الابن بعد التجسد، وهو الروح القدس لأنه كان واسطة بين الأب والابن، وعلى هذا فالله هو عيسى، وعيسى هو الله، لأن كلمة الشهادة عند المسيحي أن يقول: "أشهد أن لا إله إلا الله، لا شريك له، واحداً أحد في أقانيم ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، له المجد والكرامة والسلطان إلى أبد الآبدين"(١)

البروتستانت:

وهي تسمية مشتقة من كلمة (بروتست Protest) الإنجليزية وتعني المحتجين أو المعارضين لأنهم احتجوا على ادعاء البابا بالرئاسة الشاملة على الكنيسة المسيحية جمعاء كما عارضوا كثيراً من عقائد الكنيسة الكاثوليكية، وكان يسمَّون بأصحاب الكنيسة اللوثرية نسبة إلى المصلح الألماني مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦م). والإنجيلية إذ يتبعون الإنجيل دون سواه.

في عام ١٥١٧م أرسل البابا ليو العاشر مندوبه لبيع صكوك الغفران في ألمانيا، فما أخذ يعلن عنها ويبالغ في أمرها حتى ثار عليه لوثر وكتب في معارضته وثيقته الشهيرة التي تتضمن ٩٥ مبدأً في معارضة الكنيسة، وعلقها على باب كنيسة القلعة، في الوقت الذي نشط في تأليف الكتب التي تتضمن مبادئه، والتي أصبحت حديث الطبقة المتعلمة في ألمانيا مما زاد في التفاف الناس حوله، ولهذا كله أصدر البابا قراراً بحرمانه في ١٥٢٠م.

عندما تلقى لوثر القرار بحرمانه عام ١٥١٧ قام بتحريض من بعض الأمراء الألمان من أصحاب دعوى إنفصال الإمبراطورية بحرق وثيقة الحرمان في وسط الجموع الحاشدة في مدينة ووتنبرج، التي أصبحت جامعتها المهد الأساسي للتعاليم اللوثرية في ألمانيا.

أهم مبادئ الكنيسة البروتستانتية :

تؤمن الكنائس البروتستانتية بنفس الأصول والمعتقدات التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية، ولكنها تختلف معها في بعض الأمور على الوجه الآتي:

١- الخضوع لنصوص الكتاب المقدس وحده.

---

(١) الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية، ص ٤٩٤

٢- عدد أسفار العهد القديم ستة وستون سفراً وهي الأسفار القانونية. أما باقي الأسفار وعددها ١٤ فتسميها الأبوكريفا أي غير الصحيحة فلا تعترف بها.

٣- لا تؤمن الكنائس البروتستانتية بعصمة البابا أو رجال الدين. وتهاجم بيع صكوك الغفران، إذ ترى أن الخلاص والفوز في الآخرة لا يكون إلا برحمة الله والالتزام بالفرائض والكرازة – التبشير بالإنجيل.

٤- ترفض البروتستانتية مرتبة الكهنوت حيث أن جميع المؤمنين بها كهنة وليس هناك وسيط ولا شفيع بين الله والإنسان سوى شخص المسيح، والكهنوت عندهم درجتان فقط، هما: القساوسة، الشمامسة، الراعي هو الأسقف، والرئاسة تكون لمجمع السنودس لا الفرد.

٥- تؤمن بسرّين فقط من أسرار الكنيسة السبعة، وهما سرّا المعمودية، والعشاء الرباني على خلاف بينهم في كيفية حضور المسيح سر العشاء.

٦- لا تؤمن بالصوم كفريضة بل هو سنة حسنة.

٧- لا تؤمن الكنيسة البروتستانتية بنظام الرهبنة.

٨- منع البروتستانت اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها، معتقدين أن ذلك منهي عنه في التوراة.

٩- الصلاة ليس لها مقدار محدد، كما أنه ليس من الحتم الالتزام بحرفية الصلاة الربانية، ولذلك يجيزون الصلاة بلغة غير مفهومة كاللاتينية التي تستعملها الكنائس الكاثوليكية.

١٠- تؤمن بعض الكنائس البروتستانتية كالإنجيلية والتدبيرية والمعمدانية بالصهيونية المسيحية، وأن شرط المجيء الثاني للمسيح هو إقامة دولة إسرائيل في فلسطين.

وتنتشر الكنائس البروتستانتية في ألمانيا، بريطانيا، هولندا، الدانمارك، السويد، النرويج، سويسرا، الولايات المتحدة، كندا، استراليا ونيوزيلندة، وتوجد أقليات بروتستانتية في دول أخرى.

انتشار المسيحية في كوردستان

المسيحية او النصرانية احدى الديانات السماوية الثلاث الاكثر عدداً فهي تأتي زمنياً بعد اليهودية التي بشّر بها نبي الله موسى (عليه السلام) وتأتي قبل الاسلام التي دعا لها نبي الله محمد (عليه الصلاة والسلام) وتطلق لفظة النصرانية عموماً مرادفة للفظة المسيحية، والأخيرة اكثر شهرة حالياً، وان كان الكثير من كتابها واساقفتها يطلقون على انفسهم لفظة النصارى. يرى بعض المستشرقين ان لفظة النصارى من اصل سرياني هو نصرايا Nasraya وتطلق على مسيحيي الشرق، ويرى بعض المؤرخين بأن لها صلة بـ(مدينة الناصرة)(1) التي ينتمي اليها السيد المسيح (عليه السلام) حيث يقال: يسوع الناصري، او لها صلة بـ(الناصريين) وهم احدى الفرق اليهودية المتنصرة(2).

وقد انتشرت المسيحية بعد رفع السيد المسيح الى السماء ابتداءً من فلسطين الى بقية انحاء المعمورة، وما يهم موضوع بحثنا فقد وصلت طلائع المسيحية الى بلاد مابين النهرين (ميسوبوتاميا – Mesopotamia) وكوردستان والهضبة الايرانية في نهاية القرن الاول وبداية القرن الثاني الميلادي على رأي الكنيسة وكتابها، وفي بداية القرن الثالث على رأي المستشرقين وعلماء اوربا المتخصصين بالسريانيات.

تقول الرواية المسيحية ان مار أدي او أداى بشر بالمسيحية وانه تمكن من تعميد وتنصير رجل اسمه (فقيذا) نحو سنة ٩٩م الذي كان من عائلة فقيرة في اربيل، هرب من عائلته والتحق بمار أدي الذي كان يكرز (يبشر) بالانجيل في البلاد الكوردية في امارة حدياب (اديابين) لمدة خمسة سنوات، ثم جعله أسقفاً وارسله الى اربيل سنة ١٠٤م. ويذكر المطران أدي شير(3) قائمة باسماء عشرة أساقفة تولوا الكرسي الأسقفي في مدينة اربيل

---

(١) مدينة الناصرة احدى المدن الفلسطينية التي تقع في منطقة الجليل شمال فلسطين المحلية، وفيها كنيسة مقدسة لدى المسيحيين تدعى بـ كنيسة البشارة تعد مع مثيلاتها كنيسة المهد في بيت لحم وكنيسة القيامة في القدس احدى اقدس الاماكن لدى مسيحيي العالم قاطبةً.

(٢) سلوى بالحاج صالح– العايب: المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها الى القرن الرابع الهجري، بيروت دار الطليعة الطبعة الاولى ١٩٩٧، ص٢٧.

(٣) أدي شير: احد اعلام الكنيسة والادب السريانيين، ولد في شقلاوة عام ١٨٦٧م، تخرج من المعهد الكهنوتي في الموصل عام ١٨٨٩، انتخب مطراناً لأبرشية سعرد في كوردستان تركيا، قتل بيد الجيش العثماني في ١٧ حزيران ١٩١٥ اثناء حوادث الحرب العالمية الاولى. ينظر (مجلة الفكر المسيحي، الموصل، العدد ٢٦٧–٢٦٨، –تشرين الاول) ١٩٩١.

للفترة من ١٠٤ ولغاية ٣١٢م. وفيما يلي تسلسل وزمن توليهم كرسي أسقفية أربيل:

ت	الاسم	مدة اشغالهم الاسقفية وزمنها
١	بقيدا	١٠ سنوات (١٠٤ – ١١٤م)
٢	شمشون	٣ سنوات (١٢٠– ١٢٣م)
٣	اسحاق	١٣ سنة (١٢٣ – ١٣٦م)
٤	ابراهام	١٥ سنة (١٥٠ – ١٦٥م)
٥	نوح	١٦ سنة (١٦٥ – ١٨١م)
٦	هابيل	٧ سنوات (١٨٤ – ١٩١م)
٧	عبيد مشيحا	٢٥ سنة (١٩١ – ٢١٦م)
٨	حيران	٣٣ سنة (٢١٦ – ٢٤٩م)
٩	شحلوبا	١٥ سنة (٢٤٩ – ٢٥٤م)
١٠	احادابوي	١٨ سنة (٢٥٤ – ٢٧٢م)(١)

وعلى السياق نفسه تمضي الرواية المسيحية قائلة بأن مارأدي ومار ماري(٢) كانا أول مبعوثين بشرا بالمسيحية الى مدينة كرخ بيث سلوخ والمناطق المحيطة بها(٣).

---

(١) تاريخ كلدو واثور، بيروت ١٩١٣، ج٢ ص١–١٤.

(٢) مراد كامل: تاريخ الادب السرياني من نشأته حتى العهد الحاضر، القاهرة، ٦٣

(٣) الفونس منكنا: ولد منكنا في ١٨٧٨ في قرية شرانش العليا(شمال مدينة زاخو)، دخل عام١٨٩١ معهد الاباء الدومنيكان في الموصل، وتعلم عدة لغات فيها، عين مديراً لدائرة اللغات الشرقية في مكتبة رايلاندز في مانشستر، وقصد الشرق ١٩٢٤–١٩٢٩ الاقتناء المخططات لها وقد عد بين كبار جامعي المخطوطات العربية السريانية، اثار جدلاً ولغطاً واسعاً في نشره بعض المخطوطات او انتحاله لها مثل مواعظ (مايمر) فرساني وتحديداً نص برحد بشايا، أو تاريخ اربيل ضمن سلسلة مصادر سريانية عام ١٩٠٧ نقلاً عن مجموعة منكنا التي نشر منها عام ١٩٢٥ الوثيقة المنسوبة الى فيليكسينوس من (منسبج)، حيث شكك الباحث بول بيترز بالوثيقة في مقالة قصيرة نافياً صحتها، لكنه على اية حال كان له شأن كبير في المحافل العلمية الاوربية وكان يرد على المستشرقين بكل قوة، توفي عام ١٩٣٧. انظر (الاب الفونس منكنا، فاتحة إنتشار المسيحية في اواسط اسيا والشرق الاقصى، ترجمة جرجيس فتح الله، السويد).

وكان أدي شير يستند في رواياته على تاريخ أربيل لمشيحا زخا، وهذا التاريخ قد نشر لأول مرة عام ١٩٠٧ على يد الفونس منكنا[(١)] بعنوان تاريخ اربيل Choroniqued Arbele الذي حاول إنتحال اسم مشيحا زخا لهذا المؤلف استناداً على قول المؤرخ السرياني عبد يشوع الصوباوي في فهرسه، ان لمشيحا زخا تاريخاً كنسياً صحيحاً[(٢)]، وقد اثار هذا الكتاب ضجة كبيرة في اوساط الباحثين والمهتمين بالمخطوطات والمصادر السريانية اذ اعتبره المستشرق الالماني ادوارد ساخو Edward Sachau مصدراً مهماً للتعرف على صفحات غامضة من تاريخ المسيحية بصورة عامة وكنيسة المشرق بصورة خاصة، وقام بترجمة المانية له عام ١٩١٥، بينما قام فرانس زوريل بترجمة لاتينية له، وقام المطران بطرس عزيز بترجمة عربية له نشرها على صفحات مجلة النجم التي كانت تصدر في الموصل باشراف المطران سليمان الصائغ في السنوات ١٩٢٩ - ١٩٣١[(٣)].

غير ان الاب بول بيترس Paul Peeters.P ابدى شكوكه واعتراضاته في قيمة النص التاريخي وضعفه[(٤)]، وسانده في ذلك اليسوعي اورتيزدي اوربينا المتحامل على منكنا والنص الذي نشره، بينما دافع اليسوعي الآخر مسينا عن منكنا[(٥)]، وللخروج من هذا المأزق قام عالم المخطوطات (اسفالج) بامتحان الخط على المخطوطة موضوعة البحث واستنتج بأنها حديثة العهد، ثم حسم المؤرخ الدومنيكي الشهير (جان موريس فييه) الموضوع في بحث نشره عام ١٩٦٧ حصيلته: «انه لا يمكن الاعتماد على هذا النص

---

(١) يوسف حبـي: التواريخ السريانية، مجلة المجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة السريانية، بغداد ١٩٨١-١٩٨٢، المجلد السادس، ص٤٢-٤٣؛ الفونس منكنا: المرجع السابق، ص١٢-١١

(٢) ارثر كريستنسن: ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة مطبعة لجنة التأليف، ١٩٥٧، ص٦٨؛ يوسف حبـي: التواريخ السريانية، ص٤٢

(٣) يوسف حبـي: كنيسة المشرق، بغداد ١٩٨٩، ص١٠٣-١٠٤

(٤) ومما يجدر ذكره ان البطريرك الكلداني مار عمانوئيل الثاني، طلب من الاباء الدومنيكان إيقاف طبع الكتاب، وبعدها اتفق مع منكنا على ان ينشر الكتاب في اوربا شريطة ان تحذف من طبعته في الشرق جملة ازعجت البطريرك، تمس مار ماري. (انظر: الفونس منكنا، المرجع السابق، ص١٣، في الوقت نفسه اشاد (القس البطريرك فيما بعد) بولص شيخو بالكتاب في مقالة في مجلة النجم الموصلية عدد ٨-٩ لسنة ١٩٣٦. انظر (سامي بن خماس الصقار: إمارة أربل في العصر العباسي ومؤرخها ابن المستوفي، الرياض، دار الشواف ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م)، ص١٧٦.

(٥) الاب الفونس منكنا: فاتحة انتشار المسيحية في اواسط آسيا، ص١٢.

كمصدر تاريخي لأننا لا نستطيع ان نميز الفقرات الاصلية والمنحولة إلاّ على ضوء مصادر اخرى، لذا من الافضل الاستغناء عنه وكأنه غير موجود»(١).

ومما تجدر الإشارة إليه ان النقاد في اعتراضهم على النص المنشور لتاريخ مشيحا زخا توصلوا الى ان المخطوطة الاصلية التي باعها منكنا عام ١٩٢٧ الى مكتبة برلين (وسجلت تحت رقم ٣١٢٦) بمبلغ ٣٥٠٠ فرنك ليست قديمة العهد، بل حديثة كتبها القس اوراها شكوانا الالقوشي (١٨٥١ – ١٩٣١) واجرى عليها محاولة تزوير باشباعها من دخان تنور، حسبما توصل اليها الخبير في المخطوطات اسفالج. كما ان القس اوراها شكوانا اعترف لصديقٍ له بأن منكنا علمه الطريقة التي يمكن فيها أن تبدو المخطوطة قديمة(٢). واستناداً الى التفاصيل التي جمعها المؤرخ الكنسي الدومنيكاني فييه Fiey لم يعثر احد على مخطوطة (اقرور) القديمة التي زعم منكنا بأنه توصل اليها(٣). وهنا يتساءل الباحث الكلداني العراقي يوسف حبي، لماذا لجأ القس منكنا الى هذه الحيلة: عملية تلفيق واضافة الى النص الاصلي؟ وفي معرض الجواب يؤكد بان النقاد توصلوا الى أن غرض منكنا ليس المادة بقدر ما هو تفنيد مزاعم المتسرينين المحدثين (يقصد بهم المستشرقين)(٤)، الذين فندوا الاساطير والحكايات السريانية التي تؤكد الانتشار المبكر للمسيحية في بلاد ما بين النهرين وايران على ايدي الرسل أو تلاميذهم، وتجعل من الاعمال المنسوبة لتوما ومارأدي وماري مجرد قصص وحكايات اكثر منها شواهد تاريخية.

وللتوفيق بين هده الآراء المتناقضة بين كتاب الكنيسة وبين المستشرقين، يبدو ان

---

(١) حنافيي: مصادر كنيسة المشرق قبل الاسلام، مجلة بين النهرين، الموصل السنة الاولى العدد الثاني، نيسان ١٩٧٣، ص١٥٥؛ يوسف حبـي: كنيسة المشرق، ص١٠٤–١٠٥.

(٢) يقصد بهم العلماء الناقدين الذين شككوا في بدايات انتشار المسيحية في القرن الاول وهم كل من دوفال، لابورت، فيليبس، لتنسيوس، تيكسرون... انظر (يوسف حبـي: كنيسة المشرق، ص٨٩).

(٣) الرها: احدى مدن الجزيرة الفراتية الواقعة في شمال (بلاد مابين النهرين)، تقع على بعد ٤٠ كم الى الشمال الغربي من مدينة حران، اسمها باليونانية اديسا Edesa وبالسريانية اورهي Urhoi ويسميها المسيحيون في المؤلفات السريانية (المدينة المباركة او المؤمنة)، وتعتبر عند المسيحية من المدن المقدسة، وقد حرف اسمها في القرن الخامس عشر الى اورفة ولازال: ينظر بهذا الصدد: (أ.ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، بيروت، ص١٤٥–١٤٦؛ محمد عطية الابراشي: الاداب السامية، ص٥٧ هامش(١).

(٤) كريستنسن: ايران في عهد الساسانيين، ص٥٤.

المسيحية قد تغلغت في شمال بلاد ما بين النهرين قادمة من مدينة الرها[1]، حيث وصلت طلائعها الى اقليم حدياب (اديابين) وبيث كرماي وبعدها وصلت الى ما وراء جبال كوردستان (زاكروس)، وبمرور الزمن تحول العديد من سكان هذه المناطق الى المسيحية فتكونت مجتمعات ومستوطنات مسيحية صغيرة لم يكن لها شأن في نهاية الدولة البرثية (الاشكانية) وبداية ظهور الدولة الساسانية، ويؤكد المستشرق الالماني ارثر كريستنسن الى هذه الناحية بقوله: "والخرافة تجعل سانت توما (مارتوما) مبشراً في پارثيا وفي اعمال توماس المنتحلة نجد انه سار برسالته حتى بلاد الهند، ولكن هذه الاعمال ليست صحيحة من الناحية التاريخية»[2]، وعندما يتطرق الى الدور السياسي المزعوم الذي لعبه المسيحيون في الدولة الثارثية نراه يقول: «بانه لم يكن للنصارى اي دور سياسي ايام الاشكانيين... وان رتبة جاثليق لم توجد في عهد الاشكانيين"[3]، في الوقت الذي يشير المطران أدي شير بان الرسول ماري اخذ«يطوف في بلاد حدياب وكركوك... حتى وفاته في المداين سنة ٨٢م. وكان قد اقام في المشرق ثلاث وثلاثين سنة فأسس هناك كرسي الفطركية في المداين (المدائن– سلمان باك)، وصار هو أول الاساقفة على (كرسي الفطركية)[4].

وقد عاش نصارى ايران وبلاد ما بين النهرين وكوردستان في سلام ما دامت اعدادهم قليلة، وافكارهم التي يحملونها لا تؤثر في الخط العام للدولة الساسانية، ولكن الموقف تغيّر في بداية القرن الرابع الميلادي حين اصدر الامبراطور الروماني قسطنطين (Costantin) (306-337) مرسوم ميلان الشهير في سنة ٣١٣ معترفاً بالمسيحية كاحدى الديانات المصرح باعتناقها داخل الامبراطورية الرومانية[5] فكان على المسيحيين داخل

---

(١) كريستنسن: المرجع السابق، ص٥٤.

(٢) أدي شير، ج٢ ص٢، وقد تعرض أدي شير الى نقد من قبل يوسف حبـي، حيث اتهمه بالاعتماد على كتاب مزيف وهو تاريخ أربيل، فضلاً عن تحيّزه للنساطرة الكلدان ضد اليعاقبة السريان، انظر (يوسف حبـي: التواريخ السريانية، ص٦٢).

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: اوروبا العصور الوسطى، مكتبة الانجلو الحصرية، الطبقة السادسة، ١٩٧٥، ص٣٩.

(٤) كريستنسن: ايران في عهد الساسانيين، ص٥٤ ؛ طه باقر: تاريخ ايران القديم، جامعة بغداد، ١٩٨٠، ص١٣٢.

(٥) مروان المدور: الارمن عبر التاريخ، ص٢٧٧؛ محمد امين زكي: خلاصة تاريخية لتاريخ الكورد وكوردستان منذ اقدم العصور، بغداد، ص١٢١.

الامبراطورية الفارسية الساسانية ان يتحملوا نتيجة هذا العمل لأن الدولة الساسانية اعتبرتهم بمثابة عملاء (الرتل الخامس) للدولة الرومانية[1]. ومما زاد من تفاقم هذه المشكلة ان ارمينيا الدولة الحدودية بين فارس وبيزنطة قد تنصرت مع اعلان الملك تيريدات الثالث Tradt III تنصر ارمينيا رسمياً في عام ٣٠١ او ٣١٤م[2]، ومما يؤيد هذا القول تلك الرسالة التي وجهها الملك الفارسي شابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩م) الى أمراء الأرمن بقوله: «عندما تعلمون بأمرنا هذا نحن الآلهة الاخرين وهو في الدرج الذي بعثناه اليكم، فعليكم ان تقبضوا على سيمون رئيس النزاريين، ولا تطلقوه ما لم يرقم هذه الوثيقة ويقبل ان يجمع جزية وغرامة مضاعفين يؤديها الينا عن كل النزاريين الذين يعيشون في بلاد قداستنا والذين يسكنون اراضينا، لأنا نحن الآلهة الاخرين ليس لنا غير متاعب الحرب وهم ليس لهم غير الراحة واللذات! انهم يسكنون بلادنا ويشاركون قيصر، عدونا المشاعر»[3].

وبمرور الزمن زادت التجمعات المسيحية في المنطقة واصبحوا يشكلون مجتمعات محددة داخل الامبراطورية الساسانية، وانتقلت عدوى الخلافات اللاهوتية التي سادت الكنيسة المسيحية فكان المذهب المنوفستي هو المذهب المنافس للمذهب النسطوري السائد داخل اراضي الامبراطورية الساسانية.

وقد كانت هذه الحوادث مقدمة لأول اضطهاد وقع على المسيحيين عامة والكورد المسيحيين خاصة ابتداءً من سنة ٣٣٩م حتى وفاة الملك شابور الثاني عام ٣٧٩م التي اطلقت عليها المصادر السريانية (الاضطهاد الاربعيني)[4] لشدته وضراوته والمدة التي استغرقها، يشير الاب البيرابونا الى هذه الناحية بقوله: «ويعجز القلم عن ماعاناه المسيحيون في تلك الفترات العصيبة والتضحيات الجسام التي قدموها في سبيل ايمانهم. وكثيرون منهم لم يذكر التاريخ اسماءَهم، وغيرهم عديدون لم يزودنا التاريخ عنهم الا النزر القليل من المعلومات»[5].

---

(١) كريستنسن: المرجع السابق، ص٥٤

(٢) البيرا ابونا: شهداء المشرق، بغداد ١٩٨٥، ج١ ص٨٥

(٣) البيرا ابونا: المرجع نفسه، ج١ ص٨٥، الشابشتي: الديارات، تحقيق كوركيس عواد، بيروت ١٩٨٦ ص٢٨ الهامش.

(٤) قلعة فنك: مدينة كوردية تقع على بعد (٢٠ كم) شمال جزيرة ابن عمر الواقعة في كوردستان تركيا.

(٥) خوارزم: منطقة تقع شمال شرق ايران على الساحل الشرقي لبحر قزوين يطلق عليها الاوربيون اسم اقليم باكتريا، تقع حالياً ضمن اراضي جمهورية تركمنستان.

وقد اكد المستشرق الالماني الاستاذ في جامعة كوبنهاكن الدانماركية وقوع الاضطهاد على المسيحيين الكورد بقوله: «وقد وقع الاضطهاد خاصة في الولايات الشمالية والشرقية وفي المناطق المتآخمة للامبراطورية الرومانية [كوردستان تركيا]. كان هناك مقاتل ومذابح كما كان هناك تشريد. وفي سنة ٣٦٢م نفي تسعة الاف مسيحي مع الاسقف هيليودور من قلعة فنك(١) في بزابدة الى خوارزم (٢) بعد ثورة(٣).

ومن جهة اخرى فقد تطرقت المصادر السريانية الى كثير من المسيحيين الكورد وغير الكورد من الذين لاقوا حتفهم ايام الاضطهاد الفارسي، وقد حافظ قسم منهم على أسمائهم الكوردية رغم تبوئهم مراكز عليا في السلم الكهنوتي المسيحي كالجاثليق(٤) شاهدوست الذي كان قد احتفظ بإسمه الكوردي ومعناه صديق الملك(٥) وقد انتخب جاثليقا، ولكن أمره افتضح فقبض عليه الفرس مع مائة وثمانية وعشرين اسقفاً وراهباً وسجنوهم خمسة اشهر تعرضوا خلالها الى أقسى صنوف التعذيب، وعندما لم يرجعوا عن معتقدهم قتل منهم مرزبان المدائن مائة وعشرين شخصاً، وارسل الى الملك شابور الثاني بالجاثليق شاهدوست ومن بقي معه، فلاطفه شابور في الكلام ليدخله في الزرادشتية، ولما ابى هو واصحابه قتلوا في اليوم العشرين من شهر شباط سنة ٣٤٢م(٦).

وفي السنوات الاولى لحكم الملك الفارسي بهرام الخامس (٤٢٠-٤٣٨م) قتل مير شابور وفيروز والكاتب يعقوب(٧)، اما ناثنيال الشهرزوري فقد درس في نصيبين واهتم بدراسة

(١) كريستنسن: المرجع السابق، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٢) الجاثليق: لفظ يوناني معناه العمومي، والمراد به الرئيس الاعلى للنصارى في ايام الملوك الساسانيين. ينظر (ابو الفرج الاصفهاني: الديارات، تحقيق جليل العطية لندن دار رياض الريس، ص٢٦٢؛ يقابله في وقتنا البطريرك.

(٣) يحتمل ان يكون شاهدوست فارسياً لأن المعنى في اللغتين الكوردية والفارسية متشابهان للقرابة اللغوية بين اللغتين.

(٤) مراد كامل: تاريخ الادب السرياني، ص٦٤.

(٥) مراد كامل: المرجع نفسه، ص١١٧.

(٦) مراد كامل: المرجع نفسه، ص٢١١.

(٧) البير ابونا: شهداء المشرق، ج١ ص٢٤٣-٢٥٣؛ ولايزال هذا الدير ماثلاً للعيان في مدخل مدينة دهوك في الوقت الحاضر يقع على تل على الجهة اليسرى من القادم الى دهوك مقابل بناية رئاسة جامعة دهوك، وله عيد سنوي يقصده مسيحيو دهوك والمناطق المجاورة تحت اسم عيد (شير)؛ ولمزيد من المعلومات ينظر: افرام فضيل البهرو: مار ايثالاها النوهدري، دهوك مطبعة خبات،٢٠٠٠م.

التفسير، وقد سجنه الملك كسرى الثاني (٥٩٠-٦٢٨م) ست سنوات قبل ٦٢٨م، ثم قتله لأن الجماعة التي كانت بأمرته طردوا قائداً فارسياً من المدينة بحجة هدمه لكنيستها.

وسبق للملك الفارسي شابور الثاني ان امر باعدام الكاهن مار ايثالاها النوهدري في امارة حدياب عام ٣٥٨م بعد ثباته على مبدئه، وقد بني دير تخليداً لذكراه في منطقة نوهدرا (دهوك) لايزال شامخاً(١).

وكان نرساي الملفان سباقاً في كتابة مقالة تخص اضطهادات الفرس الساسانيين للمسيحيين الكورد وغيرهم في عهد الملك شابور الثاني الذي استمر حكمه سبعين عاماً، حاول خلالها ان يستأصل شفة المسيحية من مملكته والتي اصبحت تشكل خطورة كبيرة على عبادة النار الزرادشتية، وقد الحق نرساي بتلك المقالة انشودة هي حوار بين الملك شابور الثاني وشهداء المسيحية(٢).

الصراع الزرادشتي المسيحي وانعكاسه على الاوضاع في المنطقة الكوردية

يشير العديد من الكتاب المحدثين الى ان الزرادشتية أصبحت الديانة الرسمية للامبراطوريات الثلاث الاحمينية والثرثية (الاشكانية) والساسانية، غير ان المؤرخ الايراني حسن بيرينا والمؤرخ الالماني كريستنسن أشارا الى هذه الناحية بالقول ان الساسانيون اتخذوا من الزرادشتية ديناً رسمياً لأيران ولم يكن لها دين رسمي حتى ذلك الوقت، وكانت الشعوب التابعة لأيران حرة في اعتناق الدين الذي يقبله كل شعب منها(٣).

---

(١) بشير توما: مدرسة الرها - مجلة المجمع العلمي العراقي، الهيئة السريانية، ج٦، ص٢٨٢.

(٢) نرساي الملفان: ولد نرساي عام ٣٩٩م في قرية عين دولبي (دلب الحالية) القريبة من قرية مالطا (معلثايا في المصارد المسيحية والاسلامية) الواقعة على بعد عدة كيلومترات من مركز محافظة دهوك، وبعد ان تلقى العلوم في مدرسة قريبة من قريته ارسله عمه الراهب عما نوئيل الى الرها ليدرس في مدارسها الشهيرة حيث انتخب فيما بعد مديراً لها خلفاً لقيورا الذي توفي، وقد مات نرساي عن عمر يناهز ١٠٤ سنوات سنة ٥٠٣م ينظر (مراد كامل: تاريخ الادب السرياني، ص١٥٨؛ بشير متي توما: مدرسة الرها، مجلة المجمع العلمي العراقي الهيئة السريانية، المجلد السادس ص٢٨٠؛ ومن الجدير ذكره ان اسم نرساي يشابه اسم الملك الفارسي نرسي (٢٩٣-٣٠٢م) ويقصد به الكلب الذكر كعلامة على الوفاء والقوة (الباحث).

(٣) ايران في العهد الساساني، ص١٢٩.

ومنذ ان تولى اردشير الاول (٢٢٤ - ٢٤١م) عرش الدولة امر الهربدان هربد تنسر بجمع النصوص المبعثرة من الآڤيستا الاشكانية التي سبق وان جمعها الملك الاشكاني ولغاش الاول (٥١-٧٨م)[١] ، وبكتابة نص واحد منها، ثم أجيز هذا النص واعتبر كتاباً مقدساً[٢].

ومهما يكن من أمر فان الملوك الساسانيون لم يهتموا في بادئ الامر بالدين المسيحي الذي ابتدأ بالتغلغل داخل الاقاليم الايرانية شيئاً فشيئاً كما ذكرنا آنفاً، ولكن عندما طلب الملك شابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩م) من الدولة الرومانية استرداد الولايات التي كانت الدولة الساسانية في عهد ملكها نرسي (٢٩٣-٣٠٢م) قد سلمتها لهم[٣]، بدأت الحرب وتغيرت سياسته تجاه رعاياها المسيحيين وابتدأت حملة الاضطهادات كما بينا، واستمر المسيحيون في المقاومة نتيجة ايمانهم القوي واستبسالهم في الدفاع عن مبدَئهم وعدم خضوعهم لعبادة الشمس والنار، رغم انها تنقذهم من العذاب والموت. وهكذا استمرت الامور تجري على هذا المنوال الى ان جاء الملك الساساني يزكورد الاول (٣٩٩-٤٢٠م) الذي احسن معاملة المسيحيين ولذلك عرف لدى رجال الدين الزرادشتي بالاثيم، ففي عصره اقيمت الكنائس للمسيحيين واعتنقت أسر كثيرة الدين المسيحي[٤]، غير ان المشاكل السابقة عادت تواجه المسيحيين، ولكن زاد بعد ذلك التجرؤ على رجال الدين المسيحي، ويحمل كريستنسن ذلك المسيحيين بقوله: «ذلك انهم عتوا [اي المسيحيين] وتحدوا الرأي العام حتى لم يكن مفر من مقابلة الشر بمثله. ففي مدينة هرمزد- اردشير بخوزستان (عربستان الحالية) تجرأ احد القساوسة واسمه هاشو على ان يهدم بإذن صريح او ضمني من الاسقف (عَبدا) بيت نار قريبٍ من الكنيسة النصرانية. وقد قبض على القسيس والاسقف وغيرهما.. وارسلوا جميعاً الى المدائن. وقد سأل الملك نفسه عَبدا فنفى كل اتفاق جنائي، ولكن هاشو اعترف انه هو خرب بيت النار هذا ثم فاه هذا الاعتراف بالفاظ عدائية فيها اساءة الى الدين الزرادشتي، وحينئذ امر الملك عَبدا باعادة بناء المعبد، ولكنه رفض الامر باصرار فحكم عليه وقتل، وقد اشار المؤرخ الديني تيودورت بسلوك هذا

(١) حسن بيرنيا: تاريخ ايران القديم، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم والسباعي محمد السباعي، الفجالة الطبعة الثانية ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م ص٣١١؛ كريستنسن: المرجع السابق، ص١٣٠.

(٢) طه باقر: تاريخ ايران القديم، ص١٠٥.

(٣) كريستنسن: المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٤) حسن بيرنيا: المرجع السابق، ص ٣٢٢-٣٢٣.

الاسقف الذي اصر على خطته، بالرغم من اعتباره هدم المعبد عملاً بعيداً عن الحكمة[1].

وكان جل الصراع الفكري بين الزرادشتية المسيحية يخفي وراءه مصالح الطبقة الساسانية الحاكمة التي تدعمها طبقة رجال الدين الزرادشت من الموبدان والمغان والهرابذة وبين مصالح الطبقات الاخرى الذين وجدوا في تعاليم المسيحية وغيرها من الديانات والمذاهب المعارضة كالمانوية والمزدكية سبلاً للخلاص من تسلط الطبقات الحاكمة وجورها، لذا تعاون الجانبان الدولة والدين ضد المعارضين، لاسيما وانهما توأمان حسب قول مؤسس الدولة اردشير[2]. ولكن حكم الزمن والتطور بدأ ينخر في الزرادشتية ويقلل من عنفوانها، وهذا ما يتجلى واضحاً في عهد الملك كسرى انوشروان (٥٣١–٥٧٩م) الذي بدأ في مطلع حكمه متعصباً للزرادشتية[3]، لكنه كان من مشجعي المناظرات الفكرية والدينية بين رجال الدين الزرادشتية وبين الاساقفة المسيحيين، كما انه من جانب اخر شجع العلوم والفلسفة وبلغ الامر من اضطراب موقع الزرادشتية حتى ارتد عنها بعض رجالاتها العظماء مثل (الموبدان موبد بزر جمهر)، وكان الذين تركوا الزرادشتية ابدوا اضطرابات وقلقاً قادهم الى طريق تشاؤمي في نظرتهم الى الحياة والواقع يبدو ذلك واضحاً في حال الفيلسوف الايراني ورجل الدين الزرادشتي (برزوية) من خلال الاسطر التي كتبها حول حال الديانة الزرادشتية والمكانة التي وصلتها في نفوس هؤلاء المفكرين: «فلما وقع ذلك في نفسي اشتبه علي امر الدين. اما كتب الطب فلم اجد فيها لشيء من الاديان ذكراً يدلني على اهدائها واصوبها.. واما الملل فكثيرة ليس منها شيء الا وهو على ثلاثة اصناف قوم ورثوا دينهم عن آبائهم واخرون اكرهوا عليه حتى ولجوا فيه واخرون يتبعون الدنيا وكلهم يزعم انه على صواب ومبتدأ الامر ومنتهاه وما سوى ذلك؟[4].

ومن مؤشرات ضعف الزرادشتية في اواخر ايام الدولة الساسانية انتشار المسيحية في ايران وازدهار كنائسها واسقفياتها، حتى لقب ملك الفرس كسرى الثاني ابرويز

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٢٣.

(٢) ايران في العهد الساسانين، ص٢٥٨.

(٣) يقول الشاعر الايراني الفردوسي بهذا الخصوص شعراً على لسان اردشير لولده شابور:

الدين والدولـــــة فيما ارى	كخيمة قائمة بالعماد
لا الدين دون الحكم يبقى ولا	حكم بلا دين يسود البلاد

(٤) طه باقر: تاريخ ايران القديم، ص١٨٣.

(٥٩٠–٦٢٨م) بالملك النصراني بسبب تشجيعه اياهم ومنحهم الحرية الكاملة[1].

وقد كادت المسيحية ان تنتصر في ايران على عهد الملك كسرى ابرويز اكثر من أي وقت اخر، ودخل في المسيحية عدد كثير من اقرباء الملك الذين لم يكونو إلاّ ايرانيين اقحاح، كما واضطر كسرى ابرويز ان يلتجيء الى خصمه القوي الملك البيزنطي موريكيوس اثر انقلاب القائد الساساني الشهير بهرام ضوبين عليه، ولكن الملك البيزنطي موريكيوس استطاع ارجاع كسرى ابرويز الى عرشه فلذلك يقال بانه قد مال الى المسيحية منذ ان كان هناك في العاصمة القسطنطينية.

وعلى أية حال فلم يفرح الموابدة برجوع كسرى الذي كان قد تزوج من الاميرة البيزنطية ماريا وأغرم بالمسيحية اليعقوبية شيرين التي اصبحت ملكة البلاط فيما بعد[2]. ولكنه اي كسرى ابرويز اتخذ اجراءات مشددة تجاه المسيحية بعد الانتصارات التي احرزها الملك البيزنطي هرقل (٦١٠–٦٤١م) وتمكنه من الاستيلاء على معبد بيت نار آذركشناسب واحراقه واطفاء نيرانه انتقاماً لإنتزاع كسرى ابرويز الصليب المقدس من بيت المقدس سنة ٦١٤م وارساله الئ العاصمة طيسفون[3] وعلى اية حال يخلص احد المؤرخين الى القول بحيث نستطيع القول بأنه لو لم يأت الاسلام الى ايران لكانت المسيحية تعم جميع نواحي هذا البلد، ولكن زرادشت قد تحطم على يد المسيحية، كما ان الدينين المانوي والمزدكي اللذين ظهرا في اواسط ايران كانا يعدان مناوئين شديدين لدين زرادشت، ولهذا فان الزرادشتيين كانوا يضمرون له (للدين المسيحي) حقداً شديداً، ولهذا ايضاً كان الزرادشتيون يعادون المانويين والمزدكيين اكثر من المسلمين، وكثيراً ما نرى في التاريخ ان رجال الدين الزرادشت يساعدون المسلمين على المانويين والمزدكيين، ومن ناحية اخرى نرى ان المسيحين في ايران كانوا يقدمون المسلمين على الزرادشتيين وذلك على اثر المذابح العامة التي تعرضوا لها على يد الزرادشتيين[4].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٨٤.

(٢) طه باقر: المرجع السابق، ص١٨٤.

(٣) رشيد ياسمي: ايران درزمان ساسانيان (بالفارسية)، ص٤٦٦.

(٤) ا.ج.اربري: تراث فارس، ترجمة محمد كفافي وزملاؤه، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٩، ص٥٠٠ .

الاديرة والكنائس في كوردستان

هناك ظاهرة ملفتة للنظر عند دراسة الواقع الجغرافي والتاريخي للمنطقة الكوردية وهي كثرة الاديرة والكنائس المسيحية، وقلة معابد النار الزرادشتية وتحديداً في غرب وأواسط كوردستان، وهذه تجعل الباحث المتخصص في التاريخ الكوردي يواجه اشكاليات عديدة، فاكثرية المصادر تتحدث عن زرادشتية الكورد وانها الديانة الرئيسية لهم قبل الفتح الاسلامي لبلادهم، بعكس المسيحية التي لم يؤمن بها إلاّ قلة قليلة من الكورد، في الوقت التي تتحدث المصادر المسيحية وحتى الاسلامية عن وجود عدد كبير من الاديرة والصوامع في المناطق الجبلية الكوردية.

وقد اجرى الباحث نظرة على الواقع الجغرافي للمناطق غير الكوردية التي كانت الزرادشتية هي الديانة السائدة فيها مثل: اقليم فارس وخوزستان (عربستان)، وكيف أنها حافظت على عدد كبير من معابد النار فيها حتى الفتح الاسلامي لها لحقبة طويلة، بعكس المناطق الكوردية[1] التي تكاد تخلو منها ماعدا اجزاء من اقليم الجبال واذربيجان اي تحديداً شرق وشمال شرق كوردستان حيث لا تتجاوز عدد معابد النار المجوسية اصابع اليدين.

فياترى اين ذهبت هذه المعابد؟، هل ان المسيحية التي القت بظلالها على الاجزاء الغربية الشمالية والوسطى من كوردستان اكتسحت الزرادشتية في طريقها لنشر المسيحية في ربوع ايران وبقية اجزاء اسيا الوسطى[2] هذا ما لا تسعفنا به المصادر، وللخروج من هذا الاشكال يعتقد الباحث بان الاجابة على هذه التساؤلات لا تخرج عن

---

(١) رشيد ياسمي: ايران درزمان ساسانيان، ص٢٩٠

(٢) في الجبال المحيطة بمدينة دهوك من جهتها الشمالية والجنوبية هناك عدة كهوف كبيرة وواسعة يعتقد الباحث بانها كانت سابقاً للنار الزرادشتية او لعبادة آلهة ميثرا.مثل كهف جوارستين (الاعمدة الربعة) الذي يقع في سفح كلي دهوك جنوب شرق سد دهوك، يلاحظ بوضوح وجود دكة في الوسط كانت محل النار المقدسة، وان الكهف مغطى بطريقة لا مجال لدخول ضوء الشمس اليه، وهذا من الاركان المهمة في الزرادشتية بخصوص النار المقدسة على اساس عدم الاتصال ما بين النار المقداسة وضوء الشمس، والامر كذلك للكهوف الواقعة على سفوح جبل زاوة جنوب دهوك، والامر لاوال على دراسة وتدقيق.

عدّة احتمالات:

اولاً: ان كثيراً من هذه الاديرة بنيت على انقاض معابد زرادشتية ازيلت بعد الفتح الاسلامي في المنطقة الكوردية، وكان الدافع الى ذلك هو أن المسيحيين بسبب تعرضهم الى اضطهادات وملاحقات واسعة من جانب السلطات الفارسية الساسانية بفعل شكاوى رجال الدين الزرادشت، جاءتهم الفرصة السانحة للانتقام ورد الصاع صاعين، فطالبوا من المسلمين الفاتحين بحكم علاقتهم الخاصة لهم كأديان سماوية بازالة هذه المعابد التي تقدس النار، فلما ازيلت بنوا أديرتهم وصوامعهم على انقاضها، وهم أي المسيحيين أزالوا معابد نار عديدة حتى ايام قوة وجبروت الدولة الساسانية نظراً لقوتهم وثباتهم على مبدئهم وعدم اهتمامهم بالموت، يتجلى ذلك في استخفافهم برجال الدين الزرادشت عبدة النار والشمس(1). فكيف وقد ازيلت الامبراطورية الفارسية الساسانية التي كانت الزرادشتية الديانة الرسمية لها والدليل على ذلك ان كنيسة مار كوركيس في قصبة مانكيش مبنية على أنقاض معبد مجوسي قديم كما جاء ذلك في كتاب (مانكيش) لمؤلفه الدكتور عبدالله مرقص رابي.

ثانياً: حاول المسيحيون الهروب بدينهم والالتجاء الى الجبال هرباً من الظلم والبطش الساساني، وعلى اثرها انشأوا اديرة وصوامع للعبادة، فلا غرو ان كانت حصة المنطقة الكوردية وغالبيتها أراض جبلية من العدد الكبير من هذه الاديرة والقلايا.

ثالثا: ان المسيحيون من طائفة النساطرة بحكم علاقتهم السيئة مع الكنيسة البيزنطية (الملكانية) التي مقرها القسطنطينة والذين اعتبروا مهرطقين حسب قرارات مجمع افسس عام ٤٣١م، لذا فروا بمعتقداتهم الى المنطقة الكوردية التي كانت تتوسط بين الدولتين

---

(١) هناك الكثير من المصادر المسيحية اشارت الى وجود اديرة وكنائس في المنطقة الكوردية. ينظر: مجهول: التاريخ الصغير، ترجمة جاك اسحاق، ص٥٥ وما بعدها؛ ايليا برشينايا: تاريخ برشينايا، ترجمة يوسف حبي، ص١٠٣؛ توما المرجي: كتاب الرؤوساء، ترجمة البير ابونا، ص٢٢؛ ادي شير: تاريخ كلدو واثور، ج١ ص٤؛ افرام برصوم: الؤلؤ المنثور في الاداب والعلوم السريانية، ص٥١٤-٥١٧؛ اما بخصوص المصادر الاسلامية فلا ريب يأتي في مقدمتها: ابو الحسن علي بن محمد الشابشتي: الديارات، بغداد مكتب المثنى ١٩٦٦م/١٣٨٦ه، ص١٩٠ وما بعدها ترجمة كوركيس عواد بذيله الديارات لبرصوم؛ ابو الفرج الاصفهاني: الديارات، لندن دار رياض الريس للنشر، ص٦٢، تحقيق جليل العطية؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت دار صادر، ٢٩٠ ص٤٩٦-٥٤٣، مادة الدير.

الساسانية والبيزنطية، استفادةً من طوبوغرافية اراضيها الوعرة وكثرة تضاريسها الجبلية، فانشأوا اديرتهم وصوامعهم فيها(١) وفيما يلي قائمة بأسماء الاديرة والكنائس في المنطقة الكوردية حسب المصادر المسيحية والاسلامية:

	اسم الدير القديم	اسم الدير الجديد	الموقع الجغرافي	الملاحظات
١	دير أبون	ديربون	تقع على سفح جبل بيخير المشرف على الجهة الشرقية من نهر دجلة قرب الحدود العراقية السورية	
٢	دير مار يعقوب	دير ماقو (مار ايشو عياب)	تقع في حصن الجبل الابيض قرب قرية قشفر او في مدخل قرية شيزي شمال مدينة سميل.	استغل هذا الدير من قبل الارساليات الكاثوليكية (الدومنيكانية الى سنة١٩٣٩م)
٣	دير مار ايثالاها	دير بران (الكبش)	يقع في مدخل مدينة دهوك مقابل رئاسة جامعة دهوك	مارايثاها كان احد رجال الدين النصارى الذي اعدم من قبل الدولة الفارسية عام ٣٥٨م وله احتفال سنوي في فصل الربيع يقصده نصارى منطقة دهوك.

(١) كريستنسن: ايران في عهد الساسانيين، ص٢٥٨-٢٥٩، ٢٨١.

كانت الدولة الفارسية الساسانية تساند الطائفة النسطورية وتوفر لها الحماية باعتبارها معارضة سياسية تشغلها في مصلحتها عند حدوث اي خلاف او مشاكل حدودية بينها وبين الدولة البيزنطية، وكانت تعتبر النسطورية المذهب الرئيسي لمسيحيي الدولة الفارسية، الى أن جاء المنوفستيون (اصحاب مذهب الطبيعة الواحدة) ونافسوا النساطرة في مناطق نفوذهم في الدولة الفارسية بدعم من محظية الملك الفارسي خسرو (كسرى الثاني أبرويز) الملكة شيرين التي كانت مسيحية على المذهب اليعقوبي.

٤	دير الكلب	دير عبدا (عودا)	يقع في جنوب قرية مالطا (معلثايابالسريانية) على بعد خمسة كيلومترات غرب مدينة دهوك.	له احتفال سنوي في فصل الربيع يقصده نصارى منطقة دهوك.
٥	دير ماردانيال	دير جندي	قرب ناحية فايدة جنوب مدينة دهوك	يضم عدة اديرة يقام لها احتفال سنوي في شهر نيسان من كل عام.
٦	دير مارقرياقوس	ديركوم (دير كاني)	شمال شرق مدينة العمادية.	
٧	مارتوما مارتوما	مارتوما مارتوما	ناحية مانكيش (الدوسكي)	
٨	دير كشنيك	ديركشنيك (دير النساء)	تقع في السفح الثاني للجبل المقابل لناحية مانكيش.	
٩	دير الربان يوسف	دير الربان يوسف	في قرية اينشكي الواقعة في سفح جبل متينا.	
١٠	دير صياري	دير صياري	قرب قرية الداودية جنوب غرب قصبة بامرني في وادي سبنة	
١١	دير مارساوا	دير مارساوا	تقع في مدخل گلي ديرش عند سفح جبل كاره.	
١٢	دير مار صليبا	دير مار صليبا	تقع شمال قرية قصروك في منطقة السندي(زاخو)	
١٣	١٣- دير مار سبريشوع	دير مار سبريشوع (الغاب الجميل)	غربي قرية سناط قرب الحدود العراقية التركية	
١٤	دير مار جرجيس	دير ماركوركيس	قرية دوري شرق ناحية كاني ماسي	اقدم دير في منطقة برواري بالا.

١٥	سلطان مادوخت	سلطان مادوخت	في قرية ارادن السفلى(نصارى) في سفح جبل متينا.	يقام لها احتفال سنوي في فصل الربيع.
١٦	دير مار قيوما	دير مار قيوما	في گلي دوري على الحدود العراقية التركية.	
١٧	دير عمر الزعفران	دير الزعفران	٥كم، غرب مضيق كلي زاخو في سهل السليفاني.	
١٨	دير الريان هرمزد	دير الريان هرمزد	يقع في سفح جبل القوش شمال شرق مدينة الموصل	من الاديرة الكبيرة المحفورة في الجبل
١٩	دير اشموني	دير اشموني	تقع في عدة مناطق في كوردستان العراق.	هناك عدة اديرة تسمى بهذا الاسم في مناطق: عنكاوه-خطاري-ميزي-بيبوزي-خردس.
٢٠	دير بيث عابي	دير بيث عابي	تقع في قرية خربة الواقعة خلف سلسلة جبل عقرة.	من الاديرة المشهورة ولها تاريخ حافل في تخريج عدد كبير من الرهبان.
٢١	دير مار اوجين	دير الازل	تقع في الجبل المشرف على مدينة نصيبين في كوردستان تركيا.	
٢٢	دير الجودي	دير الجودي	تقع على بعد حوالي ٣٠كم شمال شرق مدينة جزيرة ابن عمر.	هذا الدير مبني في الحقيقة على الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح عليه السلام فوق قرية الثمانين.
٢٣	دير عمر احويشا	احويشا	قرب مدينة سعرد (سيرت) في كوردستان تركيا	وتفسير احويشا بالسريانية الحبيس اي الراهب المحبوس في سبيل الله.
٢٤	دير برقوما	دير برقوما	قرب مدينة ميافاقين في كوردستان تركيا.	سكنه الرهبان الكلدان الى الحرب العالمية الاولى.
٢٥	دير لاشوم	داقوق	قرب مدينة داقوق جنوب كركوك.	

٢٦	دير بيث طوري	دير بيث طوري (منطقة الجبال)	يقع في سهل دينارتا خلف عقرة.	
٢٧	دير مار عبد يشوع	دير مار عبد يشوع	تقع جميعها في منطقة نحلة(نهلة) التابعة لقضاء عقرة.	
٢٨	دير باسكا	دير باسكا		
٢٩	دير مارتوما	دير مارتوما		
٣٠	دير مارمتى	دير مارمتى	تقع في سفح جبل مقلوب شرق مدينة الموصل.	وهو خاص بالطائفة السريانية الارثوذكس(اليعاقبة).
٣١	دير ماربهنام	دير ماربهنام	تقع جميعها في الجبال القريبة من مدينة ماردين في كوردستان تركيا.	
٣٢	ديرمار يعقوب	ديرمار يعقوب		
٣٣	دير مار عزائيل	دير مار عزائيل		
٣٤	دير قرتمين	دير قرتمين	تقع شرق مدينة مديات في طور عابدين في كوردستان تركيا.	
٣٥	دير القطرة	دير الناطق	تقع في الجبل المطل على مدينة نصيبين.	
٣٦	دير الصليب	دير الصليب	يقع قرب مدينة حسنكيفا في كوردستان تركيا.	
٣٧	دير مار قرياقس	دير مار قرياقس	قرب قرية زرجل في منطقة ديار بكر.	
٣٨	دير قنفرت	دير قنفرت	في ظاهر مدينة ديار بكر.	وهذا الدير سمي باسم ايليا النبي
٣٩	دير مار دانيال	دير مار دانيال	يقع في جبل المتينة شمال غرب قرية دركة في منطقة ماردين.	
٤٠	دير باعوث	دير باعوث	جوار مدينة خربوت في كوردستان تركيا.	

التاريخ الكوردي

في ضوء المصادر السريانيـة

ترجع أهمية المصادر السريانية إلى أنها تؤرخ لفترة مهمة في تاريخ الشعب الكوردي في القرون التي سبقت الفتح الإسلامي للمنطقة الكوردية، فضلاً عن علاقة الكورد بكل من الدولتين الفارسية والساسانية والرومية البيزنطية، كما أنها تربط الأحداث بعقد المجامع الكنسية، وإنشاء الأسقفيات والكنائس والأديرة في المنطقة الكوردية لأنها في واقع الأمر المنطقة الفاصلة بين إمارة الرها (أدسا)[١] التي انتشرت فيها المسيحية في نهاية القرن الثاني الميلادي من جهة وبين الدولة الفارسية من جهة أخرى[٢].

والحقيقة أن المصادر السريانية هي مصادر آرامية، على اعتبار أن اللغة السريانية المدونة فيها المصادر آنفة الذكر هي إحدى اللهجات الآرامية[٣].

والآراميون أمة قديمة من الأمم السامية التي هاجرت من الجزيرة العربية[٤]، وقد ورد ذكرهم في المصادر التاريخية منذ القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد في عهد الملك الأكدي نرام سين (٢٢٦٠-٢٢٢٣ ق.م)[٥]، وإن كان هناك باحثون آخرون يرون بأن هجراتهم التاريخية من الجزيرة العربية لا تتعدى الفترة المحصورة بين القرنين الرابع عشر والثاني عشر قبل الميلاد[٦].

---

(١) الرها: إحدى مدن الجزيرة الفراتية الواقعة في شمال ما بين النهرين (ميسوبوتاميا) تقع على بعد ٤٠كم إلى الشمال الغربي من مدينة حران واسمها باليونانية Uehoi ويسميها المسيحيون في المؤلفات السريانية (المدينة المباركة أو المدينة المؤمنة)، وتعتبر عند المسيحيين من المدن المقدسة، وقد حرف اسمها في القرن الخامس عشر إلى أورفة وهو اسم تركي ولا زال، ينظر بهذا الصدد: أ. ولفنستون: تاريخ اللغات السامية، بيروت، ص١٤٥-١٤٦؛ محمد عطية الأبراشي: الآداب السامية، ص٥٧ هامش (١)؛ زاكية محمد رشدي: السريانية، نحوها وصرفها، ص١٠، هامش٤.

(٢) مراد كامل: تاريخ الأدب السرياني من نشأته حتى العصر الحاضر، القاهرة ص٦٣؛ أحمد هبو: المدخل إلى اللغة السريانية وآدابها، حلب، ص٣٧.

(٣) مراد كامل: تاريخ الأدب السرياني، ص١١؛ زاكية محمد رشدي: السريانية، ص٩.

(٤) الأبراشي: الآداب السامية، ص٤٥.

(٥) أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق، القاهرة، ص١٠٢.

(٦) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص٤٩٢؛ أنطوان مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى، ص٢٦٩.

وقد تفرعت اللغة الآرامية في القرنين الأول والثاني الميلاديين إلى فرعين رئيسيين احتوى كل منهما على عدة لهجات:

١- الآرامية الشرقية: وتضم اللهجات الحضرية (مدينة الحضر المشهورة) والآرامية البابلية والآرامية الرهوية (سريانية مدينة الرها) واللهجات الصابئية (المندائية–لهجة صابئة جنوب العراق)، واللهجات الآثورية (الآشورية–لهجة سكان شمال العراق وشمال غرب إيران ومنطقة هكاري في تركيا)(١).

٢- الآرامية الغربية: وتضم اللهجات الآرامية النبطية التدمرية (مدينة تدمر الشهيرة) والآرامية الفلسطينية والسورية وغيرها(٢).

وقد تمكن الآراميون في نهاية القرن الثالث عشر من إقامة عدة دويلات وإمارات في مناطق الفرات الأعلى والأوسط، منها: دولة آرام نهرايم التي ورد اسمها بهيئة (آرام ما بين النهرين)، ودويلة فدان (آرام) التي كان مركزها حران(٣)، كما اشتهرت في التوراة بكونها موطن إبراهيم الخليل (عليه السلام) وأفراد أسرته خلال هجرتهم من أور الكلدانيين في طريقهم إلى بلاد الكنعانيين (فلسطين)(٤).

وللآراميين تأثير واسع وكبير في تاريخ الشرق الأدنى القديم على الأصعدة السكانية والحضارية واللغوية، حتى أن الآرامية أصبحت لغة المراسلات الدولية، فضلاً أن أغلبية سكان الهلال الخصيب غدو يتكلمون بها، ناهيك أنها لغة المسيح عليه السلام وأتباعه(٥).

---

(١) طه باقر: المرجع السابق، ص٧٠؛ الأبراشي: المرجع السابق، ص٤٥-٤٦.

(٢) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات، ص٧٠؛ مراد كامل: تاريخ الأدب السرياني، ص١٦-٣٠.

(٣) حران: مدينة قديمة لا تزال معروفة باسمها القديم، تقع في الشمال الشرقي من بلاد ما بين النهرين على الحدود السورية التركية الحالية على منابع نهر البليخ أحد روافد نهر الفرات، كانت مركزاً لإحدى الدويلات الآرامية فدان آرام التي كانت مركز لطرق القوافل، وإن اشتقاق اسم المدينة في اللغة البابلية (حرانو) التي تعني الطريق يشير إلى ذلك وقد ورد ذكرها في التوراة باسم هاران وهارا، كما أن التوراة تشير إلى أن نبي الله إسحاق ابن إبراهيم (عليهما السلام) تزوج من رفقة وكانت حرانية، طه باقر: مقدمة ٤٩٣؛ أحمد سوسة: ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص٣١، هامش ٣٤؛ الكتاب المقدس: سفر التكوين، ٢٤: ٩٢٤.

(٤) طه باقر: المرجع السابق، ٤٩٣.

(٥) محمد بيومي مهران: تاريخ العرب القديم، الاسكندرية، ص٤٩٦.

وفي نهاية القرن الثاني الميلادي دخلت المسيحية بلاد الآراميين في الرها مما حدا بمعتنقيها إلى أن ينفروا من التسمية القدية الآرامية التي هي مرادفة للوثنية عند اليهود المسيحيين، والاستعاضة عنها بكلمة السريان بدلاً من آرامي، والسريانية بدلاً من الآرامية، تلك التسمية التي أطلقها عليهم اليونانيين الذين كانوا قد احتلوا بلادهم سنة ٣١٢ ق.م في عهد الملك سلوقس الأول (٣١١-٢٨١ ق.م) الذين جعلوا اسم الآراميين لسكان المدن الوثنية مثل حران(١).

لذا بدأت المسيحية تتسرب إلى الأقاليم الإيرانية ومن ضمنها المنطقة الكوردية، في الوقت التي كانت الزرادشتية(٢) ديانة رسمية في الدولة الساسانية اعتباراً من عهد مؤسسها أردشير الأول (٢٢٤-٢٤١م) الذي أمر حسب الروايات الفارسية الهربدان (هريد تنسر)(٣) بجمع النصوص المتعددة من الكتاب الزرادشتي المقدس (الأفستا) الأشكانية، وبكتابة نص واحد منها، حيث تم إجازة هذا النص واعتبر مقدسا(٤).

ومن جهة أخرى تضفي المرويات المسيحية (السريانية) هالة كبيرة على الانتشار

---

(١) ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، ص١٤٥-١٤٦؛ مراد كامل: تاريخ الأدب السرياني، ص٦٧؛ هنري س. عبودي: معجم الحضارات السامية، طرابلس، ص٤٧٥؛ أحمد هبو: المدخل إلى اللغة السريانية وآدابها، ص٣٨؛ زاكية محمد رشدي: السريانية، ص٩-١٠.

(٢) الزرادشتية: نسبة إلى زرادشت، وهو رجل ظهر في القرن السابع ق.م في منطقة أذربيجان شمال غرب إيران، ولكن الديانة التي حاول نشرها لاقت قبولاً واسعاً أول الأمر في مقاطعات إيران الشرقية في نواحي بلخ (إقليم بكتريا Bactria) حيث هاجر إليها زرادشت، ولزرادشت كتاب مقدس أطلق عليه الأفستا وله شرح يدعى بالزند آفستا، الزرادشتية مبنية على القول بإلهين أهورا مزدا للخير وأهريمن للشر، وللزرادشتية كلمة مرادفة هي المجوس وهي معربة عن كلمة مكوسيا البلهوية، وفي لغة الأفيستا مكاو، وفي الفارسية الحديثة مغ، ومغ لقب كان يلقب به رجال الدين القدماء قبل زرادشت، وقد اشتهرت طائفة من هؤلاء بالسحر والشعوذة، لذا تسربت هذه الكلمة إلى اللغات الأوربية الحديثة بمعنى السحر Magic Magicen. طه باقر: تاريخ إيران القديم، جامعة بغداد، ص١٨١؛ إدوارد براون: تاريخ الأدب في إيران، ترجمة أحمد كمال الدين حلمي، الكويت، ص٧١-٨٥.

(٣) لقب يطلق على رئيس رجال الدين الذين ينفذون الشعائر المجوسية في معابد النار؛ طه باقر: المرجع السابق، ص٧٢.

(٤) آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، ص١٣٠.

المبكر للمسيحية في منطقة حدياب (أديابين)[1] Adiabaen من خلال قيام مار أدي[2] بالتبشير بين رعايا الدولة الساسانية (من الكورد والسريان وغيرهم) في منطقة حزة (حدياب) وأنه تمكن من تعميد رجل اسمه (فقيذا) نحو سنة ٩٩م الذي كان من عائلة فقيرة من أربيل، هرب من عائلته والتجأ إلى مار أدي الذي كان يكرز (يبشر) بالانجيل في الجبال الكوردية في إمارة حدياب لمدة خمس سنوات، ثم جعله أسقفاً وأرسله إلى أربيل سنة ١٠٤م ويذكر المطران أدي شير قائمة بأسماء عشرة أساقفة تولوا الكرسي الأسقفي في مدينة أربيل للفترة من ١٠٤ لغاية ٣١٢م[3].

وبالرغم مما تقدم هناك عدد من الباحثين الأجانب والكورد ينفون أية صلة للكورد بالمسيحية، وإنما بقوا محافظين على عقيدتهم الزرادشتية، بالرغم من الجهود المضنية التي بذلها رجال الدين المسيحيون في الترويج لمعتقدهم[4]، في حين يذهب آخرون إلى

---

(١) حدياب: إمارة صغيرة تقع في آشور القديمة (محافظة أربيل الحالية) في المنطقة المحصورة بين الزابين الأعلى والأسفل شرقي نهر دجلة، سميت في المصادر الإسلامية باسم حزة. ياقوت: معجم البلدان؛ كانت توالي الدولة الفرثية (الأشكانية) (٢٤٧-٢٢٤ ق.م) في سياستها العامة، اعتنقت عائلتها الملكية الديانة اليهودية، وكان أفرادها ينحدرون من قبائل السكيث (الساكا)، اشتهر من ملوكهم مونوبازوس الثاني وأيزاتيس الثاني الذين دفنوا في أضرحة ملوك أورشليم (القدس)، قضى الامبراطور الروماني تراجان على استقلالها عام ١١٦م. ينظر: أحمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص٣٩-٤٠؛ يوسف حبي: التواريخ السريانية، مجلة المجمع العلمي السرياني، ص٣٤؛ جمال رشيد: تاريخ الكورد القديم، جامعة صلاح الدين، ص١٢٧؛ كامل: تاريخ الأدب السرياني، ٦٠.

(٢) مار أدي: أحد تلاميذ السيد المسيح (عليه السلام) الذي ذهبوا إلى المشرق للتبشير بالمسيحية، أغلب المعلومات الواردة بخصوصه تقع تحت باب الأساطير السريانية القديمة. ينظر: كرافولسكي-دوروتيا: ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة خلف الجراد، سوريا ١٩٩٠، ص٢٦٩.

(٣) أدي شير: المطران: تاريخ كلدو آثور، بيروت، ١٩١٣م، ج٢، ص١-١٤.

(٤) محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، ترجمة محمد علي عوني، ص٢٨٨، نقلاً عن بلدان الخلافة الشرقية لمارك سايكس باللغة الانكليزية؛ علي سيدو الكوراني: من عمان إلى العمادية أو جولة تاريخية في كوردستان الجنوبية، ١٩٣٩، ص٢٥٩؛ سامي سعيد الأحمد: اليزيدية، بغداد، ١٩٧١، ص٧٠؛ يحيى الخشاب: التقاء الحضارتين الفارسية والعربية، القاهرة، ص٩٧-١٠٠؛ محفوظ العباسي: إمارة بهدينان العباسية، الموصل، ١٩٦٠، ص٢٥؛ شاكر خصباك: الأكراد دراسة جغراقية أثنوغرافية، بغداد، ص٤٨٤.

أن قسماً من هؤلاء الكورد اعتنقوا المسيحية بعد فترة طويلة من تسرب هذه الديانة إلى ديارهم، ولما جاء الإسلام إلى هذه المنطقة وجد الزرادشتية وهي الديانة الرئيسية[1].

ومع هذا فإن الباحث الكوردي جمال رشيد أكد بأن أغلبية الكورد قد اعتنقوا المسيحية ويبدوا هذا واضحاً من قوله: ((.. ويظهر كذلك بأن الكورد الساكنين في القرى العامرة الكثيرة المنتشرة في هذه المناطق (مقاطعات داسن، بيث عبهي، بيث شيروانايه – الشيروانيين، وبيث نيوا، بيث زيوا – منطقة زيويه، بيث واريك دكولاي وغيرها) وكذلك المستوطنات الأخرى في مملكتي حذيب وبيث جرمي (مقاطعات أربيل وكركوك) قد تقبلوا الديانة المسيحية منذ اول ظهورها، واستطاع القساوسة والرهبان الكورد من أمثال شمو بن فاغوني من بيث دابيش، وبارشبا الشهرزوري وناثنيال الشهرزوري في القرن السابع الميلادي وكذلك الجاثليق صبريشوع الأول الذي كان راعياً في الجهات الجبلية في شهرزور وأصبح أسقف لاشوم (داقوق) عام ٥٦٩م وغيرهم أن يؤثروا بشكل ملحوظ على زعماء الاتحاد القبلية للكيرت (الكورد)...))[2].

ويبدو للباحث أن نفي البعض اعتناق الكورد أو غير الكورد من سكان المنطقة للمسيحية موضوعة البحث عائد بلاشك إلى تأثرهم بالمصادر الفارسية الساسانية التي كانت الزرادشتية هي ديانتهم الرئيسية، ولا تسرهم اعتناق بعض أفراد رعيتهم من الكورد والآراميين والآشوريين للمسيحية باعتبارها من الأديان الغريبة على منطقتهم وجاءت إلى العالم بعد عدة قرون من ظهور زرادشت، وإلا فما هو ردهم بشأن الاضطهادات التي لحقت بالمسيحين طيلة سنوات طويلة من العصر الساساني التي يبدو أنها كفيلة برد مزاعمهم[3].

ومما لا شك فيه أن بعض الأكراد قد اعتنقوا المسيحية، وهؤلاء هم الذين عني بهم المؤرخ الإسلامي الشهير المسعودي (٣٤٦هـ/٧٥٩م) عندما ذكر أخباراً عن الأكراد اليعقوبية والجورقان، وإن ديارهم تقع مما يلي الموصل وجبل الجودي[4]، وأشار إليهم

---

(١) محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكوردستان، ص١٢١؛ ملا أنور المائي: الأكراد في بهدينان، الموصل، ١٩٦١، ص٣٩.

(٢) جمال رشيد: دراسات كردية في بلاد سوبارتو، الأمانة العامة للثقافة والشباب بغداد، ١٩٨٤، ص١٠١–١٠٢.

(٣) ينظر بهذا الصدد: كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص٢٥٤–٢٥٥.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٤، ج٢، ص١٠١.

الرحالة الإيطالي ماركو بولو (١٣٢٤م)[1] في معرض حديثه عن ولاية الموصل بقوله: ((أنه يسكن الأجزاء الجبلية جنس من الناس يسمون بالأكراد، بعضهم مسيحيون من النساطرة أو اليعاقبة وبعضهم الآخر من المسلمين...))[2].

وبخصوص تطرق المصادر السريانية إلى تاريخ الكورد، فقد ذكرت هذه المصادر أسماء كثير من المسيحيين الكورد وغير الكورد، الذي لاقوا حتفهم أيام الاضطهاد الفارسي لهم، وقد حافظ قسم منهم على أسمائهم الكوردية رغم تبوئهم مراكز عليا في السلم الكهنوتي المسيحي كالجاثليق[3]، شاهدوست الذي كان قد احتفظ بإسمه الكوردي ومعناه صديق الملك وقد انتخب جاثليقاً، ولكن أمره قد افتضح فقبض عليه الفرس مع مائة وثمانية وعشرين أسقفاً وراهباً وسجنوهم خمسة أشهر تعرضوا خلالها إلى أقسى صنوف التعذيب، وعندما لم يرجعوا عن معتقدهم قتل منهما مرزبان المدائن مائة وعشرين شخصاً، فأرسل إلى الملك شابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩م) بالجاثليق شاهدوست ومن بقي منهم، فلاطفه شابور في الكلام ليدخله في الزرادشتية، ولما أبى قتل هو وأصحابه في العشرين من شهر شباط ٣٤٢م[4].

وفي السنوات الأولى لحكم الملك الفارسي بهرام الخامس (٤٢٠-٤٣٨م) قتل مير شابور وفيروز والكاتب يعقوب[5]، أما ناثنيال الشهرزوري فقد درس في نصيبين واهتم بدراسة

---

(١) ماركو بولو: رحالة إيطالي ولد عام ١٢٥٤م بمدينة البندقية، قبل أن يبلغ العشرين من عمره انضم إلى بعثة تجارية مسافرة إلى الصين وعين بمنصب رسمي بمدينة بكين وبلغت إقامته فيها ٢٠ عاماً، عاد بعدها إلى البندقية عام ١٢٩٥م وأصبح في عام ١٢٩٨ رباناً لسفينة شراعية من سفن البندقية وفي نفس السنة تم أسره من قبل سفينة جنوية حيث مكث سنة كاملة في السجن، وقد توفي في البندقية عام ١٣٢٤م. ينظر: وليم مارسدن: رحلات ماركوبولو، ترجمها إلى العربية: عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٧٧، ص٣٧.

(٢) وليم مارسدن: رحلات ماركوبولو، ص٣٧.

(٣) الجاثليق: لفظ يوناني معناه العمومي، والمراد به الرئيس الأعلى للنصارى في أيام الملوك الساسانيين. ينظر: أبو الفرج الأصفهاني: الديارات تحقيق جليل العطية، لندن، دار رياض الريس للكتب والنشر، ص٢٦٢؛ يقابله في وقتنا هذا البطريرك، الشابشتي: الديارات، تحقيق كوركيس عواد، بيروت، ١٩٨٦، ص٢٨ هامش (١).

(٤) مراد كامل: تاريخ الأدب السرياني، ص٦٤.

(٥) المرجع نفسه، ص١١٧.

التفسير، وقد سجنه الملك كسرى الثاني (٥٩٠-٦٢٨م) ست سنوات قبل ٦٢٨م ثم قتله لأن الجماعة التي كانوا بإمرته طردوا قائداً فارسياً من المدينة بحجة هدمه لكنيستها(١).

وكان سبق للملك الفارسي شابور الثاني أن أمر بإعدام الكاهن مارايث آلاها النوهدري في إمارة حدياب عام ٣٥٨م بعد ثباته على مبدئه وقد بني دير تخليداً لذكراه في منطقة نوهدرا(٢).

وكان نرساي الملفان(٣) هو السباق في كتابة مقالة تخص اضطهاد الفرس الساسانيين للمسيحيين الكورد وغيرهم في عهد الملك شابور الثاني الذي استمر حكمه سبعين عاماً، حاول خلالها أن يستأصل المسيحية من مملكته والتي أصبحت تشكل خطورة كبيرة على عبادة النار الزرادشتية، وقد ألحق نرساي بتلك المقالة أنشودة هي حوار بين الملك شابور الثاني وشهداء المسيحية(٤).

وعلى الصعيد نفسه فقد ذكر المؤرخ السرياني الرهاوي المجهول(٥) (ت ١٢٣٤م؟) عن

---

(١) مراد كامل: تاريخ الأدب السرياني، ص٢١١.

(٢) البير أبونا: شهداء المشرق، بغداد ١٩٨٥، ج١، ص٢٠٥؛ ولا يزال هذا الدير ماثلاً للعيان في مدخل مدينة دهوك في الوقت الحاضر، حيث يقع على الجهة من القادم إلى دهوك من الغرب مقابل بناية رئاسة جامعة دهوك، وله عيد سنوي يقصده نصارى دهوك والمناطق المجاورة في فصل الربيع من كل سنة؛ ولمزيد من المعلومات ينظر؛ فرست مرعي الدهوكي: الكورد مصادر ومعالم من تاريخهم في صدر الإسلام، أطروحة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى جامعة الخرطوم كلية الآداب ص٤٤ وما بعدها.

(٣) نرساي الملفان: ولد نرساي عام ٣٩٩م في قرية عين دولبي (دلب الحالية) القريبة من قرية مالطا (معلثايا في المصادر الإسلامية والمسيحية) الواقعة على بعد عدة كيلو مترات من مركز محافظة دهوك، وبعد أن تلقى العلوم في مدرسة قريته أرسله عمه الراهب عمانوئيل إلى الرها ليدرس في مدارسها الشهيرة حيث انتخب فيما بعد مديراً لها خلف قيورا الذي توفي، وقد مات نرساي عن عمر يناهز ١٠٤ سنوات سنة ٥٠٣. مراد كامل: تاريخ الأدب السرياني، ص١٥٨؛ بشير متي توما: مدرسة الرها، مجلة المجمع العلمي العراقي الهيئة السريانية، مج٦، ص٢٨٠. ومن الجدير ذكره أن اسم نرساي يشبه اسم الملك الفارسي نرسي (٢٩٣-٣٠٢م).

(٤) بشير توما: مدرسة الرها، مج٦، ص٢٨٢.

(٥) الرهاوي المجهول: راهب من حاشية المفريان يعقوب الثاني، إذ التقى معه في مدينة تكريت سنة ١١٩٠م، له تاريخان: الكنسي يستمر حتى سنة ١٢٠٧م، والمدني يستمر حتى سنة ١٣٢٤م، وتاريخ وفاته مجهول (فيي، حنا: مصادر كنيسة المشرق قبل الإسلام، ترجمة جاك إسحق، مجلة بين =

رجل ادعى المهدية في منطقة الجزيرة وتابعه عليها خلق كثير من الأكراد إلى أن أصبح ملكاً، ونظراً لأهمية مثل هذه الرواية التي ذكرها أيضاً المؤرخ السرياني الآخر ابن العبري[1] (ت ١٢٨٦م)، نقتطف بعض الفقرات منها حسب رواية الرهاوي: ((كان في ذلك الزمان قوم يدينون بالوثنية، وهم الأكراد الموجودون إلى اليوم، هؤلاء بدأوا باحتلال الحصون ثم انضموا إلى الدين الإسلامي، بعد أن فقدوا رؤساءهم، كما هو مكتوب ههنا إنهم مجموعة من الشعوب الفارسية والأرمنية الوثنية[2] ثم أصبحوا أمة خاصة معروفة))[3]، والصحيح أن غالبية الكورد كانوا يدينون بالزرادشتية[4] ما عدا فئة كانوا قد تنصروا[5]، ولما وصل الفتح الإسلامي إلى ديارهم بعد معارك القادسية وجلولاء

= النهرين، العدد الثاني نيسان ١٩٧٣، ص١٥٩)، والمفريان معناه المثمر وهو اسم لصاحب رتبة كنيسة خاصة بالكنيسة السريانية مرادفة للجاثليق فهو دون البطريرك وفوق الأسقف. (برصوم، مار أفرام: اللؤلؤ المنثور في الأدب والعلوم السريانية، بغداد، المجمع العلمي العراقي الهيئة السريانية، ١٩٧٦، ص٥٠٢).

(١) ابن العبري: ولد غريغوريوس ابن العبري سنة ١٢٢٦م وترهب في أنطاكية سنة ١٢٤م، ثم تدرج في الرتب الكهنوتية، حيث رقي إلى مقام المفريان، تنقل بين عدة مدن، ونال الحظوة لدى المغول، ألف عدة كتب منها تاريخه الكنسي بالسريانية وتاريخ مختصر الدول، توفي سنة ١٢٨٦م في مدينة مراغة في إيران ونقل رفاته إلى دير مار متي الواقعة شرق الموصل. (ابن العبري: أبي الفرج جمال الدين: تاريخ الزمان، نقله إلى العربية إسحق رملة، بيروت، دار المشرق ١٩٩١م، ص١١-١٢)؛ (فيي: مصادر كنيسة المشرق، ١٥٩-١٦٠).

(٢) لعل الرهاوي يعد الكرد والفرس والأرمن من أرومة واحدة وهو ما يطابق النظريات الحديثة إلى حدما، التي تعد الأجناس المارة الذكر من العرق (الهندو-أوربي) غير أن الفرس والكرد اعتنقوا الإسلام، بينما ظل الأرمن على نصرانيتهم وفق المذهب المنوفيستي (أصحاب الطبيعة الواحدة).

(٣) الرهاوي: تاريخ الرهاوي المجهول، عربه عن السريانية ووضع حواشيه البير أبونا، بغداد، ١٩٨٦، ص٣٩؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ٢٧.

(٤) زكي: خلاصة تاريخية، ٢٨٨ نقلاً عن بلدان الخلافة الشرقية لمارك سايكس؛ الكوراني: من عمان إلى العمادية، ٣٧؛ العباسي، محفوظ: إمارة بهدينان العباسية، الموصل ١٩٦٩، ص٢٥؛ الأحمد، سامي سعيد: اليزيدية، بغداد، ١٩٧١م، ج١، ص٧٠.

(٥) المسعودي: مروج الذهب، ١٠١/٢؛ أدي شير: تاريخ كلدو وآثور، ١/٢-١٥؛ ألبير أبونا: تاريخ الكنيسة الشرقية، بغداد، ١٩٨٥، ج١، ص١٦-٢٥؛ يوسف حبي: كنيسة المشرق، بغداد، ١٩٨٥، ص١٠١-١٠٤.

ونهاوند دخلوا في الإسلام(١)، كما أنهم مجموعة بشرية متميّزة عن الفرس والأرمن، وإن كانت لغتهم واللغة الفارسية من أرومة واحدة. ثم يضيف الرهاوي قائلاً: ((وكان يتداول فيما بينهم حديث ناتج عن تكهن وتقليد آبائهم، مفاده أن ملكاً سيظهر منهم يدعى المهدي، وأنه حسب مضمونه، سيهدي الشعوب إلى الإيمان به، وكانوا يدعونه إلاهاً.. ففي هذا الزمان إذن ظهر رئيسهم المهدي.. وكان غير قابل للمس منهم، ويضع برقعاً على وجهه.. فاجتمع إليه فئات كثيرة من شتى الشعوب، الفارسية والعربية والوثنية))(٢).

ويبدو للباحث أن الأمر قدْ التبس على الرهاوي، حيث أن جميع المؤرخين وأصحاب الملل والنحل أجمعوا على أن عطاء الساحر الملقب بالمقنع الخراساني كان مشوه الخلق أعور قصير القامة، وكان لا يسفر عن وجهه بل اتخذ وجهاً من ذهب فتقنع به(٣)، ثم ادعى الألوهية(٤) وتابعه عليها كثير من أهالي ما وراء النهر من الصغد والأتراك(٥)، فلعل الرهاوي يعني حركة المقنع هذه.

ويمضي الرهاوي في سرد روايته قائلاً:

((وجعل سكناه في الجبال الحصينة من بلاد الأكراد، وحلت رهبته على الجزيرة وبلاد أرمينية، واجتاح بيث زبدى (بازبدى) وطور عبدين(٦).. وكان الشعوب كلها سواء لديهم في القتل.. وإذ كانوا يدينون بالمجوسية.. وخاف الملك المأمون على نفسه منهم، وحينما

---

(١) إسماعيل، فرست مرعي: الكرد مصادر ومعالم تاريخهم في صدر الإسلام (مرحلة الفتوحات)، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية الاداب/ جامعة الخرطوم، ١٩٩٧، ص١٠٨ وما بعدها.

(٢) الرهاوي: تاريخه، ٣٩، ٤٠.

(٣) الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، صححه وعلق عليه أحمد فهمي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/١٩٨٣م، ج١، ص١٥٢-١٥٣؛ البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد: الفرق بن الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٢٥٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤٠٢/١.

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل، ١٥٢؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ٢٥٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤٠٢/١.

(٥) البغدادي: الفرق بين الفرق، ٢٥٨.

(٦) بيث زبيدي: وهي المنطقة التي تحتضن مدينة الجزيرة عاصمة امارة بوتان، اما طور عابدين فهي المنطقة الجبلية الواقعة في المثلث الواقع بين ماردين ونصيبين ودارا في كوردستان تركيا، مقابل الحدود السورية علماً ان البطريك مار افرام يعتبرها منطقة سريانية وانها استكردت فيما بعد.

دخلوا بلاد طور عبدين ودير قرتمين والقرى المجاورة.. تشجع الحسن حاكم تلك البلاد وجابههم))[1].

ويعتقد الباحث أن الخليفة العباسي المأمون كان قد أرسل الجيش تلو الجيش لمحاربة بابك الخرمي ولكنه لم يظفر منه بطائل، وتوفي وحركة بابك لم تزل على أشدها، غير أن هذه الحركة لم تصل إلى مناطق بازبدى وطور عبدين الواقعة شمال نهر دجلة المذكورة آنفاً، أما القصد بأن هذه الشعوب جميعها كانت تدين بالمجوسية فهذا من محض خيالات المؤلف، لاسيما وأن الطابع الأسطوري يغلب على المرويات النصرانية.

وأثناء تتبع مفردات هذه الرواية يظهر أن المؤلف قد خلط بين ابن إسحق بن آشود في رواية الرهاوي[2] وإسحق بن آحود الأرمني في رواية ابن العبري[3] مع سهل بن سنباط الذي ألقى القبض على بابك الخرمي وأخيه عبد الله حيث تبدو عملية إلقاء القبض على المهدي الكوردي[4] وعلى بابك الخرمي[5] وكأنه صوت واحد، ((.. وشاء الله أن يحل الارتباك بين صفوف الأكراد، فولوا الأدبار، واضطر المهدي الذي كانوا يؤلهونه إلى رفع البرقع عن وجهه والهرب من أمام الحسن فنجا مع أفراد قلائل إلى بلاد إسحق بن آشود، ودخل عند إسحق إلى الحصن، واجتمع الأكراد حول الحصن، أما إسحق فأسرع حالاً وقبض على المهدي وقطع رأسه، وفي الليل أخذ الرأس وكل ما استطاع أخذه من المال والناس وهرب من قدامهم وعاد إلى حصنه، وترك أولاده في ذلك الحصن وذهب إلى حاكم الجزيرة))[6].

وفي ختام الرواية يحاول الرهاوي رسم صورة للأكراد الذين يحاولون الدخول إلى حصن إسحق بن آشود والثأر من عائلته انتقاماً لقتله زعيمهم وإلههم المهدي، ولكن دعاء أحد الرهبان وتضرعه للرب في رواية الرهاوي[7]، وإلقاء زوجة إسحق رضيعها أمام الرب

---

(١) الرهاوي: تاريخه، ٤٠.

(٢) الرهاوي: تاريخه، ٤٠.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ٢٧.

(٤) الرهاوي: تاريخه، ٤٠؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ٢٧.

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/٥٧٩.

(٦) الرهاوي: تاريخه، ٤٠-٤١؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، ٢٧ مع تغيير طفيف في كيفية إلقاء القبض، دون أخذه إلى حاكم الجزيرة كما هو مذكور في رواية الرهاوي.

(٧) الرهاوي: تاريخ الرهاوي ، ٤١.

في رواية ابن العبري[1]، جعلا مخططات الأكراد تفشل ويصل إسحق في اللحظة المناسبة، حيث ينقض على الأكراد ويبدد شملهم ((وشاء الله أن يحضر إسحق على رأس الجنود الذي جلبهم معه، وانقض بغتة على الأكراد وأباد الكثيرين منهم وفر الباقون وتبددوا، وكانت هذه نهاية المهدي المفجعة وأقاموا رئيساً عليهم شخصاً اسمه هارون وبعده قام بابك))[2].

في حين يختتم ابن العبري الرواية بشكل مغاير بعض الشيء، حيث يقول: ((وعند ذاك وافى إسحق في أبطاله فهلع الأكراد ولاذوا بالفرار ولكن الثلوج المتراكمة أعاقتهم ففتك إسحق بأغلبهم وأفلتت شرذمة أقامت لها زعيماً يقال له هارون فتك به علي وخلفه بابك راعي البقر.. وانهزم سائر الأكراد ولاذوا بثؤفيل ملك الروم..))[3]. وعلى الرغم من الفائدة الكبيرة للمصادر النصرانية في استجلاء حلقات مفقودة من التاريخ الكوردي فإنها لم تخل من سلبيات منها:

١- تتسم هذه المصادر بأسلوب السرد والنقل مع نزعة غيبية ظاهرة كونها تعتمد على معجزات القديسين التي لا يمكن تأويلها بأي شكل من الأشكال[4].

٢- تفتقر هذه المصادر إلى الموضوعية بدرجة كبيرة، لكننا لا نستطيع أن ننفي عنها هذه الصفة بصورة كاملة[5].

٣- يغلب على هذه المصادر الطابع الأسطوري الخرافي، وعدم الدقة في التواريخ المحلية والعالمية[6].

٤- ظاهرة التعصب الأعمى التي رافقت هذه المصادر خلال المراحل التاريخية بدءاً من الكتابة ضد الديانة الزرادشتية في المرحلة الأولى، وانتهاءً بالتدوين ضد الإسلام في مراحل لاحقة[7].

---

(١) ابن العبري: تاريخ الزمان، ٢٧.

(٢) الرهاوي: تاريخ الرهاوي، ٤١.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ٢٧.

(٤) كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ٣٠٠؛ يوسف حبي: التواريخ السريانية، مجلة المجمع العلمي العراقي (هيئة اللغة السريانية)، بغداد، مج٦، ص٣٨.

(٥) يوسف حبي: التواريخ السريانية، ٣٨.

(٦) كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ٣٥، ٢٦؛ مراد كامل: تاريخ الأدب السرياني، ٦٤.

(٧) أنور المائي: الأكراد،ص٢٢؛ جمال رشيد: لقاء الأسلاف الكرد واللان في بلاد الباب شيروان، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٤، ص٢٤٦.

كركوك وانحائها في

المصادر السريانية

(دراسة تحليلية - نقدية)

المقدمة

ترجع أهمية المصادر السريانية الى أنها تؤرخ لفترة مهمة من تاريخ الشعب الكوردي يلف الغموض الكثير من حلقاته، فضلاً انها تؤرخ حول انتشار المسيحية في المنطقة الكوردية وفيما بعد هيكلة النظام الكنسي (التنظيم الكنسي) والذي يدور حول انشاء الكنائس والاديرة والخورنات والابرشيات وعملية ادارتها، كما انها تربط الاحداث بعقد المجامع الكنسية، وكيف ان العديد من رجال المسيحي من الكورد وغير الكورد شاركوا في هذه المجامع نيابة عن رعاياهم من المسيحيين الكورد وغير الكورد. ومما تجدر الاشارة اليه ان المصادر السريانية التى نحن بصددها هي مصادر آرامية، على اعتبار أن اللغة السريانية المدونة فيها المصادر آنفة الذكر هي احدى اللهجات الارامية(١).

والآراميون أمة قديمة من الأمم السامية التى هاجرت من الجزيرة العربية(٢)، وقد ورد ذكرهم في المصادر التاريخية منذ القرن القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد في عهد الملك الاكدي نرام سين (٢٢٦٠-٢٢٢٣ق٠م)(٣) وان كان هناك باحثون اخرون يرون بأن هجراتهم التاريخية من الجزيرة العربية لا تتعدى الفترة المحصورة بين القرنين الرابع عشر والثاني عشر قبل الميلاد(٤). وقد تفرعت اللغة الارامية في القرنين الاول والثاني الميلاديين الى فرعين رئيسيين احتوى كا منهما على عدة لهجات:

١- الآرامية الشرقية: وتضم اللهجات الحضرية (مدينة الحضر المشهورة)، الآرامية

---

(١) مراد كامل: تاريخ الادب السرياني من نشأته حتى العصر الحاضر، القاهرة ١٩٤٩، ص١١؛ زاكية محمد رشدي: السريانية نحوها وصرفها، القاهرة (د.ب)، ص٩.

(٢) محمد عطية الابراشي: الآداب السامية، القاهرة دار التاليف والنشر، ص٤٥.

(٣) احمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق، القاهرة، ض١٠٢.

(٤) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد دار الشؤون الثقافة العامة ١٩٨٧، هي ٤٩٢، انطوان مورتكات تاريخ الشرق الادنى، دمشق، ص٢٦٩.

البابلية، الآرامية الرهوية (سريانية الرها)، واللهجة الصابئية (المندائية – لهجة صابئة جنوب العراق)، واللهجة الآثورية (لهجة المسيحيين في كوردستان العراق وايران ولهجة منطقة هكاري في كوردستان تركيا[١]).

٢– الارامية الغربية: وتضم اللهجات الارامية النبطية التدمرية (مدينة تدمر الشهيرة) والارامية الفلسطينية والسورية وغيرها[٢]، وللاراميين تاثير واسع وكبير من تاريخ الشرق الادنى القديم على الاصعدة الحضارية واللغوية والديموغرافية (السكانية)، حتى ان الآرامية اصبحت لغة المراسلات الدولية، فضلاً ان غالبية سكان الهلال الخصيب غدوا يتكلمون بها، ناهيك انها لغة السيد المسيح (عليه السلام) وأتباعه[٣].

وفي نهاية القرن الثاني الميلادي دخلت المسيحية بلاد الاراميين من الرها، مما حدا بمعتنقيها الى ان ينفروا من التسمية القديمة الارامية– التى هي مرادفة للوثنية عند اليهود والمسيحيين، والاستعاضة عنها بكلمة–السريان– بدلاً من كلمة الارامي والسريانية بدلاً من الارامية، تلك التسمية التى اطلقها عليهم اليونانيين (الاغريق) الذين كانوا قد احتلوا بلادهم (سوريا الطبيعية) سنة (٣١٢ق.م) في عهد الملك سلوقس الاول (٣١١–٢٨١ ق.م)، والذين جعلوا اسم الاراميين لسكان المدن الوثنية[٤] مثل حران[٥].

---

(١) طه باقر: المرجع السابق، ص٧، الابراشي: الادب السامية، ص٤٥–٦٤.

(٢) مراد كامل: المرجع السابق، ص ١٦– ٣٠ طه باقر: المرجع السابق، ص٧.

(٣) محمد بيومي مهران: تاريخ العرب القديم، الاسكندرية، ص٤٩٦.

(٤) أ. ولفنسون المرجع السابق، ص ١٤٥– ١٤٦، مراد كامل: المرجع السابق، ص٦٧، هنري سين.عبودي معجم الحضارات السامية، طرابلس– لبنان، ص٤٧٥، احمد هبو: المدخل الى اللغة السريانية، حلب، ص٩– ١٠

(٥) حران: مدينة قديمة لا تزال معروفة باسمها القديم، تقع في الشمال الشرقي من بلاد ما بين النهرين على الحدود السورية التركية الحالية على منابع نهر البليخ أحد روافد نهر الفرات، كانت مركزاً لإحدى الدويلات الآرامية قدام آرام التي كانت مركز لطرق القوافل، وإن اشتقاق اسم المدينة في اللغة البابلية (حرانو) التي تعني الطريق يشير إلى ذلك، وقد ورد ذكرها في التوراة باسم هاران وهارا، كما أن التوراة تشير إلى أن نبي الله أسحق بن إبراهيم عليهما السلام تزوج من رفقة وكانت حرانية. أنظر: طه باقر: مقدمة، ٤٩٣؛ أحمد سوسة، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، بغداد، مركز الدراسات الفلسطينية، ص٣١، هامش ٣٤؛ الكتاب المقدس، سفر التكوين، ٢٤: ٤/٩.

انتشار المسيحية في منطقة

كركوك (بيث كرماي)

لقد انتشرت المسيحية في المنطقة الكوردية في نهاية القرن الاول البلادي استناداً الى المصادر الكنسية، حيث تشير الرواية المسيحية الى هذا الأمر بالقول أن مار ادى او اداي[1] يبشر بالمسيحية وانه تمكن من تعميد وتنصير رجل اسمه (فقيدا) في حدود سنة (٩٩م) وكان الاخير ينتمي الى عائلة اربيلية فقيرة، هرب من عائلته والتحق بمار ادى الذي كان يكرز (يشير) بالانجيل في البلاد الكوردية في امارة حدياب (اديابين)، (Adiabene)[2] بعدها تحت رسامة (فقيدا) من قبل ماراداي واصبح اسقفا وارسل الى اربيل سنة (١٠٤ م)، ويذكر المطران ادي شير قاعة باسماء عشرة اساقفة تولوا الكرسي الاسقفي في مدينة اربيل للفترة من (١٠٤) ولغاية (٣١٢م). وعلى السياق نفسه تمضي الرواية المسيحية بالقول ان مارأدي ومار ماري كانا اول مبعوثين بشرا بالمسيحية الى مدينة كرخ بيث سلوخ (كركوك الحالية) والمناطق المحيطة بها[3].

وعلى أية حال فان هناك إشكاليات عديدة تواجه الباحث عندما يستنطق المصادر

---

(١) مار أدي: أحد تلاميذ السيد المسيح عليه السلام الذين ذهبوا إلى المشرق للتبشير بالمسيحية، أغلب المعلومات الورادة بخصوصه تقع تحت باب الأساطير السريانية القديمة. ينظر: (آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٥٧، ص٢٥؛ يوسف حبي: التواريخ الكنسية، مجلة المجمع العلمي السرياني، المجلد السادس، بغداد، ص٢٣٤؛ نينا بيغولفسكايا: ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة خلف الجراد، سوريا، ١٩٩٠، ص٢٦٩-٢٧٥.

(٢) حدياب: إمارة صغيرة تقع في آشور القديمة (محافظة أربيل الحالية تقريباً) في المنطقة المحصورة بين الزابين الأعلى والأسفل شرقي نهر دجلة، سميت في المصادر الإسلامية باسم حزة، كانت توالي الدولة الفرثية – الأشكانية– (٢٤٧ق.م-٢٢٤م) في سياستها العامة، اعتنقت عائلتها الملكية الديانة اليهودية، وكانت أفرادها ينحدرون من قبائل السكيث (الساكا)، اشتهر من ملوكهم مونو بازوس الثاني وإيزاتيس الثاني (عزة) الذين دفنوا في أضرحة ملوك أورشليم (القدس)، قضى الامبراطور الروماني تراجان على استقلالها عام ١١٦م. ينظر: (أحمد سوسة: ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص٣٩-٤٠؛ يوسف حبي: التواريخ السريانية، ص٣٤: جمال رشيد: تاريخ الكورد القديم، جامعة صلاح الدين، ١٩٩٠، ص١٢٧؛ مراد كامل: المرجع السابق، ص٦٠.

(٣) أدي شير: تاريخ كلدو وآثور، بيروت، ١٩١٣م، ص١-١٤.

والمراجع السريانية والغربية حول انتشار المسيحية في كوردستان والاجزاء الغربية من الهضبة الايرانية. وفيما تؤكد مصادر الكنسية بأن المسيحية قد انتشرت في شمال ميسو بوتاميا (كوردستان) في نهاية القرن الاول وبداية القرن الثاني الميلادي، نلاحظ ان المستشرقين المتخصصين في السريانيات يؤكدون حسب الوقائع التاريخية ان الانتشار المبكر للنصرانية تم اضافتها الى التقليد الشائع في قرون لاحقة، وان الانتشار الحقيقي تم في بداية القرن الثالث الميلادي، وان المصادر الكنسية تعتمد على تواريخ شبه اسطورية وحكايات أكثر مما هي شواهد تاريخية[١].

على أية حال فإن المسيحية قد تغلغلت في منطقة كوردستان قادمة من مدينة الرها حيث وصلت طلائعها اقليم حدياب (اربيل) ومن ثم (بيث كرماي) كركوك وبعدها وصلت ما وراء جبال كوردستان (زاكروس) حيث الهضبة الغربية الايرانية، وبمرور الزمن ظهرت مجتمعات ومستوطنات مسيحية صغيرة لم يكن لها شأن في نهاية الدولة البرثية (الاشكانية) وبداية ظهور الدولة الساسانية، ويؤكد المستشرق الالماني ارثر كريستنسن الى هذه الناحية بقوله (والخرافة تجعل سانت توما (مارتوما) مبشرا في بارثيا وفي اعمال توماس المنتحلة نجد انه سار برسالته حتى بلاد الهند، ولكن هذه الاعمال ليست صحيحة من الناحية التاريخية[٢]، وعندما يتطرق الى الدور السياسي المزعوم الذي لعبه المسيحيون في الدولة البارثية نراه يقول: (بانه لم يكن للنصارى أي دور سياسي ايام الاشكانيين.. وان رتبة جاثليق لم توجد في عهد الاشكانيين[٣]، في الوقت الذي يشير المطران أدي شير بأن الرسول ماري أخذ يطوف في بلاد حدياب وكركوك.. حتى وفاته في المداين (المدائن– سلمان باك)، وصار هو أول الأساقفة على (كرسي الفطركية)[٤].

وبمرور الزمن زادت التجمعات المسيحية في المنطقة وأصبحوا يشكلون مجتمعات محدودة داخل الامبراطورية الساسانية، حيث ترعرعت المسيحية ونمت وأصبح لها سبع وعشرون أسقفية في الثلث الأول من القرن الثالث، وإن أول إجراء فعله الملك الفارسي

---

(١) حنا فييه: مصادر كنيسة المشرق قبل الإسلام، مجلة بين النهرين، الموصل، السنة الأولى، العدد الثاني، نيسان، ١٩٧٣م، ص٢٥٥.

(٢) كريستنسن: المرجع السابق، ص٥٤.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٤.

(٤) أدي شير: المرجع السابق، ص١–١٤.

أردشير الأول (٢٢٦-٢٤١) زيادة معابد النار المجوسية وتعيين أشخاص كثيرين لإتمام عبادة أهورامازدا وإلزام الجميع بإكرامه كإله خالق، هذا مما أدى إلى تضييق الخناق على المسيحية حيث ارتد البعض عن ضعف. أما ابنه شابور الأول (٢٤٤-٢٧٣) فمال إلى الديانة المانوية في بداية حكمه ودافع عن ماني، واقتاد بعض الرومان إبان حملته الثالثة على أنطاكية والرها، وأسكنهم في إقليم خوزستان، كما ويذكر هو نفسه في نقش رستم، وكان على رأس الأسرى الامبراطور الروماني فاليريان نفسه. وكان معظم الأسرى من الأنطاكيين فأسكنهم شابور الأول في منطقة جنديسابور في خوزستان وعمل الأسرى على بناء سد على نهر الكارون. وكان شابور الأول قد هاجم الروم قبل ذلك في حملة ثانية وتمكن من السيطرة على أنطاكية (المدينة المقدسة الثانية عند المسيحيين) وسبى أهاليها سنة ٢٥٧م، ومن جملة من جاء بهم إلى الأهواز بيت لافاط (ديمتريانس أسقف أنطاكية) الذي خلف الأسقف فابيان منذ سنة ٢٥٣م(١).

وسوف يستمر ملوك الدولة الفارسية الساسانية في استخدام هذه الخطة، أي سبي أناس من ديار الروم وجلبهم كرهائن، وإسكانهم في المناطق الواقعة تحت حكمهم، فهي خطة سياسية عسكرية فضلاً عن الإفادة من هذه الطاقة البشرية في العلم والحرف والصنائع، فنلاحظ بأن الملوك الساسانيين شابور الثاني، وقباد الأول، وكسرى الأول، وكسرى الثاني يستخدمونها تباعاً. وكانت نتيجتها زيادة التواحد المسيحي في المملكة الساسانية كما يقول التاريخ السعردي صراحة(٢).

وانتقلت عدوى الخلافات اللاهوتية التى سادت الكنيسة المسيحية منذ بداية ظهورها فكان المذهب الملكاني السائد داخل أراضي الامبراطورية البيزنطية، وأصبح المذهب النسطوري هو المذهب السائد في أراضي الامبراطورية الساسانية بعد مقررات مجمع أفسس ٤٣١م حيث تم وضع الحرمان على بطريرك القسطنطينية نسطوريوس الذي أعلن صراحة أن مريم هي والدة عيسى البشر، مما حدا بأتباعه ومناصريه إلى ترك أراضي الدولة الرومانية البيزنطية والالتجاء إلى الشرق حيث الدولة الفارسية الساسانية، لذلك أصبحت الكنيسة النسطورية بمثابة أم كنائس المشرق وكان لها جهود حثيثة لنشر المسيحية في كوردستان والهضبة الإيرانية وفيما بعد إلى أواسط آسيا إلى الصين، وكان،

---

(١) أدي شير: التاريخ السعردي، ٤، ص٢٣٧.

(٢) يوسف حبـي: كنيسة المشرق، بغداد، ١٩٨٩م، ص٣٥١-٣٥٢.

أن جرت في الوقت نفسه مطارحات لاهوتية مع المنوفستيين (أصحاب الطبيعة الواحدة) الذين ظهروا عقب عقد مجمع خلقدونية عام ٤٥١م وأصبح المذهب الثالث للديانة المسيحية قبل ظهور الإسلام.

الصراع الزرادشتي المسيحي وانعكاسه على أوضاع الكـورد في منطقة كركوك

وقد عاش نصارى ايران وبلاد ما بين النهرين وكوردستان في سلام ما دامت اعدادهم قليلة، وافكارهم التى يحملونها لا تؤثر في الخط العام للدولة الساسانية، ولكن الموقف تغير في بداية القرن الرابع الميلادي حين اصدر الامبراطور الروماني قسطنطين (306-337) (costantin) مرسوم ميلان الشهير في سنة ٣١٣م معترفا بالمسيحية كاحدى الديانات المصرح باعتناقها داخل الامبراطورية الرومانية[١] فكان على المسيحيين داخل الامبراطورية الفارسية الساسانية ان يتحملوا نتيجة هذا العمل لأن الدولة الساسانية اعتبرتهم بمثابة عملاء (الرتل الخامس) للدولة الرومانية. ومما زاد من تفاقم هذه المشكلة ان ارمينيا الدولة الحدودية بين فارس وبيزنطة قد تنصرت مع اعلان الملك تيريدات الثالث ((Tradat III تنصر ارمينيا رسميا في عام ٣٠١ او ٣١٤م[٢]، ومما يؤيد هذا القول تلك الرسالة التى وجهها الملك الفارسي شابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩م) الى أمراء الارمن بقوله: ((عندما تعلمون بامرنا هذا نحن الالهة الاخرين وهو في الدرج الذي بعثناه اليكم، فعليكم ان تقبضوا على سيمون رئيس النزاريين، ولا تطلقوه ما لم يرقم هذه الوثيقة ويقبل ان يجمع جزية وغرامة مضاعفين يؤيدها الينا عن كل النزاريين الذين يعيشون في بلاد قداستنا والذين يسكنون اراضينا، لأنا نحن الالهة الاخرين ليس لنا غير متاعب الحرب وهم ليس لهم غير الراحة واللذات! انهم يسكنون بلادنا ويشاركون قيصر، عدونا المشاعر))[٣].

ولما تلقى الملك الساساني شابور الثاني جواب مارشمعون برصباعي، اعلن الجاثليق

---

(١) كريستنسن: المرجع السابق، ص٥٤.

(٢) مروان المدور: الأرمن عبر التاريخ، بيروت، ص٢٧٧؛ محمد أمين زكي: خلاصة تاريخية، بغداد، ج١، ص١٢١.

(٣) كريستنسن: المرجع السابق، ص٥٤.

عن عدم امكانية تلبية رغبة الملك، حرق عليه الارم وثار ثائره وقال في سورة غضبه ((ان شمعون يريد تحريض تلاميذه وشعبه على القيام بثورة في مملكتي، انه يريد جعلنا عبيداً لقيصر، ولذا فهو لا يريد أن يطيع أوامري))(١).

وساهم اليهود في إذكاء نار الحقد في قلب الملك شابور على المسيحيين قائلين له: ((ان ارسلت انت ملك الملوك وسيد الارض كلها رسائل جليلة وحكيمة الى القيصر (الروماني) مع هدايا فاخرة ومواهب نفيسة، فانها لا تلقى استحساناً في نظرة، اما اذا وجه اليه (الجاثليق) شمعون رسالة في قصاصة ورق حقيرة، فانه يتناولها بكلتا يديه راكعاً وينجز امره بكل اهتمام، وبالاضافة الى ذلك فليس سر في مملكتك لم يطلع شمعون قيصر عليها))(٢).

إن أعمال الشهداء السريانيين في الدولة الساسانية تتضمن بلا شك معطيات ثمينة عن تاريخ المنطقة الكوردية وجغرافيتها في زمان الساسانيين، فأول هذه الأعمال يختص باستشهاد الأخوين أدور باروي وميهر نرسي وأختهما مهدوخت، وقد حدث في جبل بران في ضواحي مدينة بيت سلوخ (كركوك) عاصمة باجرمي وذلك في السنة التاسعة من عهد الملك شابور الثاني أي في سنة ٣١٨م، وقد ألف هذه الأعمال الربان (الراهب) أحد رهبان دير عابي في النصف الثاني من أواسط القرن السابع الميلادي(٣).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الزرادشتية كانت الديانة الرسمية للدولة الساسانية منذ عهد مؤسسها الأول أردشير الأول (٢٢٤-٢٤١م). والزرادشتيون هم أصحاب ديانة ثنائية (إله الخير وإله الشر) أو عديدة الآلهة على حد تعبير الأب يوسف حبي. أما أولى علامات الزوبعة فقد بدت في عهد الملك الفارسي بهرام (ورهاران) الأول (٢٧٣-٢٧٦م). وكانت في بداية الأمر محاولة للحد من انتشار المانوية، فقد استفحل أمرها، وظن الملك أن المسيحية والمانوية شيء واحد، فقد جمع ماني بين الزرادشتية والمسيحية ليجتذب

---

(٢) البيرابونا: ادب اللغة الارامية، بيروت لبنان ١٩٧٠، ص ٦٦-٦٩

(٢) البيرابونا: تاريخ الكنيسة الشرقية الجزء الاول من انتشار المسيحية حتى مجيء الاسلام، شركة التايمس، بغداد ١٩٨٥ الطبعة الثانية، ج آ ص ٣٨-٣٩ نقلاً عن كتاب (سير الشهداء والقديسين للأب بولس بيجان).

(٣) روبنس دوفال: تاريخ الأدب السرياني، ترجمة الأب لويس قصاب، منشورات مطرانية السريان الكاثوليك، بغداد، ١٩٩٣، ص ١٤٠.

الجميع، وسمى تلاميذه توما وأدي، ووجه أدي إلى اليمن، وتوما إلى الهند، وادعى أنه الفارقليط الذي وعد المسيح عليه السلام تلاميذه بإرساله إليهم. ومع أن الملك بهرام كان قد تربى في منطقة كيلان (جنوب غرب بحر قزوين) على معلمين مسيحيين وتعلم السريانية وجادل الأساقفة، وكانت له زوجة مسيحية من سبايا الروم البيزنطيين، فقد أخافته الظاهرة الجديدة، انتشار المانوية والمسيحية معاً، فانقلب إلى مضطهد عنيف بتأثير الموبيدان موبد (كرتير) الذي كان يكن عداءً عنيفاً ضد المسيحيين نظراً لاتهامهم للزرادشتيين بعبادة النار، كما يظهر ذلك في نقش رستم في الكعبة الزرادشتية(١).

إن أعمال شابور أسقف نيقاطور وأسحق أسقف بيت سلوخ وماني وأبراهام وشمعون تؤدي بنا إلى باجرمي (بيت كرماي)، أما تاريخ استشهاد هؤلاء الكورد فيحدد في السنة الثلاثين من عهد الملك شابور الموافق لسنة ٣٣٩م، والمؤلف السرياني الذي بين أيدينا يظهر أن مصدره مدينة الرها، فإننا نقرأ فيه: (إن شهداء الكورد مدفونون الآن في الرها في مرقد الشهداء الجديد داخل المدينة، ولاشك في أن هذا القول يستند إلى حجج قديمة، فإن المسيحيين سموا بهذه الأعمال باسم النصارى وهو الاسم الذي كان يطلقه عليهم الفرس والكورد سابقاً، ومع ذلك كله إذا قبلنا هذه الأعمال بتاريخ مدينة بيت سلوخ نرى أن هناك ثمة تناقضاً بيّناً، فقد ذكر في هذا التاريخ أن اسحق الأسقف الشهيد هو سلف يوحنان الذي حضر مجمع نيقية سنة ٣٢٥م(٢).

ومن جهة أخرى إن ماني وأبراهام وشمعون هم أساقفة كورد لم يستشهدوا في عهد شابور الثاني بل في عهد يزدجرد الثاني في السنة الثامنة من حكمه التي توافق سنة ٤٠٧م. ثم إن هذا التاريخ يأتي بتفاصيل دقيقة لأعمال هؤلاء الشهداء استقاها المؤلف من مصادر قديمة، فإذا كان مؤلف هذه الأعمال السريانية قد كتب في الرها هذه السير بعد نقل رفات هؤلاء القديسين إليها، فيكون قد خلط سني هذه الحوادث خلطاً. فإن الغلطة

(١) يوسف حبي: كنيسة المشرق، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٢) روبنس دوفال: المرجع السابق، ص١٤٢؛ وقد أكدت على كردية أسماء رجال الدين المسيحي هؤلاء على أساس أنهم ولدوا وعاشوا في المنطقة الكردية، والغريب أن المؤرخين والباحثين السريان اعتبروهم فرس على أساس أن الدولة الفارسية الساسانية كانت هي الحاكمة آنذاك، علماً أن العنصر الفارسي يتركز في جنوب وجنوب شرق الهضبة الإيرانية وليس لديه تركيز في المنطقة موضوعة البحث.

التاريخية التي جعلت الأسقف اسحق معاصراً لماني ولأبراهام ولشمعون يمكن شرحها بأنه كان الكاهن اسمه اسحق عذب هو أيضاً مع هؤلاء الشهداء، وأن تنفيذ هذه العقاب جرى في الموضع نفسه في مدينة كنار الواقعة في ولاية نيقاطور(١).

إن تاريخ بيت سلوخ يعرفنا بشهداء آخرين من هذه المدينة وأول هؤلاء هو الأسقف الكوردي ماني سلف أسحق الذي اضطهد بتحريض من المانويين وحكم عليه بالموت مع مسيحيي المدينة، وقد هدمت الكنيسة وشمل الاضطهاد حتى الراهبات اللواتي عذّبن خارج المدينة في مكان يسمى حورا، على أن هذا التاريخ لا يذكر أسماء هؤلاء النساء القديسات الكورديات ولكن أسماءَهن حفظت في وثيقة سريانية أخرى وهن كما ذكر فيها: تقلا، وداناك، وتاتون، وماما، ومزاكيا، وحنا (يكتبهم المطران أدي شير: تقلا، داناق، طاطون وأمزكية وماما)، وأما الاضطهادات الأخرى المذكورة في هذه القصة فقد جرت في القرن التالي(٢).

إن اضطهادات الملك الفارسي شابور الثاني التي دامت ٣٩ سنة بكاملها تخللتها بعض الفترات الهادئة، أي من ٣٤٠-٣٧٩م، ولم تبدأ فعلاً إلا بعد مرور سنة واحدة على إصداره مرسوم سنة ٣٤٠م.ضد المسيحيين، وقد نسب خبر هذا الاضطهاد إلى ماروثا أسقف ميافارقين الذي عاش في نهاية القرن وبداية القرن الخامس الميلادي، فقد كان هذا الأسقف ضليعاً بالآداب الكتابية وطبيباً ممتازاً، وقد أوفده الملكان البيزنطيان أركاديوس وثاودوسيوس الثاني مرتين متعاقبتين بصفة سفير إلى الملك الفارسي يزدجرد الأول، وبفضله أعاد ملك الفرس إلى الكنيسة المسيحية أمنها(٣).

التنظيم الكنسي لكنيسة المشرق

الكنيسة حسب الاعتقاد المسيحي جسد، رسلها جماعة ومراتب، حياتها جماعية مشتركة، لذلك برزت المجمعية (Synodality) فيها، وقد توالت المجامع في حياة كنيسة المشرق أسوة

---

(١) السمعاني: سير القديسين والشهداء، المجلد الأول، ص١٠٠.

(٢) يذكر المطران أدي شير رواية أسطورية بأنه نبتت من دماء هؤلاء القديسات شجرة تين أثمرت الخيرات والبركات، غير أن المانويين قطعوها حسداً ومنذ ذلك الحين غلب على ذلك المكان اسم بيت تيثا وهو شرقي كركوك على مسافة نصف ساعة منها وإلى الآن يقال لها في التركية إنجير آغاجي أي شجرة التين. أنظر تاريخ كلدو آثور، ج٢، ص٦٢، ٦٣، ٦٤.

(٣) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٩٠.

بما كان يحدث في المجامع المسكونية (العالمية) التي كان الأساقفة المسيحيون يعقدونها بين الفينة والأخرى. ويعد مجمع أوسينودس مار إسحق الذي عقد عام ١٤١٠م المجمع الرسمي الأول في كنيسة المشرق لاسيما بعد اعترافه بمقررات مجمع نيقية عام ٣٢٥م الذي التأم رداً على الخلاف اللاهوتي بين الأريوسيين (الموحدين) والأثناسيوسيين (المثلثين)، وتم في هذا المجمع[١] الاعتراف بالأثنوسيوسيين كمذهب قانوني وتم طرد الأريوسيين واعتبارهم فرقة مهرطقة.

وكانت مطرانية باجرمي (منطقة كركوك) تعد الرابعة في السلم الكهنوتي بعد كنيسة المشرق، لا كما يعتقد الدكتور (جمال رشيد) الذي اعتبرها أقدم مطرانية ليس على صعيد ميديا فحسب بل على صعيد كنيسة المشرق[٢]، فتسلسلها في واقع الأمر حسب وثائق كنيسة المشرق يأتي في المرتبة الرابعة وفق التسلسل الآتي:

أولاً– الأبرشية الكبرى البطريركية في كلدو الشمالية (بيث أرمايي–وسط العراق).

ثانياً– الأبرشية الثانية كلدو الجنوبية (برات–ميشان–منطقة البصرة جنوب العراق).

ثالثاً– أبرشية الأهواز (خوزستان).

رابعاً– أبرشية بيث كرماي (باجرمي–كركوك).

خامساً– أبرشية حدياب (أربيل).

سادساً– أبرشية بيث عربايي (المنطقة الممتدة من نصيبين شمالاً إلى سنجار جنوباً)[٣].

وفي مجمع مار إسحق ٤١٠م تقرر أن يكون كرسي كرخ بيث سلوخ (باجرمي – كركوك) مطرانية (مطرافوليطية) تتكون من الكراسي الأسقفية التالية:

١– أسقفية شهركورد، تقع في شرق كركوك في الأطراف الشمالية لمنطقة كرميان في أطراف حربة كلال.

---

(١) يوسف حبي: كنيشة المشرق الآثورية الكلدانية، الكسليك، لبنان، ٢٠٠١، ص٤٧.

(٢) د. جمال رشيد: كركوك في العصور القديمة، بحوث المؤتمر العلمي حول كركوك، نيسان ٢٠٠١، دار ئاراس أربيل، ص٧٧.

(٣) جي. ب. أسموسن: فاتحة انتشار المسيحية في امبراطورية الإيرانيين، (ميسوبوتاميا وإيران)، نقله إلى العربية وعلق عليه جرجيس فتح الله، السويد، دار الشعاع، ص٢٣.

٢- أسقفية لاشوم، قرب (داقوق) جنوب شرق كركوك.

٣- أسقفية حرية كلال، تقع داخل منطقة كرميان شرقي مدينة كركوك في منطقة ديالى.

٤- أسقفية دار، تقع على ساحل الزاب الأسفل، ولعلها بردي التي حور اسمها العثمانيون إلى آلتون كوبري.

٥- أسقفية ماحوزا، تقع على شاطئ الزاب الأسفل، وهي بيث وازيق، وبالعربية البوازيج.

٦- أسقفية تحل، جنوب غرب كركوك ولعلها الحويجة.

٧- أسقفية نيقاطور، تقع شمالي كركوك على مسافة خمس ساعات منها في منطقة تدعى كانيكار أو خانيجار (قضاء طوز خورماتو) حالياً.

٨- أسقفية بورزان(١)، لعلها وفق أدي شير مضيق دربندي بازيان الذي يفصل منطقة كركوك عن السليمانية.

كوردستانية كركوك وأنحائها

في ضوء هذه المصادر

مما لاشك فيه أن هذه المصادر ألقت الضوء على تاريخ وجغرافية هذه المنطقة التي سمتها المصادر المختلفة (بيت كرماي)، فغالبية رجال الدين المسيحيين من البطاركة والأساقفة والقسس أسماؤهم كوردية ولا عبرة بقول هذه المصادر أنها أسماء فارسية، فمثلاً يذكر صاحب كتاب مختصر أخبار البيعية أن شاهدوست الجاثليق اسم فارسي تفسيره صديق الملك(٢)، لأننا لو بحثنا تاريخياً حول تواجد الفرس والكورد في هذه المنطقة لرأينا أن الفرس كانوا بعيدين عن هذه المنطقة، بينما كان سكانها منذ القدم من أسلاف الكورد سواء من الكوتيين أو الحوريين أو الميديين؛ فاللغتان الكوردية والفارسية شقيقتان تنتميان إلى أرومة واحدة وهي الهندو إيرانية التي تنتمي بدورها إلى عائلة اللغات الهندو أوربية، وهذا الأمر يجري على الأسماء الأخرى نرسي وماني وآزاد التي هي أسماء مشتركة بين الجانين الفارسي والكوردي. ولكن الشيء الذي يستطيع أن يقيد هذه الأسماء ويربطها بالطابع الكوردي هي أن هذه المنطقة كوردية ويتواجد فيها الكورد منذ

---

(١) أدي شير: المرجع السابق، ج٢، ص٦٤.

(٢) الأخبار البيعية، حققه وشرحه الأب بطرس حداد، بغداد، ٢٠٠٠، ص١٩٧.

مطلع التاريخ. والدليل على ذلك أن مدينة شهر كورد التي تعني مدينة الكورد جاءت في العديد من المصادر السريانية بصيغة شهر كورد وتحولت في مصادر أخرى إلى شهر قرد وحورت إلى شهر قرت، والاختلاف واضح وبين، فالباحثين السريان المحدثين من أمثال أدي شير ويوسف حبي وألبير أبونا وآخرين على دراية بهذا الأمر، ولكن لأمر ما في نفس يعقوب تم التغاضي عن هذه التسمية وشرح معناها وتحديدها بدقة.

ومن جهة أخرى ان اسم الأسقف أحاد أبوي معناه في اللغة السريانية أي أخو أبيه، وكان من عادة الزرادشتيين في سبيل الحفاظ على نقاوة دم الأسرة التي كانت الصفة المميزة لعاداتهم بجواز الزواج بين المحارم، بين الأخ والأخت والأم والابن والأب والبنت. وكان يدعى هذا الزواج (خويند وكس)، وقد جاء في دينكرد الذي هو شرح الآفستا أن الزواج بين الأخ وأخته منور بمجد إلهي يطرد الشيطان، وقد جاءتنا العديد من هذه الأسماء الكوردية، ولكن الكورد عندما اعتنقوا المسيحية حرمت المجامع الشرقية هذه الأسماء الزرادشتية وسنت قوانين تحرم ذلك، وهذا دليل آخر على كوردية هذه الأسماء وكوردية المنطقة[1].

كما أن الآراميين أطلقوا على اسم إقليم كرمكان Carmakan (كرميان الكوردية- المناطق الحارة) اسم بيث كرماي التسمية التي أخذت صيغة باجرمي في المصادر العربية[2]، أي أن التسمية الأصلية للمنطقة جاءت من خلال الوصف الكوردي لها بأنها منطقة حارة، وفي الكوردية كرم = الحار، وكرميان = المنطقة الحارة، فضلاً عن أن الكورد في تلك المنطقة كانوا يعتنقون الزرادشتية، والمذاهب والأديان الأخرى من مانوية ومزدكية ومثرائية فلا عجب أن كان سهام النقد والتشهير توجه إليهم من قبل رجال الدين المسيحيين على أنهم عبدة النور والشمس والأصنام والأوثان.

مما تقدم يظهر بأن منطقة باكرمي (كركوك وأنحائها) كوردية لغلبة العنصر الكوردي عليها، وهذا ما بدا واضحاً من خلال العديد من أسماء رجال الدين المسيحيين الكورد الذي تبوءوا مناصب قيادية في السلم المسيحي الكهنوتي أو تعرضوا للاضطهاد على يد الملوك الفرس، ولكن هذا لا يعني عدم وجود فئات أخرى تعيش في هذه المنطقة تنتمي إلى أرومات أخرى.

---

(١) مشيحا زخا: كرونولوجيا أربيل، ترجمة وتعليق عزيز عبد الأحد نباتي، ص١٥٦، هامش ١.

(٢) الدكتور جمال رشيد: المرجع السابق، ص٧٧.

دهـوك وانحائهـا فـي
المصادر السريانية

مقدمة

لمنطقة دهوك تسميات عديدة تبعاً للتسلسل التاريخي التي مرت به هذه المدينة وانحائها، فهي كغيرها من المناطق لم تكن معروفة باسم خاص بها. وكثيرا ما تتغير الأسماء من عهد الى آخر لأسباب عديدة، والمصادر التاريخية القديمة تطرح عادة أسماء سياسية كالقول ان الامبراطورية الآشورية تحكم المنطقة التي نحن بصددها من جملة مناطق اخرى تتسع او تتقلص وفقا لمناطق نفوذ هذه الامبراطوريات وصراعاتها مع بعضها البعض بحيث لا يمكن اتخاذ مثل هذه التسميات على علاتها بشكل دائم واذا امعنا النظر في المصادر التاريخية نلاحظ وجود اسمين قديمين بوسعهما افادتنا بعض الشيء وهما:- نوهدرا، باهدرا، بانوهدرا، وبهدينان، فثمة معطيات وعصور تطابق مابين الاسمين والمنطقة التي نحن بشأنها(١).

وتسمية نوهدرا اقدم من تسمية بهدينان، اذ ان الاول اسم اكدي الاصل، وارامي- سرياني (بيت نوهدرا) بمعنى البهاء الجلال والهالة، ولعله تطور مع الزمن على حد قول الباحث الكنسي يوسف حبي فأصبح بالكوردية الأرض الجديدة او المكان (حطرا) الجديد على اساس ان هذه المنطقة قد غدت الشريط الحدودي الذي يفصل المملكتين الفارسية والرومانية.(٢) وهنا يتساءل الباحث لما لا يكون الاسم كورديا في الاصل (نوئەدرا) (الأرض الجديدة) وتطور بمرور الزمن الى (نوهدرا) او (بانوهدرا) حسب الصياغة الارامية السريانية، لأن المنطقة كوردية ولابد للتسميات ان تكون مطابقة لواقع المنطقة، فاذا ما جاءت تسمية اخرى فلا مناص من ان تكون قد تطورت مع الزمن،او ان اقواما او مللا اخرى قد اطلقتها على هذه المنطقة او تلك. فاسم كوردستان كانت يطلق عليه في العراق سابقا مصطلح شمال العراق رغم ان تسمية كوردستان اقدم تاريخيا من تسمية شمال

(١) د. يوسف حبـي: ابرشية نوهدرا، مجلة بين النهرين العددان ٥٥- ٥٦، ١٩٨٦ الموصل، ص٤٣.

(٢) د. يوسف حبـي: المرجع نفسه، ص٤٣- ٤٤.

العراق وهلم جرا[1] وغير خاف ان هناك بونا شاسعا بين اللغة الكوردية التي هي لغة هندو- اوربية وبين الارامية السريانية التي هي سامية النجار.

وعندما وصل المسلمون الفاتحون الى شمال وشرق نينوى اكدوا على كورديتها يثبت ذلك بجلاء في النص الذي يرويه البلاذري بقوله:«... ووجد بالموصل ديارات فصالحه اهلها على الجزية ثم فتح المرج وقراه وارض باهذرى وباعذرى وحبتون والحيانة والمعلة وداسير (داسن) وجميع معاقل الاكراد»[2]

رغم انهم اطلقوا نفس التسميات السائدة انذاك في اذهان الناس، ولابد من مرور حقبة من الزمن حتى تظهر تسميات اخرى ربما تكون اصيلة للمنطقة لاننا لو اخذنا فرضا بالتسميات التي اطلقتها المصادر الكنسية الارامية السريانية على المنطقة الكوردية لتبين لنا بكل وضوح بأن هذه المنطقة غير كوردية! وان العنصر السكاني المستقر فيها لا يمت للكورد بصلة ولنبدأ من الجنوب الشرقي لكوردستان وتحديدا كرمنشاه وخانقين وحلوان هي بتسميتهم بيت بلاشفر وكركوك- بيت كرماى، واربيل- حدياب، ودهوك وزاخو- نوهدرا والجزيرة- بيت زبدى، ونصيبين وسنجار- بيت عرباي وهلم جرا[3].

ولكن هذا لا ينفي اشارة بعض المصادر السريانية الى المنطقة الكوردية من خلال

---

(١) لقد ثبت الان علميا ان مصطلح بلاد الكورد او مسكن الكورد يرجع الى القرن الرابع الميلادي بعد ان كان شائعا ان التسمية ترجع الى القرن الثاني عشر الميلادي انظر بهذا الصدد: (تواريخ سريانية من القرون ٧- ٩ مطبوعات المجمع العلمي العراقي الهيئة السريانية، نقل وتحقيق يوسف حبي، ص ١٨٠، ادي شير: تاريخ كلدو اثور، بيروت ١٩١٣، ج ٢ص ١٢٠).

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، مصر المكتبة التجارية، ص٣٣٧ تحقيق رضوان محمد، والمرج هي منطقة عقرة، وباهدري موضوح بحثنا منطقة دهوك وزاخو، وباعدري هي نفسها باعدري مقر رئيس الطائفة الايزدية ويضمنها منطقة عين سفني والشيخان)، وحبتون هي اعالي الزاب الكبير يعتقد انها بارزان الحالية بضمنها قرية ريزان والمناطق المحيطة بها، اما الحيانة احدى المناطق الواقعة على احدى روافد نهر الزاب الصغير ولعلها منطقة رانية اما المعلة فمعناها المدخل او الباب مثل كلمة دربند الكوردية وتقع عند مدخل خروج الزاب الكبير من الجبال عند بخمة، اما داسير فهي تصحيف داسن وهي منطقة تقع جنوب العماديةو لعلها منطقة برى كاره.

(٣) ينظر بهذا الصدد: البيرا ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية من الاسلام حتى نهاية العصر العباسي، دار المشرق بيروت، الطبعة الاولى ١٩٩٣، الخارطة المرفقة في نهاية الجزء الثاني؛ يوسف حبي: كنيسة المشرق الكلدانية الاشورية، الكسليك لبنان ٢٠٠١م، ص ٢١- ٣٤.

اطلاق اسم الاكراد عليها،[١] او من خلال القول بوجود اسقف للاكراد،[٢] او مسكن الاكراد (مشكنا دقوردو)[٣] او بيث قرتواي[٤].

تحديد جغرافي لمنطقة

نوهدرا– دهوك وانحائها

تشمل منطقة نوهدرا السهل الواقع بين الجزيرة الفراتية (غرب نهر دجلة) ومنطقة الجبال الكوردية، فيحدها غربا نهر دجلة الذي يفصلها عن منطقة باعربايا الممتدة بين نصيبين وسنجار ودجلة، والزاب الاعلى من الجنوب الشرقي، ويفصلها نهر الكومل عن منطقة المرج (مركا– عقرة)، ويقع جبل عين سفني (الشيخان) في شمالها الشرقي، بينما تقع سلسلتا الجبل الابيض (بيخير) والجبل الاسود (زاوه) في الجنوب الشرقي، وجبال كاره ومتينا وشاراني (المطلة على كاني ماسي) في شمالها، وينتهي سهل نوهدرا بجبال اقل علوا هي جبال بعشيقة وعين الصفراء وجبل مقلوب شرق نينوى[٥].

اما بخصوص مالطا– معلتا فهي تقع في موضع مدينة مالياتي الاشورية والاشوريون كما هو مشهور حكموا هذه المنطقة لاكثر من سبعة قرون متواصلة اعتبارا من عام ١٣٦٣ق.م حينما تمكن الملك الاشوري اوباليت من القضاء على النفوذ الميتاني والى سقوط نينوى عام ٦١٢ق.م[٦] بيد التحالف الميدي– الكلداني، وكانت جل عواصمهم قريبة من المنطقة مثل كالح (نمرود) ونينوى ودورشروكين (خرسباد) تحديداً[٧].

ويبدو ان موقع مالطا– معلتا كان حيويا بالنسبة للاستراتيجية العسكرية الاشورية فهو مدخل الى ثلاثة مضايق جبلية (ممرات) الى الجبال وهي ممر الجبل الابيض (كلي

---

(١) تواريخ سريانية. نقل وتحقيق يوسف حبي، ص ١٨٠

(٢) روبنس دوفال: تاريخ الادب السرياني. منشورات مطرانية السريان الكاثوليك بغداد، ١٩٩٢، ص ١٦٩، ٣١٩، ٤٢٦.

(٣) ادي شير: تاريخ كلدو واثور، ج٢ ص١٢٠.

(٤) البيرابونا: مجلة نجم المشرق، بغداد العدد ١٧، ص٣٥.

(٥) ايشو عدناح: الديورة، الموصل ١٩٣٦، تعريب البطريرك بولس شيخو عدة مواضع.

(٦) هنري س. عبودي: معجم الحضارات السامية، لبنان جروس برس، ص ٩٢– ٩٧.

(٧) كلين دانيال: موسوعة علم الاثار، سلسلة المأمون بغداد ١٩٩٠ ترجمة ليون يوسف، ج١ ص ٤٣– ٤٦.

دهوك)، وممر شيزي– قەشافر، ومضيق زاخو، والاخير اكبر شاهد على حركة الجيوش فقد سلكه القائد اليوناني كزينفون في حملته الصعود (الانباسيس) عام ٤٠١ق.م وذكر فيه الكورد كقوم وقفوا في وجه جيشه وسماهم الكاردوخوي، وهذه الممرات الثلاث تصل دولة اشور بالدولة الاورارتية في الشمال والشمال الشرقي، والميتانيين في الشمال، والحيثيين في الشمال الغربي(١).

لذا فلا عجب ان سمت المصادر الاشورية هذه المنطقة بـ(مالياتي) التي تعني المدخل او الممر، واستقرت فيها حامية عسكرية اشورية وبالتالي اصبحت حصنا عسكريا، ولذا حاول الملوك الاشوريون نصب تماثيل عديدة في هذه المنطقة كدليل على سطوتهم وسيطرتهم على هذه المنطقة واعتبارها جزءا من الدولة الآشورية، حيث يرى في منتصف السفح الشمالي للجبل الاسود (زاوه– شندوخه) معالم منحوتات يمكن الوصول اليها بالتسلق وتعرف باسم منحوتات (شكەفتا هەلماتا) او (معلثايا)، وتتألف هذه المنحوتات من اربعة مشاهد متشابهة قوام كل منها موكب من سبعة الهة على الحيونات المقدسة الخاصة بها ويقف الملك امامها وشخص اخر وراءه... اما هذه الالهة فهي على الترتيب: اشور، ننليل، سين، شمس، ادد، عشتار، ولا توجد كتابات منقوشة على هذه التماثيل، ولكن يعتقد على نطاق واسع انها تعود الى زمن الملك الاشوري سنحاريب (٧٠٥– ٦٨١ق.م)(٢). استناداً الى طراز النحت، وان كان البعض يرجح عائديتها الى الملك اشور بانيبال (٦٦٨– ٦٢٦ ق.م) إثر انتصاره على العيلاميين واحتلال عاصمتهم شوش(٣).

اما اسم دهوك فقد اختلفت المصادر السريانية بشأنه فقد قدمت عدة تفسيرات وتأويلات بهذا الخصوص منها:–

١– اثناء الاضطهاد الاربعيني الذي مارسه الملك الفارسي شابور الثاني (٣٠٩– ٣٧٩م) ضد المسيحيين تم تعذيب وسجن الشماس مارايثالاها مع زميليه الاسقف عقبشما والكاهن يوسف، تم اقتياد مارايثالاها الى دستكرد (دهوك الحالية) حيث قتل رجماً بالحجارة سنة ٣٧٦م، ونبتت مكان استشهاده شجرة آس قلعها الوثنيون

---

(١) حملة العشرة الاف،حملة كزينفون، ترجمة يعقوب افرام منصور، الموصل ١٩٨٥، ص٥٣.

(٢) د. هاشم خضير الجنابي: مدينة دهوك دراسة في جغرافية المدن، الأمانة العامة للثقافة والشباب في منطقة الحكم الذاتي، ١٩٨٥، ص٦

(٣) حميد المطبعي– رحلتي الى شمال العراق، بغداد، ص ١٧٩.

(الميثرائيون) حقداً وتشفّياً، واقيم لمارايثالاها نصب مالبث ان تحول الى مزار شهير فوق قمة تل مشرف على مدخل دهوك.(١)

٢- كون مدينة دهوك تقع تحت قمتين مدببتين اسم الواحد منها (سرهوك) أي الرأس المدبب، واسم القمتين (دوسەرهوك) وحذفت الاحرف (و، س، ر) فكان الاسم للسهولة، والاختصار (دهوك).(٢)

٣- ان معظم المسيحيين في القرى الكلدانية المحيطة بدهوك وكذلك التابعة لمحافظة نينوى يطلقون على دهوك اسم (أتوك) ولابد لهذه التسمية من اساس ولم يذكر الباحث مصدر هذا الاساس.(٣)

انتشار المسيحية وتنظم كنيسة المشرق:-

و بوصول المسيحية الى المنطقة الكوردية في نهاية القرن الاول وبداية القرن الثاني الميلادي حسب المصادر الكنسية وبداية القرن الثالث حسب مصادر المستشرقين المتخصصين بالسريانيات (المتسرينين)، ابتدأ بعد فترة تنظيم كنيسة المشرق على شكل تقسيم رئاسي (هيرارخي).(٤)

---

(١) ادي شير: شهداء المشرق، ج٢ ص ٨٣- ٨٤

(٢) البيرابونا: ادب اللغة الارامية، لبنان ١٩٧٠، ص ٢١٦

(٣) يعقوب النجار: دير مار ايثالاها ومدينة دهوك، مجلة الصوت الكلداني العدد ٤، ١٩٩٩ ص ٢٤؛ وحول تسمية الديربراني يذكر رواية لاندري مدى صحتها وهي لا تتطابق مع العقل والمنطق:«ان شخصا باسم علي كنجو كان راعياً يسرح باغنامه يوميا في ديرمار ايثالاها ورغم تحذيرات الناس له بعدم الاقتراب من الدير الا انه لم يصغ الى كلامهم، وفي احد الايام دخل بأغنامه الى داخل الدير قرب الهيكل ووسخ المكان فأصيب بالعمى حالا، فاخذ يصيح ويستنجد بالناس كي يوصلوه الى بيته وبعد وصوله الى بيته اخذ الى كاهن كنيسة دهوك وقص عليه قصته، فأمره الكاهن بتقديم ذبيحة في الدير وتوزيعها على الفقراء من الاهالي وتنظيف الدير وان يصلي ويتضرع الى الله بإيمان، فسأل على طنجو الكاهن الى اية قبلة يوجه الكبش فقال له اذبحه كيفما شئت. فأشترى علي طنجو كبشا كبيراً وذهب الى الدير وذبحه ووزعه على الفقراء ونظف الدير وسجد وصلى فانفتحت عيناه حالا، ومن هنا جاءت تسمية الدير بدير براني (بەرانى) اي دير الكبش». المرجع نفسه ص ٢٨- ٢٩.

(٤) يوسف حبي: ابرشية نوهدرا، ص ٥٢.

في القمة الجاثليق او البطريرك له ابرشية عظمى تسمى الجاثليق او البطريرك، يأتي بعده المطارنة او رؤساء الاساقفة ولكل منهم مطرا فوليطية (مدينة مهمة)، ثم يليهم الأساقفة ولكل واحد منهم أبرشية او أسقفية يديرها الأسقف يعاونهم كهنة (قسس) وروؤساء اديرة محلية كانت تنتشر بكثرة خارج المدن والمناطق السكنية.(١)

و بناءً على ما نقدم فان منطقة نوهدرا اعتبرت ابرشية اسقفية اعتباراً من سنة ٤١٠م يديرها اسقف يدعى اسحق يوقع اعمال مجمع مار اسحق باسم اسقف نوهدرا، ووفقاً لخارطة التقسيم الجغرافي لابرشيات كنيسة المشرق فان اسقفية نوهدرا تعتبر تابعة لمطرافوليطية حدياب (اربيل) التي تتبع بدورها الابرشية البطريركية في سلوقية- طيسفون- المدائن- سلمان باك (جنوب شرق بغداد)(٢).

و حول تحديد موقع كرسي اسقفية نوهدرا القديم يعتقد يوسف حبي بناءً على المعطيات الواردة في قصة مار دانيال الطبيب التي اوردها ادى شير في كتابه (شهداء المشرق)، ان تل خش (تل خشاف) الواقعة على الطريق الملوكي(٣). على بعد ٤ كم شرق مركز ناحية فايدة و٦ كم غرب مركز ناحية القوش هي مقر الاسقفية،و ما يزال آثار دير مار ملوس بادية للعيان في تلك المنطقة(٤).

و في المجامع التي تلي مجمع مار اسحق نلاحظ وجود اسقفية اخرى لمعلتا- مالطا وتحديدا مجمع الجاثليق باباي الاول عام ٤٩٧م ويرأس الاسقفية المدعو يوخنان(٥).

ومما يجدر بالذكر ان الباحث الكنسي الآخر البيرابونا يعتبر قرية معلثا مالطا هي مركز اسقفية او مقاطعة بانوهدرا، ويضيف بأن العرب يقصد المسلمين الفاتحين يعرفونها باسم (الباهدرا)(٦).

ومما تجدد الاشارة اليه ان هناك تضارباً في المصادر السريانية بخصوص تسمية

---

(١) يوسف حبي: كنيسة المشرق الكلدانية الاثورية. الكسليك لبنان ٢٠٠١م، ص٣١.

(٢) ادي شير: تاريخ كلدو وآثور، ج٢ ص ١٥٨

(٣) يوسف حبي: ابرشية نوهدرا، ص ٥٢

(٤) المطران يوسف بابانا: القوش عبر التاريخ، بغداد ١٩٧٩، ص ٢٢٤- ٢٢٥.

(٥) ادي شير: تاريخ كلدو اثور؛ ج٢ ص ١٠٣.

(٦) توما اسقف المرج: كتاب الرؤساء، عربه ووضع حواشيه الاب البيرابونا، مطبعة ديانا بغداد ١٩٩٠، ص ١٠٠.

جبل نوهدرا، فهناك عدة سلاسل جبلية تطلق المصادر عليها جميعاً جبال نوهدرا، مثل جبل القوش، جبل زاوه الواقع جنوب دهوك، سلسلة الجبل الابيض (بيخير)، وهذا ما أدى الى حصول تضاربات جغرافية بخصوص مواقع الاديرة، وبعض الحوادث التي وقعت في مناطق واسقفيات أخرى كداسن والمرج وبيث بغاش وغيرها.

وفي اعتقادي ان الباحثين السريان لم يستطيعوا لحد الان علاج هذه الاشكالية، رغم ان الباحث الدومنيكي جان موريس فييه وضع دراسة علمية في كتابه المؤلف بالفرنسية (اشور المسيحية او الموصل المسيحية) تحت تصرف الباحثين. ويبدو ان قضية التسمية ومحاولة صبغ جميع المناطق الكوردية بالصبغة الارامية– السريانية في العصر القديم، والصيغة الاشورية في العصر الحديث هي الشغل الشاغل لهؤلاء، فلذا يحدث تناقض في اقوالهم وتضارب في تحديد المناطق، وخاصة الاديرة من باحث الى اخر.

التنظيم الكنسي لابرشيتي نوهدرا ومعلتا

ت	اسم المجمع الكنسي وتأريخه	(اسم الاسقف)		المطرافوليطية المترويوليتيات
		ابرشية نوهدرا دهوك	ابرشية معلتا– مالطا	
١	مجمع مار اسحق ٤١٠م	اسحق		حدياب (اربيل)
٢	مجمع داديشوع الجاثليق عام٤٢٤			
٣	مجمع الجاثليق باباي عام ٤٩٧م	صموئيل (شموئيل)		حدياب (اربيل)
٤	مجمع مار ابا عام ٥٤٤م	يزدفنه	يزدفنه	حدياب (اربيل)
٥	مجمع يوسف الجاثليق عامن ٥٥٤م		برشيثا	حدياب (اربيل)
٦	مجمع الجاثليق حزقيال عام ٥٧٦م		برشيثا	حدياب (اربيل)
٧	مجمع ايشوعياب الاول الجاثليق عام ٥٨٥م	كوسيشوع	كليليشوع	اشور (نينوى)
٨	مجمع الجاثليق غريغور الاول عام ٦٠٥م	يوحنا		اشور (نينوى)
٩	مجمع سنة ٦٤٠م	عبديشوع		
١٠	مجمع اواخر القرن السابع الميلادى	اسحق		
١١	مجمع ٩٦٣م عبد يشوع يهبالاها			
١٢	مجمع ٩٩٥ معبد يشوع يهبالاها	عبد يشوع يهبالاها		

بارزان وأنحائها
في المصادر السريانية

دراسة تحليلية - نقدية

المقدمة

للمصادر السريانية أهمية كبيرة في تدوين بعض الحلقات المفقودة من تاريخ كوردستان، فالناطقين بالسريانية من كلدان وسريان وآثوريين (آشوريين) هم بلا شك جزء من هذا المجتمع الكوردستاني وعاشوا لعشرات القرون جنبا الى جنب مع بقية اطياف المجتمع من كورد وتركمان وغيرهم، وبالتالي شكّلوا مجتمعا متجانسا الى حد بعيد تشهد بذلك اواصر الجيرة والتعاون والمصير المشترك، فضلا عن وجود سمات ثقافية واجتماعية واقتصادية مشتركة بين جميع اطياف هذا المجتمع، رغم وجود منغصات تلوح في الافق بين الحين والآخر لا يخلو منها مجتمع إنساني قط على وجه البسيطة.

ومما تجدر الإشارة اليه ان هناك من يتهم الكورد بالخواء الثقافي وانهم مجتمع قبلي لا تسوده إلاّ القيم العشائرية المتينة مع حب القوة والتسلط والهيمنة، ولكن سرعان ما تتلاشى هذه التهم لو القينا نظرة معمقة على تراث وثقافة هذا الشعب، فوجود اليهود والنصارى والايزديين والكاكائية والعلي الهية كمكونات ضمن المجتمع الكوردستاني دليل اكبر على سماحة هذا الشعب ونظرته الثاقبة للأمور، أي بعبارة اخرى انه كان يطبق مبادىء حقوق الانسان قبل ان تجيزها الأمم المتحدة بعشرات القرون. ويبدو أن هذه إضافة حضارية قيمة لا بد ان تدخل في رصيد هذا الشعب، فضلا عن مساهمات ايجابية حضارية عديدة لا يسع لها المجال لتعدادها والتطرق اليها. وغني عن القول ان المسيحيين باعتبارهم اقلية دينية في مجتمع اسلامي كانوا يحاولون تسجيل كل شاردة أو واردة تخص حياتهم اليومية، فلديهم سجلات الولادة والعماد في كل كنيسة أو خورنة او أبرشية، فضلا عن سجلات الوفيات، كما ان أديرتهم وكنائسهم تحوي العشرات من المخطوطات الدينية التي تخص الكتاب المقدس واللاهوت والطقوس وسير القديسين والمتفرقات من أدب وقواعد وتاريخ وغيرها، وكان لرجال الدين المسيحيين من رهبان وكهنة دور كبير في نسخ المخطوطات، وبرز منهم خطاطين مشهورين كان لهم باع طويل

في تطريز اغلفة وجلد هذه الكتب المخطوطة بأنواع جميلة من الريازة والزخرفة.

وعندما كانت هذه المخطوطات تتداول بين ايدي الكهنة والعلمانيين (المؤمنين المسيحيين العاديين)، فان البعض كان يحاول تسجيل هوامش عديدة على هذه المخطوطات من حوادث تاريخية مهمة تخص وفاة احد البابوات او البطاركة او المطارنة، او حادثة مهمة تخص البيئة كسقوط ثلج او برد مدمر او حدوث مجاعة كسنة الليرة التي حدثت عام ١٨٧٨-١٨٧٩م، او حادثة غزو كحملة نادر طهماسب الصفوي على كوردستان عام ١٧٤٣، او حملة مير باشا الرواندوزي على منطقة بهدينان عام ١٨٣٢، او حملة اسماعيل باشا العمادية على قصبة القوش وديرها العتيد (دير الربان هرمزد) عام ١٨٤٢م، هذه الهوامش المسجلة على اوراق بعض المخطوطات تعد في بعض الاحيان أكثر أهمية من المخطوطة نفسها على أقل تقدير بالنسبة لبعض الحوادث التاريخية التي آلمت بالكورد او بمناطقهم، فليس للكورد علاقة ما بالطقوس الدينية للنصارى فهذا شأنهم.

ولكن الاهمية تتجلى في حادثة ما يكون الكورد أبطالا فيها او تخصهم لأن منعطفات الحياة اليومية تحفل بالعديد من هذه الحوادث التي كانت تقع بين الكورد انفسهم او بين الكورد والنصارى من سكان القرى والقصبات النصرانية المنبثة في الجبال والسهول الكوردية: كمانكيش وعينكاوة والقوش وكاني ماسي وارموطة وغيرها.

ومن جانب آخر فان هذا لا يعني ان التاريخ الكوردي لم يسجل او لم يكون للكورد مؤرخين واخباريين مثل الأمم الاخرى، ولكن الشيء الملفت للنظر ان هؤلاء المؤرخين الكورد كأبو حنيفة الدينوري وابن خلكان وادريس البدليسي لم يدونوا تاريخهم بلغة آبائهم إنما دونوها باللغة العربية بالنسبة للمؤرخين الاولين والفارسية بالنسبة للأخير فهذا ناتج في اعتقادي من اعتزازهم باللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم ولم يدر بخلدهم الكتابة بغيرها حتى وان كانت بلغتهم وهذا ما جعل التراث الكوردي جزءا من التراث الاسلامي وليس منفصلا عنهم كالتراث الفارسي وهذا ما انعكس سلبيا على تراثهم وتاريخهم، ففي الوقت الذي دون الفرس وغيرهم من الأمم الاسلامية تراثهم وتاريخهم بلغتهم نرى ان العلماء والمؤرخين الكورد دونوا تراثهم وتاريخهم باللغة العربية دون الكوردية اعتقادا منهم بقدسية هذه اللغة، ولم يدر بخلدهم وهم العلماء والأعلام ان زمنا سيأتي على احفادهم يتهمون فيه بخواء لغتهم وتراثهم وانهم ليسوا من

اصحاب الحضارة العريقة كبقية الأمم التي تجاورهم، ولو كان العلماء والمؤرخين الكورد على دراية بما سيحدث لأحفادهم لكانوا قد دونوا تراثهم وتاريخهم الاسلامي وما قبل الاسلام بلغتهم الكوردية(١). وعلى اية حال فان المصادر الاسلامية من تاريخية وبلدانية (الجغرافية التاريخية) وادبية ولغوية كان لها القدح المعلي في تصوير الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية للشعب الكوردي من حقبة ما قبل الاسلام والى ان انتشر الاسلام في ربوع كوردستان ابتداءا من خلافة الراشد الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى أن أصبح الكورد مشاركين مثل غيرهم من الأمم في صنع الحضارة الاسلامية وتقديمها للعالمين. فضلا عن الدفاع عنها عندما غزيت الديار الاسلامية من قبل اعدائها الصليبيين والمغول وغيرهم.

وبخصوص المصادر السريانية وتطرقها الى قرية بارزان والمناطق المحيطة بها فانها بدون شك تقدم خدمة كبيرة لكشف بعض الحلقات المفقودة من تاريخ هذه المنطقة القصية وتميط اللثام عن الكثير من الحقائق التي كانت خافية او مطمورة في اخاديد هذه المنطقة الوعرة بتضاريسها والمملؤة بحكمة الاديان السماوية الثلاث، وللمرء ان يتساءل لماذا لم يتطرق الكورد وتحديدا البارزانيين الى الحلقات المفقودة او المتوارية وراء جدران جبل شيرين الشامخ الصلب؟ والجواب ان التقليد الشفوي الشائع في بارزان وتوابعها كفيل بالرد على مثل هذه الاسئلة، ولكن هذه التقاليد في الأعم الغالب تحمل بين ثناياها حكايات اقل ما يمكن القول انها حكايات غير حقيقية او شبه اسطورية، ولذلك فان المخطوطات والهوامش القليلة المسجلة فوقها كفيلة بإعادة التوازن والحق الى نصاب هذه التقاليد الشفوية فضلا انها أي المخطوطات تعد مصادر اصيلة في منهج البحث العلمي وتحديداً التاريخي اذا ما ثبتت اسبقيتها التاريخية، كما يجب ان لا ننسى ان تاريخ هذه المنطقة منذ منتصف القرن التاسع عشر والى نهاية القرن العشرين كان تاريخا مليئاً بالصراع بين شيوخ الطريقة النقشبندية التي تزعمها شيوخ بارزان من جهة واغوات ومتنفذي المنطقة المدعومين من السلطة العثمانية وفيما بعد السلطات الحكومية العراقية من جهة اخرى، فلا عجب أن إنشغل حاملو مشعل الثورة في بارزان وأنحائها بهذه الصراعات الداخلية والدفع بها نحو تحقيق متطلبات الحياة الحرة الكريمة لمنطقتهم في المرحلة الاولى، ومن ثم محاولة الحصول على الحقوق القومية للكورد في المراحل الاخرى.

---

(١) د. فرست مرعي: الإمارات الكردية في العصر العباسي الثاني، دارسبيريز للطباعة والنشر دهوك ٢٠٠٥م، ص ١٨.

مدخل جغرافي وتاريخي
لمنطقة بارزان وتوابعها

قبل تحديد الموقع الجغرافي لمنطقة بارزان في المصادر السريانية، لا بد من الاشارة الى أن هذه المصادر بشقيها الكنسي والتاريخي تطلق على قرية بارزان اسم (برزان)، وعند مراجعة الباحث لغالبية المصادر المتوفرة لديه وجد انها تستعمل الكلمة (برزان) اعتبارا من بداية القرن الثامن عشر، ولا يستطيع الباحث ان يتكهن من الكلمتين هي الاصل بارزان ام برزان، ولكن السياق التاريخي والمعرفي هو في مصلحة لفظة (برزان) اعتمادا على المخطوطات السريانية التي اصدرها المجمع العلمي السرياني[1]، او المجمع العراقي (هيئة اللغة السريانية)[2].

ولكن على اية حال فان كلمة بارزان هي الان الشائعة والمستعملة محليا ودوليا، سواء باللغة الكوردية او باللغات العربية والانكليزية وغيرها فضلا ان سكانها الحاليين اعتبارا من بداية القرن التاسع عشر يستخدمون لفظة (بارزان) ولحد الان[3].

ومن جانب اخر فان اقدم ذكر لقرية بارزان في المخطوطات السريانية جاء في مخطوطة (العهد الجديد – قراءات طقسية من الانجيل) كاتبها القس يوسف بن القس كوركيس بن القس اسرائيل بن القس هرمزد الالقوشي، فرغ منها يوم الاثنين ١٩ ايلول سنة ٢٠١٧ يو[4] – ١٧٠٦م، وكتب هذه المخطوطة في القوش ايام مار ايليا الجاثليق

---

(١) فهارس المخطوطات السريانية في العراق – مخطوطات عقرة – ديرمارمتي– دهوك – كنيسة ماركوركيس في برطلة– مطرانية السريان الارثوذكس في الموصل، مطبوعات المجمع العلمي العراقي (هيئة اللغة السريانية) مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ١٩٨١م –١٤٠١هـ، ص ١٤،١٦، ١٨، ٢٠، ٢٦، ٤١، ٥٩، ٦٠، ٦٢.

(٢) فهارس المخطوطات السريانية في العراق – مكتبات الموصل وأطرافها، مطبوعات مجمع اللغة السريانية بغداد مطبعة التايمس ١٩٧٨، ج /ص ٣٥ ص٢٤٢.

(٣) پێ رەش: بارزان وحركة الوعي القومي الكردي ١٨٢٦–١٩١٤، (د.م)١٩٨٠، ص ٢٤ وما بعدها، مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية،كاوا للثقافة الكردية، لبنان – بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٧، ج /ص٢٣–٢٤.

(٤) يو: يعني اليوناني وهو تاريخ تبوأ الاسكندر المقدوني لمقاليد السلطة في مقدونيا في البلقان عام ٣١١ ق.م، وهذا التأريخ يستخدمه رجال الدين النصارى بجانب التأريخ الميلادي.

البطريرك ولعله ايليا الثامن (١٧٠٠-١٧٢٢م)[١]، وقد اشترت هذه المخطوطة السيدة شوني بنت اوشعنى، وامها نسرت - لكنيسة مريم العذراء في قرية برزان[٢].

اما بخصوص التحديد الجغرافي لقرية بارزان وتوابعها، فان الباحث يلاقي صعوبات جمة في هذا المضمار نظرا لعدم ورود اسم هذه القرية بتاتا في المصادر القديمة التي تعود الى العصور الاسلامية ا(لوسطى). غير ان بصيصاً من الأمل ينير الطريق وهي أن هذه المنطقة بدلالات جغرافية وتاريخية معينة كانت تابعة الى اسقفية بيث بغاش النسطورية التي كانت تابعة بدورها لمطرافوليطية (مطرانية) حدياب (اربيل)، وان بيث بغاش معروفة الى حد ما من قبل البلدانيين المسلمين ورجال الدين النصارى، وان كان يعوزهم التحديد الدقيق لها نظرا لوقوعها في منطقة جبلية وعرة وقصية.

يقول ياقوت الحموي بخصوص تعريف بيث بغاش التي يذكرها بصيغة بابغيش: ((... ناحية بين اذربيجان واردبيل يمر بها الزاب الاعلى)). فقد خلط ياقوت بين اربيل واردبيل الواقعة في اقليم اذربيجان لأن نهر الزاب الاعلى الكبير) ينبع من بلاد الزوزان في كوردستان تركيا الحالية ويمر بمنطقة داسن (في كوردستان العراق) ويصب في نهر دجلة جنوب الموصل ولا علاقة له بإقليم اذربيجان سوى انه يقع في الجهة الغربية القصية منها.

اما المصادر السريانية القديمة فلا تحدد منطقة بابغاش (بيث بغاش - او بابغيش) جغرافيا، وانما تذكر رجال الدين النصارى من الكهنة والرهبان الذين جابوا هذه المنطقة بقصد استلام مناصبهم الدينية او التعبد في مغارات وكهوف هذه الجبال بقصد الرهبنة والزهد في الحياة الدنيا، يذكر يشو عدناح رواية حول ذهاب القديس مار ئيشو غذخا[٣] الذي اصله من شنا (شنو) في كوردستان ايران مدينة (بيت رامان) وعند الفرس تسمى (قرديلا باد) الى جبل حفتون وجبل بابغاش وكيف انه بنى ديرا على اسم ماقرداغ

---

(١) المطران يوسف بابانا: القوش عبر التاريخ: بغداد ١٩٧٩، ص١٠١.

(٢) فهارس المخطوطات السريانية في العراق، مخطوطات ابرشية عقرة اعداد الاب الدكتور يوسف حبى، ص١٦.

(٣) مار: لقب تشريف معناها سيدي يطلق على البطاركة والمطارنة والاساقفة.

انظر: افرام الاول برصوم اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية، سلسلة التراث السرياني، حلب، الطبعة الخامس ١٩٨٧، ص٥٠٢.

الشهير، بعد ذلك غادر المنطقة الى بلد حدياب (اربيل) ومن ثم غادرها برفقة الطوباوي (القديس) مار سبر يشوع الجاثليق (البطريرك) الى النعمان ابن المنذر ملك الحيرة، وكيف انهم استطاعوا شفاء الملك وتلاميذه(١).

بارزان وأطرافها في المصادر السريانية القديمة.

مما تقدم يبدو ان المصادر النصرانية القديمة لم تحاول تجديد جغرافية المرعيثيات(٢) والابرشيات(٣) النصرانية في المنطقة الجبلية الكوردية، حيث انها تعاني من تناقض صارخ في النواحي المعرفية والجغرافية بل والتاريخية، فليس هناك تحديد دقيق للاسم، فضلا عن تاريخ إنشاء أول مرعيث او ابرشية في هذه المنطقة والموقع الجغرافي لها، فالمنطقة جبلية وعرة وبعيدة عن حواضر المدن (المطرافوليطيات)(٤) وهذا ما ادى الى حدوث خلل في النواحي الادارية والتنظيمية في المؤسسة الكنسية، اذ ان الكتبة الاقدمين لم يكونوا مهتمين بدقة التعبير شأن الكتاب العصريين على حد تعبير احد الباحثين الكنسيين الكبار(٥)، هذا الخلل والتضارب الناشيء في كتابات المصادر القديمة القت بظلالها على المصادر الحديثة، فوقعت هي الاخرى في اشكاليات جغرافية وتاريخية ومعرفية.

فلو درسنا تعريف منطقة بيت بغاش (بارزان وتوابعها) في كتابات عدد من الباحثين من رجال الكنيسة نلاحظ وجود فروقات واضحة في التحديد الجغرافي الدقيق للمنطقة وفي اسماء الكنائس والاديرة المنبثة فيها، وفي اختزال معانيها الى اصطلاحات سريانية لا تمت للواقع بصلة بل يراد منها سرينة المنطقة الكوردية واعتبار كل حجر ومدر فيها احدى آثار السرّيانية وفيما بعد الاشورية. فالباحث الدومنيكي جان موريس فييه الذي يعد من وجهة نظر الباحثين السريان المتخصص في تاريخ وجغرافية الاديرة والكنائس في منطقة بهدينان التي يسميها (آشور المسيحية)(٦) يعرف بيث بغاش بقوله: ((ان منطقة

---

(١) الديورة في مملكتي الفرس والعرب، ص٤٧-٤٨.

(٢) المرعيثات: مفردها مرعيث كلمة مشتقة من السريانية معناها تقسيم اداري كنسي يديره اسقف.

(٣) الابرشيات: مفردها ابرشية، يراد بها ولاية الاسقف الكنسية. انظر: برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص٤٩٧.

(٤) المطرا فوليطية: معناها رئيس العاصمة يراد بها رئيس الاساقفة المقيم في مدينة كبيرة. انظر: برصوم: المرجع السابق، ص٥٠٢

(٥) جان موريس فييه: الاثار المسيحية في الموصل، ترجمة نجيب ياقو، بغداد ٢٠٠٠، ص٤٣.

(٦) Vol.111 Bey routh1968 .Assyrie chretienne.p.Fiey,o.M.J

بيث بغاش ابرشية نسطورية (سميت لاحقا شمدينان)، كانت في بدايات القرون الوسطى تحتوي على اقليم حدياب الكنسي في اشور (يقصد اربيل)، وهذه الابرشية يأتي ذكرها على امتداد قرون عدة من القرن الخامس الميلادي الى القرن الثالث عشر، ويبدو انها اختفت في القرن السابع عشر، وكان مقرها في منطقة غير معروفة اسمها باي.))[١].

فيما جاء تعريف بيث بغاش عند الاب البيرابونا على الوجه التالي: ((بيث بغاش منطقة واقعة شرقي داسن وشمالي سلاخ، وهي تشمل المناطق الشرقية التي كان الآثوريون يسكنونها غربي اورميا، كبيت شمس الدين وكاور وغيرها... وكانت بيث بغاش عائدة الى مطرافوليطية حدياب))[٢]، اما المطران يوسف بابانا فقد عرفها بقوله: ((جبل بيث بغاش يعرف اليوم باسم جبل (سفين) قرب شقلاوة التابعة لأربيل))[٣].

ويبدو ان الاختلاف في التحديد الجغرافي لبيث بغاش بين الباحثين الكنسيين الثلاثة ناتج دون شك من اعتمادهم على مصادر قديمة يشوبها التناقض فجاءت تعاريفهم للمنطقة على غرار تناقضات المصادر الاصلية القديمة. ولكن على اية حال فان احد رجال الدين المحدثين اقترب من التحديد الحقيقي لبيث بغاش بالقول: ((ان بيخشاش ليست إلاّ (بيث بغاش) الكرسي الاسقفي التابع لابرشية حدياب المترامية الاطراف حين كانت تضم ١٩ كرسيا اسقفيا بعد القرون المسيحية الاولى. اما بيي او بياو فهي (باي) قاعدة بيث بغاش))[٤].

فيما جاءت عند آخر بصيغة اخرى: ((بيث بغاش مقاطعة من حدياب الكبرى في شمالها على ساحل الزاب الكبير، قاعدتها كانت تدعى (باي) واليوم بياو شمال غربي رواندوز على مسافة خمس ساعات منها يدعوها ياقوت الحموي بابغيش بين اذربيجان واردبيل يمر بها الزاب الكبير... كما ترد احيانا بابغاش – عمرو – اخبار بطاركة كرسي المشرق...))[٥].

---

(١) مجلة الفكر المسيحي: الموصل العدد ٣٧١– ٣٧٢، ٢٠٠٢ م، وفي مكان اخر يعرفها بأنها ابرشية نسطورية تشمل شمال العراق الحالي. انظر: احوال النصارى في خلافة بني العباس، ترجمة حسني زينة، بيروت دار المشرق، ١٩٩٠ص٧٩.

(٢) توما اسقف المرج: كتاب الرؤساء، عربه ووضع حواشيه الأب البير ابونا، ص٩٩ هامش (١).

(٣) القوش عبر التاريخ، بغداد ١٩٧٩، ص١٢٨ هامش ٣٩.

(٤) الاب آزاد صبري:كنائس ومزارات اربل، جمعية الثقافة الكلدانية، شقلاوا، ٢٠٠٢م، ص٦٣ .

(٥) مشيحا زخا: كرونولوجيا أربيل ،ترجمة وتعليق عزيز عبدالاحد نباتي، دار ئاراس، أربيل ٢٠٠١ م، ص١٨١ هامش (٧)، ان هذا التعريف لبيث بغاش منقول نصاً من مقالة المطران اسطيفان بابكا في =

تحليل المصادر السريانية القديمة ونقدها

بالرغم من الفائدة الكبيرة للمصادر السريانية القديمة في كشف حلقات مفقودة وغامضة من التاريخ الكوردي القديم والحديث، فانها مع ذلك وقعت في تناقضات منهجية عديدة لا يسع المجال للتطرق اليها.

وفي موضوع بحثنا عن منطقة بيث بغاش (قرية بيخشاش الشيروانية) فان الاختلافات والتناقضات الجغرافية والمعرفية بين آباء الكنيسة ربما لم تأت بصورة عفوية، فهي ناتجة أصلا من إعتمادهم على بعض المصادر التي يغلب عليها الانتحال او الاسطورة(1)، فضلا عن تعصب بعضها الآخر(2) ومحاولة طمس المعالم الكوردية من النواحي الانثروبولوجية والاثنوغرافية والاركيولوجية والجغرافية، والإيحاء للأخرين بأن غالبية هذه المعالم ليست إلاّ لعنصر آخر وهو العنصر الآرامي (السرياني-الآشوري)، وتولى هذه المهمة في العراق الباحث الدومنيكي الفرنسي الدكتور الاب جان موريس فييه الذي استقر في مدينة الموصل للفترة من ١٩٣٩ لغاية ١٩٧٣ وزار خلالها غالبية قرى وقصبات كوردستان بما فيها جبالها وهضابها ووديانها بحثا عن الكنائس والاديرة والصوامع النصرانية المفقودة فيها! وخرج من تلك الزيارات والاستقصاءات بكتاب دونه باللغة الفرنسية تحت عنوان (آشور المسيحية-Assyrie Chretienn) زعم خلالها - بنصرانية المنطقة الكوردية - من خلال طمس المعالم الأثارية الكوردية من معابد قديمة - حورية وميثرائية وبيوت النار الزرادشتية والمانوية - واعتبارها هياكل ومعابد نصرانية (اديرة وكنائس وصوامع الرهبان) - فضلا ان عنوان الكتاب استفرازي يحمل دلالات قومية ودينية معينة! فمنطقة كوردستان حسب رأيه وما توصل اليها من استنتاجات سقيمة ارض اشورية حسب عنوان الكتاب، وكلدانية سريانية حسب محتوياته. واعتمد في ذلك على كتاب (تقويم الكنيسة النسطورية القديمة) في اثبات

= مقالته (ابرشية حدياب في التاريخ) المنشورة في مجلة بين النهرين. انظر: العدد ٣١ في سنة ١٩٨٠، ص١٧٧ .

(1) ارثر كريستنسن: ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، بيروت دار النهضة (د.ت)، ص٢٥ -٢٦، مراد كامل: تاريخ الادب السرياني منذ نشأته حتى الوقت الحاظر، القاهرة دار الثقافة ١٩٧٤، ص٦٤.

(2) انور المائي: الاكراد في بهدينان، دهوك ١٩٩٩، ص٢٢، جمال رشيد: لقاء الاسلاف الكرد واللان في بلاد الباب وشيروان، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٤، ص ٢٤٦.

كلدانية المنطقة الكوردية استنادا الى كتابات المؤرخين السريان: ابن الحجري، وابن الصليبي، وبيت يشوع، وابو فرج بقولهم: ((انها كلدانستان لا كوردستان، لأن اهالي الجبل جميعهم كانوا من شيعة الكلدانيين القدماء قبل المسيح (عليه السلام) وفي زماننا بدلوا الكلدان بالكرد والى الآن يقولون كوردستان وهذا غلط))[1]. والغريب انه كان ينتقد هذا الكتاب في موضع اخر بقوله: ((تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية نشره المطران بطرس عزيز لكنه لا يستحق اية ثقة، فهو من وضع كاتب سرياني من ماردين، كتبه في مستهل القرن العشرين، يكدس فيه الكاتب أخطاء فظيعة ويمزجها بخرافات سخيفة لا تمت الى الحقيقة بصلة. ويوسع القارئ الاريب التأكد من هذا اذا ما تجشّم عناء مراجعة قائمة البطاركة، حيث ترد أسماء خيالية وتواريخ وهمية. فعلى كل دراسة معدودة ان تتحاشى الاستناد الى هذا التقويم))[2] ولكنه مع ذلك تناسى قوله واعتمد عليها في اثبات باطل.

ومع ذلك فان الباحث لا ينكر وجود قرى وقصبات نصرانية عديدة في كوردستان بجانب وجود اسماء نصرانية لبعض القرى الكوردية أمثال: (ديرالوك، وديرالوش، وديركذنيك وديرهال ...)، ولكن الاتيان بمعاني نصرانية وسريانية لغالبية القرى الكوردية فهذا مالا يقره المنطق ولا البحث العلمي، فلنأخذ قصبة باعدرى مقر زعامة الطائفة الايزيدية الكوردية نموذجا على ذلك. فلها معاني عديدة عند الكتاب السريان بين (بيت عوني) أي بيت العون والمساندة، أو (مكان اخشاب طويلة وغليظة تستعمل في تسقيف البيوت الطينية)، أو (بيت العذارى)[3]، فأي من المعاني الثلاثة هو الصحيح؟ يبدو ان هناك تخبطاً ناتجاً كما اسلفنا من لي وتغيير معاني الألفاظ والكلمات وتأويلها ومحاولة المجيء بمعاني سريانية تلائم ما في خلجات انفسهم!

وبخصوص نقد المصادر السريانية القديمة فان اسماء القرى الشيروانية (قرى عشيرة

---

(١) الخوري بطرس عزيز، بيروت المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٩٠٩، ص١٣، وقد اشاد فيه بهذا الرأي في اشرافه على رسالة الماجستير المعنونة بـ(تاريخ جزيرة ابن عمر) التي نال صاحبها شهادة الماجستير في جامعة القديس يوسف في بيروت.

(٢) حنا فيي: مصادر تأريخ كنيسة المشرق قبل الاسلام، تعريب الاب جاك اسحاق، مجلة بيت النهرين العدد الرابع تشرين الثاني ١٩٧٢، ص٤٤١.

(٣) الاب يوحنان جولاغ: دير الربان هرمزد في جبل القوش، مجلة بيت النهرين، العدد الرابع تشرين الثاني ١٩٧٢، ص٣٩٤ هامش (٢).

الشيروانيين – احدى عشائر الاتحاد البارزاني) وتحديدا (فخذ شيرواني ديرا)[١] يبين لنا بكل وضوح ان قرية (بيخشاش) الشيروانية هي اصل (بيث بغاش) وان قرية (بيىَ) الشيروانية هي مركز المقاطعة الكنسية، ولو كانت بيث بغاش او بابغيس هي الاصل كما دونها رجال الدين النصارى – لكانوا قد وضحوا معناها السرياني! كما هي ديدنهم في اسماء القرى والمناطق الكوردية الاخرى. كما يجب ان لا ننسى وجود اشارة مهمة في كتاب (الرؤساء) حول وجود (بيث شاروناى – شيرواني)[٢] أي ان الشيروانيين كانوا متواجدين آنذاك في القرن التاسع الميلادي، ولما كان شيروان اسم كوردي خالص، فليس من المنطقي والمعقول ان يكون شيروان اسما كورديا وان تكون احدى قراها (بيخشاش) اسما سريانيا، وكذلك الأمر بالنسبة لقرية (بيىَ) مركز المقاطعة الكنسية فهي لفظة كوردية هي الاخرى مثل وصيفتها بيخشاش، لذلك تهافت وتلاشى المفهوم والمعنى السرياني لاسم المقاطعة ولمركزها امام هذه الحقائق العلمية.

وهناك أمر آخر يدعو للقلق وهو ان أحد آباء الكنيسة يحاول بشتى السبل القيام بالتحريف الجغرافي لمواقع القرى التي يذكرها توما المرجى متى اراد الى ذلك سبيلا، فبخصوص قرية زرارا او ريزان التي يسميها المرجي حسب ترجمة البيرابونا والعهدة عليه (الزاران) الواقعة في بلاد بيث بغاش، وكان ساكنوها كلهم جبابرة اشداء، ولم يكونوا يلاحقون اللصوص فحسب، بل كانوا ايضا يعصون ويتمردون على حكام المملكة الذين يقدمون اليهم لبعض الإتاوة القيصرية، فكانوا يطردون كثيرين منهم دون وجل (خوف) بعد ان يشبعوهم ضربا. ففي هذه القرية ولد الطوباوي (القديس) نرساي... ولأن الاكراد شرعوا في ذلك الزمان باعمال تخريبية وبالسلب والنهب، شهر عليهم شلمان السلاح وجمع له فرقة واخذ يعمل السيف في رقاب كثيرين منهم...))، وعندما حاول الاب البيرأبونا تعريف القرية ذكر بأنها قرية زارين الحالية في منطقة (بني مايى) الواقعة في جيلو الصغيرة على مسافة ٧٠كم في الشمال الشرقي من العمادية، علماً ان المرجي حددها في بيث بغاش وان أبونا رسم خارطة في نهاية كتابه وضع منطقة بيث بغاش في إطارها الصحيح، اما القرية التي ذكر اسمها فهي تقع في مقاطعة هكاري داخل كوردستان تركيا على مسافة بعيدة عنها[٣]، فلماذا الاصرار على تحريف الحقائق الجغرافية والتاريخية!.

(١) پى رەش: بارزان وحركة الوعي االقومي الكردي، ص٥٤.

(٢) توما المرجي، ص٣، ١٠١.

(٣) كتاب الرؤساء :ص٢٣٣، والصحيح انها قرية شيروانية: انظر: پى رەش. المرجع السابق، ص٥٤.

بارزان في المصادر السريانية الحديثة:

إن المصادر السريانية الحديثة من مخطوطة ومطبوعة تذكر اخبارا ومعلومات قليلة عن بارزان، ولكنها في حقيقة الأمر نادرة فهى تضم بين ثناياها معلومات تاريخية يستطيع الباحث ان يبني على اساسها تصورات عن شكل الحياة الاجتماعية والدينية لسكان قرية بارزان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وعن مجريات الصراع الذي حدث بين المنصرين (المبشرين) الكاثوليك القادمين من ايطاليا وفرنسا مع اتباع الكنيسة الشرقية النسطورية لإخضاع الاخيرة للكرسي البابوي في روما، وانعكاس ذلك على الاوضاع الدينية والمذهبية والاجتماعية في قرية بارزان، ثم تطرق احدى تلك المخطوطات الى الاعتداءات التي كان افراد العشيرة الزيبارية يقومون بها ضد نصارى قرية بارزان الذين كانوا يشكلون غالبية السكان حسب المصادر السريانية.

وللضرورة المنهجية فقد ارتأى الباحث تقسيم تلك المصادر الى قسمين المخطوطة والمطبوعة:

اولا: المصادر المخطوطة

ان غالبية المخطوطات التي تتعلق برجال الدين النصارى من سكان قرية بارزان كانت محفوظة ضمن مخطوطات ابرشية عقرة، وهذه الابرشية تم استحداثها سنة ١٨٥٢، حين قام البطريك يوسف اودو (١٨٤٧–١٨٧٨) بتقسيم ابرشية العمادية المترامية الاطراف الى ثلاثة أبرشيات: عمادية، عقرة، زاخو، وتم تعيين مار ايليا سفرو من أسرة آل ابونا الالقوشية مطراناً على أبرشية العمادية بعد ان كان قد دخل في نزاع مرير مع المطران اودو (قبل انتخابه بطريكا) في زمن عمه البطريك السابق يوحنا هرمزد.

وبعد وفاة مار ايليا المذكور في قرية خربة الواقعة غربي عقرة في ٢٢ ايلول ١٨٥٤، اقيم مار ايليا ملوس خلفا له. واثر استقالة مار ملوس من ابرشية عقرة عام ١٩٠٠ وانتقاله الى كرسي ماردين مسقط رأسه، رسم المطران يعقوب حنا سحار في ٢٥ آذار ١٩٨٣ مطرانا لعقرة، ثم امتدت صلاحياته بعد عامين على ابرشية العمادية ايضا حتى وفاته في ١٢ حزيران ١٩٠٩، ومنذ التاريخ المذكور لم تعرف ابرشية عقرة الكلدانية اسقفا خاصا بها، فكانت تخضع تارةً لابرشية العمادية، وطوراً لابرشية الموصل البطريركية، وكثيرا ما اتخذت صفة وكالة بطريركية، فدبرها مدة سنوات كهنة عديدون حتى تمكن البطريك يوسف عما نوئيل الثاني توما (١٩٠٠–١٩٤٧) من استحداث ابرشية

عقرة مجددا، فرسم لها مطرانا، هو ماربولس شيخو في ١٤ مايس ١٩٤٧، الذي لبث فيها عشرة سنوات ثم تعين على ابرشية حلب، فخلفه عام ١٩٥٧ المطران اندراوس صنا(١).

ونظرا لهجرة غالبية سكان هذه الابرشية من الكلدان في سنوات الستينات بسبب الصراع الذي جرى بين الحركة التحررية الكوردية وبين السلطات العراقية، فقد قرر مجمع الكنيسة الكلدانية اعتبار ابرشية عقرة وكالة بطريركية، ونقل المطران اندراوس صنا الى ابرشية كركوك في اواخر ١٩٧٧، وتم تعين الاب عبدالاحد ربان الراهب مدبراً بطريركيا على عقرة. وخلفه المطران عبدالاحد ربان كوكيل ثم كأسقف سنة ١٩٨٠، وبوفاته عام ١٩٩٨ عادت عقرة وكالة بطريركية نظرا لهجرة معظم اهلها منذ الستينات كما اسلفنا سواء من القصبة عينها بشكل كلي، كما من معظم القرى المجاورة(٢).

وكان الاب جاك مارى فوستي الدومنيكي p Jacques-Marie VO3TE,o قد زار عقرة وسكن فيها من ٢٨ تشرين الاول وحتى ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٣٨. وبمساعدة الاب ميخائيل ايشوع الوكيل البطريركي على عقرة يومداك والقس بولس يونان تلميذ معهد مار يوحنا الحبيب بالموصل، تمكن من وضع فهرس مخطوطات اسقفية عقرة، لاسيما المخطوطات التي كانت تحتفظ بها كنيسة عقرة وكنيسة خربة القرية التي يقع الى جوارها دير مار يعقوب الشهير المعروف بدير بيث عابي، ونشر الاب فوستي حصيلة عمله في مجلة المعهد الشرقي بروما، ويبلغ عدد المخطوطات التي رآها فوستي ووضع لها فهرسا ٦٧ مخطوطة، بينما بلغت المخطوطات التي فهرسها الاب الدكتور يوسف حبي ٩٦ مخطوطة(٣).

ولعل اهم المخطوطات هي مخطوطات العهد القديم والعهد الجديد وصولات الطلب (الباعوثا) وغيرها من المخطوطات القديمة جدا من مخطوطات ديرمار يعقوب (بيث عابي)، وكذلك القديم من صلوات الرهبان.

أما أهم المخطوطات واجملها فهي ذات اصل القوشي، ولا عجب، فقصبة القوش مدينة الخط السرياني الشرقي ومعين غزير للمخطوطات. اما بخصوص موضوع بحثنا (قرية بارزان) فثمة مجموعة خطية بقلم القس يعقوب بن القس كانون البارزاني، سطر قسماً

---

(١) توما المرجي: المرجع السابق، ص٢٣٣.

(٢) د. يوسف حبي: كنيسة المشرق الكلدانية – الاشورية، الكسليك – لبنان، ٢٠٠١م ص١٧٤.

(٣) د. يوسف حبي: المرجع نفسه، ص١٧٤.

منها ايام كان يدرس في دير الربان هرمزد، وخط البقية بعد رسامته كاهنا (قسا) على يد البطريرك يوسف اودو سنة ١٨٤٩، ثم تعيينه كاهنا لخدمة قرى ابرشية عقرة[1]. اما اهم مخطوطات ابرشية عقرة فهي:

١- الكتاب المقدس: كتاب الانبياء

الورقة ١٩٣: سنة ٢١٦٩ يونانية ١٨٥٨م اشترى هذا الكتاب القس يعقوب بن القس كانون برزاني من بيت النجارين (نجار).

٢- العهد الجديد

في نهاية الاناجيل نقرأ التملك التالي: اشترى هذا العهد الجديد القس يعقوب بن القس كانون البرزاني من القس حنا التلسقفي لكنيسة مريم العذراء في برزان في ٨ تشرين الاول سنة ٢١٦٣ يو – ١٨٥١م.

٣- العهد الجديد: قراءات طقسية من الانجيل

كاتبها القس يوسف بن القس كوركيس بن القس اسرائيل بن القس هرمزد الالقوشي، فرغ منها في ١٩ ايلول سنة ٢٠١٧ يو–١٧٠٦م.

اشترت هذا الكتاب شوني بنت اوشعني، وامها نسرت، لكنيسة مريم العذراء في قرية برزان.

٤- العهد الجديد: قراءات طقسية من الانجيل

كاتبها القس داود بن الشماس يوحنان من برزان، فرغ من كتابتها يوم الثلاثاء ٤ تشرين الاول سنة ٢١٧٠ يو –١٨٥٩م.

٥- العهد الجديد: قراءات طقسية من الرسائل

كتبت في القوش يوم السبت ليلة الاحد الخامس من ايليا ٣٠ ايلول سنة ٢٠٢١يو–١٧١٠م. كتبت بهمة القس كوو والصحيح كوركو المتوفي ١٦ تشرين الاول ١٧٠٠ لكنيسة مريم العذراء في قرية برزان.

٦- العهد الجديد: قراءات طقسية من الرسائل

---

(١) فهارس المخطوطات السريانية في العراق: مطبوعات المجمع العلمي العراقي – هيئة اللغة السريانية، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨١م –١٤٠١هـ، ج ٢ ص٨.

كاتبها الشماس كانون بن نيسان بن كوركو فرغ منها يوم الجمعة ١٧ كانون الثاني سنة ٢١٢٤يو–١٨١٣م، وكتبها في برزان التي فيها كنيسة مريم العذراء، في ايام مار ابليا الجاثليق البطريك.

٧– تفسير سفر الرؤيا:

كاتبها يعقوب بن شماس كانون ابن اخ مزو (هرمز) بن ابراهيم من قرية برزان التي فيها كنيسة مريم العذراء، وقد فرغ من الكتابة في ١٧ تشرين الاول سنة ٢١٤٤يو–١٨٣٢م في قرية برزان.

على الاوراق الامامية: ديباجة رسالة توجه الى المطران، ثم ديون لهرمز على عدة اشخاص. ويستشف من كتابة ابن اخ هرمز ان هرمز المذكور عم كانون كان غنيا، وانه كان يقرض الناس.

٨– كتاب المغناطيس:

كاتبها داود بن يوحنا، كتبها في ١٨ آب سنة ٢١٤٣يو–١٨٣٢م.

كتبت في برزان في ايام البابا لاون الثاني عشر (يبدو ان الناسخ كان يجهل وفاة البابا لاون الثاني عشر سنة ١٨٢٩، وخلافة البابا بيوس الثامن مدة عشرين شهرا، ثم تولّي الرئاسة بعده البابا غريغوريوس السادس عشر منذ سنة ١٨٣١، ومار يوخنان هرمزد الجاثليق بطريرك المشرق، ومار يوس (اودو) مطران العمادية.

٩– مجموع في التوبة وفي اسرار الكنيسة وفي الخدمة الكهنوتية:

يضم هذا المحتوى ٢٦ موضوعا مختلفا في مواضيع نصرانية مختلفة، ولكن ما يهم موضوع بحثنا في الموضوع الاخير رقم ٢٦: فصل من انجيل متى باللغة الكوردية ومكتوب بالكرشوني(١)، وهو انجيل مار اسطيفانوسي الطقسي، الورقة ١٤٧ ب كاتبها القس يعقوب بن القس كانون البرزاني آل نجار (النجارين). فرع من كتابها في ٣٠ تشرين الاول سنة ٢١٦٦يو–١٨٤٤م (هكذا والصحيح ١٨٥٤م).

كتبت في برزان في ايام مار يوسف اودو الجاثليق بطريرك بابل على الورق ٥٥ نقرأ ما تعريبه (تمت في ٢ نيسان سنة ٢١٦٦يو–١٨٤٤م في برزان، على يد القس يعقوب بن القس كانون البرزاني من آل نجار وعلى الورقة ٥٨: ملاحظات بالكردية.

---

(١) فهارس المخطوطات السريانية في العراق: ج٢ ص٩.

وعلى هامش الورقة ٥٩ ب نقرأ: سنة ١٨٥٠ القس يعقوب برزاني كان يقرأ في الدير (دير الربان هرمزد قرب القوش) لدى الرهبان. وعلى الورقة ١٢١ب. تمت كتابة اسرار الكنيسة السبعة[١] مع شفاء الاعتراف، بيد الشماس يعقوب بن القس كانون البرزاني من آل نجار – كتبها لنفسه في قرية برزان التي فيها كنيسة مريم العذراء سنة ٢١٥٨يو–١٨٤٧م.

ولملاحظة الفرق في الكتابة بين سنة ١٨٥٠ وسنة ١٨٤٧، يرى مفهرس المخطوطة ان الكاتب يعقوب كان شماساً سنة ١٨٤٧م، ويعد ان درس في دير الربان هرمزد، رسم كاهناً (قسا) سنة ١٨٥٠م[٢].

١٠– الصلوات الطقسية:

كاتبها الشماس يلدا القس عبد يشوع بن القس خذبشبا بن القس اسرائيل الالقوشي، كتبت في ١١ تشرين الاول سنة ٢٠٤٧يو–١٧٠٥م.

كتبت بهمة الكاهنين حنا ونيسان والمؤمن اوراها، لكنيسة ماركوركيس[٣] التي في قرية برزان القريبة من الزاب الكبير.

١١– طقس القداس وصلوات

كتبها القس يعقوب بن القس كانون بن ابراهيم من آل نجار من قرية برزان. فرغ منها يوم السبت ١٨ حزيران سنة ٢٦١٦يو–١٨٥٥م. كتبت في قرية برزان التي فيها كنيسة مريم العذراء.

---

(١) الكرشوني معناها: كتابة اللغة العربية او الكردية بخط سرياني، وظهر الكرشوني العربي في القرن الأول الهجري؟ السابع الميادي، اما الكرشوني الكردي فلا تعرف نقطة البداية، لانه لا يوجد عنه اي معلومات سوى مخطوطة ارادن التي هي بحوزة مكتبة المتحف العراقي (دار مخطوطات صدام لاحقا)، ومخطوطة أرادن هي من تأليف الراهب القس عبدالاحد عوديش بن خوشابا البقال الالقوشي احد رهبان دير الربان هرمزد وضعها سنة ١٨٨٨م انظر: اسامة النقشبندي: مخطوطة أرادن، مجلة بين النهرين، العدد ١٣، ١٩٧٦ ص٦٩–٧١.

(٢) اسرار الكنيسة السبع وهي: ١– التعميد ٢– سر التناول (القربان المقدس) ٣– التثبيت ٤– التوبة ٥– مسحة المرضى ٦– سر الكهنوت ٧– سر الامومة. انظر: عبدالقادر احمد اليوسف: العصور الوسطى الاوربية، صيدا ١٩٦٨، ص٢٤٠.

(٣) يبدو ان هناك علاقة وطيدة بين كهنة قرية بارزان وبين كهنة قصبة القوش وتحديدا دير الربان هرمزد.

اما محتويات هذا المخطوط فهي:

أ – القداس مع تأثير لاتيني.

ب – قراءات طقسية من الرسائل والانجيل.

ج – افعال ايمان وندامة ومحبة وشكر، بالسورث (السريانية الدارجة).

د – صلوات ختامية منها صلاة ختامية للموتى للقس اسرائيل الالقوشي على الورقة الامامية بمداد (حبر) ازرق عادي نقرأ ما مفاده ان القس هرمز عيشي تلميذ الاب بولس جنتو المانكيشي قدم هذا الكتاب لمعلمه الوكيل البطريركي الكلداني في روما لكي يحفظ في مكتبة الفاتيكان في روما.

١٢– رتبة مسحة المرض:

كاتبها القس يعقوب بن القس كانون من برزان

فرغ منها يوم الخميس ٨ شباط سنة ٢١٦٦يو–١٨٥٥م. على ورقة ١٠٢ نقرأ ما تعريبه: ((تزوج يوسف بن القس يعقوب في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٥٩م من آرينا، وحدث في هذه السنة غلاء فاحش فوصلت وزنة الحنطة الى ٤٠ قِران[1].

١٣– رتبة اكليل الزواج:

كتبها القس كوركيس بن القس يعقوب بن القس كانون بن القس ابراهيم ابن اخ مزو (هرمز) من آل نجار من قرية برزان. كتبها في قرية (ناهاوا) وفرغ منها يوم الاربعاء ٢٩ مايس سنة ٢٠٦٦يو–١٨٩٥م.

١٤– مجموع طقسي:

يضم هذا المجموع مواضيع نصرانية مختلفة تصل الى ثمانية عشر موضوعاً، في الموضوع الاخير الورقة ١٥٨ وبخط غير جميل يبدو انه مجموع طقسي خاص بالقس يعقوب بن القس كانون البرزاني كاتبها القس يعقوب بن القس كانون بن ابراهيم من آل نجار البرزاني. فرغ منها في ٢٤ نيسان سنة ٢١٦٥يو–١٨٥٤م.

ذيول وهوامش: ارتسم يعقوب البرزاني كاهناً من قبل مار يوسف اودو (البطريرك) سنة ١٨٤٩ في كنيسة مار كوركيس في القوش[2].

---

(١) القران عملة ايرانية قديمة.

(٢) لاول مرة يظهر في احدى المخطوطات وجود كنيسة ثانية في بارزان تحت اسم ماركوركيس.

وتوفي القس كانون، والد القس يعقوب المذكور، في ٢٤ كانون الاول سنة ٢١٦١يو-١٨٤٩م.

١٥- مجموع صلوات تقوية[1]:

يضم هذا المجموع حوالي ٤٠ موضوعا في الديانة النصرانية، ما يهمنا هو الموضوع الاخير الاربعون عنوانها: صلاة مفيدة، كاتبها القس يعقوب البرزاني، وقد كتبها بعد رسامته (اي اصبح كاهنا - قسا) سنة ١٨٤٩م. على الورقة التي تسبق البداية هذه الاخبار التي ترجمتها.

أ- في هذه السنة اسماعيل باشا (سميباشا) الى برزان، في سنة ٢١٤٩يو-١٨٣٨، وبالاعتماد على مصدر آخر فان اسماعيل امير العمادية هاجم بارزان في سنة ١٨٣٨[2].

ب - في هذه السنة قتل علي آغا في العمادية، سنة ٢١٥٣يو-١٨٤٢م.

ج - شبو (فتاة نصرانية) لبست ثوب العذراء من يد مار ايليا الراهب (ملوس) سنة ١٨٦٦م في الاحد تشرين الاول، في برزان.

١٦- كتاب عقد الجواهر للكهنة:

كاتبها داود بن يوحنا بن نيسان من آل قرداحي البرزاني الساكن في عينكاوة، فرغ منها يوم الجمعة ٥ ايلول ٢١٥٢يو-١٨٤١م.

١٧- كتب طقسية (مخطوطات ناقصة) تضم ١٧ مخطوطة ما يخص موضوعنا هي:

ا- نشيد عن الالام بالكرشوني (كتابة عربية بالخط السرياني) بيد القس يعقوب بن القس كانون البرزاني في ١٨٥٩م.

ب- رقم ١٧ تفسير المقالات الاثنتي عشرة لقانون الايمان، بيد القس يعقوب بن القس كانون البرزاني في سنة ١٨٦٩.

ج- رقم ٢٥ طقس القداس، ناقصة بيد القس يعقوب البرزاني.

اما مخطوطات تلكيف فتضم مخطوطة واحدة تخص قرية بارزان وهي (طقس القداس)

---

(١) قرية نصرانية تقع في منطقة آكرى (عقرة).

(٢) فهارس المخطوطات السريانية في العراق/ مطبوعات المجمع العلمي العراقي هيئة اللغة السريانية، ج٢ ص١٢، ١٤، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٣١، ٤١، ٤٤، ٥٩، ٦٠، ٦٢.

كتبها القس يعقوب بن القس كانون البرزاني، كتبها لنفسه في برزان في الاثنين ٢٢ كانون الاول ٢١٧٤يو-١٨٦٣م(١). اما مخطوطات القوش فهي تضم كسابقتها تلكيف مخطوطة واحدة وهي ايضا (طقس القداس) كتبها في برزان القس داويذ بن يوخنان بن نيسان ابن اخ القس حزيران، بهمة القس داويذ المذكور. انتهى من كتابتها في يوم الاثنين ١٦ آب سنة ٢١٥٩يو-١٨٤٨م(٢).

اما مخطوطات دير الآباء الدومنيكان في مدينة الموصل فهي تضم عدة مخطوطات غالبيتها تقع ضمن باب التراتيل والمراثي لان عونيث تعني الترتيل او المرثية(٣).

١- عونيث الحداد للقس داؤد البرزاني.

٢- عونيث الفها القس داؤد البرزاني في قرية كنيا فلهان على ما جرى له في غربته

٣- عونيث القس داؤد البرزاني على موت ابنه انطوان المتوفي في قرية كنيا فلهان(٤).

٤- عونيث القس داؤد البرزاني على خطيئته.

٥- عونيث القس داؤد البرزاني على حفظ وصايا الله والانبياء.

٦- عونيث القس داؤد البرزاني على عمل الخير مع كل انسان.

٧- عونيث القس داؤد البرزاني على محبة هذا العالم الزائل.

٨- عونيث القس داؤد البرزاني تحذير للرجال والنساء.

٩- عونيث القس داؤد البرزاني على قول الجامعة باطل الاباطيل وكل شيء باطل.

١٠- عونيث القس داؤد البرزاني على تجربة ايوب البار.

١١- عونيث القس داؤد البرزاني على حزن داود على شاؤل ويوناثان وابيشالون ولعمي الافراتية.

---

(١) النص غير واضح ومخروم، ولكن اعتمادا على مصدر آخر فان اسماعيل باشا امير العمادية (امارة بهدينان) هاجم قرية بارزان عام ١٨٣٨م. انظر: هرمز ابونا: الآشوريون بعد سقوط نينوى، شيكاغو، الطبعة الاولى ١٩٩٩م، ج٥ ص٣٦.

(٢) فهارس المخطوطات السريانية في العراق: مطبوعات مجمع اللغة السريانية، مطبعة التايمس بغداد، ١٩٧٨، ج١ ص٣٥.

(٣) المرجع نفسه، ج١ ص٢٤٢.

(٤) عونيث: جواب وهي ترتيلة تعاد (ردة) انظر: افرام برصوم: اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، ص٥٠٠.

١٢- عونيث القس داؤد البرزاني على بيع يوسف بن يعقوب

١٣- عونيث القس داؤد البرزاني على البتول مريم

١٤- عونيث القس داؤد البرزاني على ما سيجري على يد المسيح الدجال في نهاية العالم.

١٥- مراثي القس داؤد البرزاني على الام المسيح وموته ووضعه في البيعة

١٦- القس داؤد البرزاني؟ مرثية مريم على ابنها تحت الصليب.

١٧- مديحة القس داؤد البرزاني على ذكر الموت وبطلان العالم.

١٨- مديحة القس داؤد البرزاني للتوبة بالكردية (الكتابة باللغة الكوردية ولكن بالالفباء السرياني) وتسمى الكرشونية.

١٩- مديحة بالكردية على الحسد ومحبة المال وقرب مجيء المسيح الدجال للقس داؤد البرزاني.

٢٠- زياح حبر ودم المسيح للقس داؤد البرزاني.

٢١- مدراش (مرثية) القس داؤد البرزاني بالسورث (السريانية المحكية) على موت ابنه انطون في التاسع من آب سنة ١٨٦٥ مسيحية.

٢٢- مدراش ثانٍ للقس داؤد البرزاني على موت ابنه.

٢٣- مدراش اخر للقس داؤد البرزاني على موت ابنه.

٢٤- مدراش اخر للقس داؤد البرزاني على نفسه.

٢٥- مدراش اخر للقس داؤد البرزاني للقبر[١].

وفي نهاية هذه التراتيل والمراثي كتب يقول: (أنجز بمعونة ربنا.. هذا كتاب المراثي الحزينة).. بيدي الضعيف القس داؤد بن يوحنا بن نيسان بن جورجو البرزاني من بيت الحداد (القرداحي) فاضطر الى ترك موطنه بسبب ظلم الزيباريين الكفرة وسكن قرية كنيا فلهان[٢] بجوار ديرمار احا في عهد البطريرك مار يوسف... انتهى في السادس عشر من

---

(١) الاب الدكتور بهنام سوني: فهرس مخطوطات دير الآباء الدومنيكان الموصل، منشورات المركز الثقافي الآشوري دهوك نيسان ٢٠٠٥م، ص٧٤-٧٧.

(٢) قرية كانيافلها: والصحيح كانيا فلا: قرية نصرانية تقع في منطقة شمكان ما بين ناحية اتروش وناحية مريبة في سفح جبل خير، تسمى المصادر السريانية المنطقة باسم بيرتا. انظر: البيرابونا: كتاب الرؤساء، ١٢٧ هامش (١٣).

ايلول نهار الأثنين سنة ١٨٦٧ لربنا وسنة ٢١٧٨ يونانية(١).

وفي نهاية المخطوطة أضاف القس إلياس الراهب كتابة اليها جاء فيها: ((قرأت في هذا الكتاب انا القس الياس الراهب في سنة ١٩٠٥ لربنا في قرية مار يعقوب (قشافر) الحالية شمال مدينة (سميل) اثناء عودتي من مدينة سعرد (سيرت – كورستان تركيا) وقد مكثت مدة اسبوع في ديرمار يعقوب. انا رأيت في صغري القس داؤد مؤلف هذا الكتاب في دير السيدة (قرب القوش) وكان شيخا طاعناً في سنه وكان ذلك سنة مجيئي الى الدير اى سنة ١٨٥٥م. الآن هي سنة ١٩٠٥، القس الياس الراهب(٢).

ثانيا: المصادر المطبوعة

ان المصادر السريانية المطبوعة التي أشارت الى بارزان نادرة بعض الشيء والسبب في ذلك يعود الى أن النصرانية التي كانت تتواجد بين قسم لا بأس به من سكان قرية بارزان بدأت بالانحسار مع نهاية القرن التاسع عشر لكثرة الاضطرابات والصراعات التي كانت ديدن هذه المنطقة لا سيما بين شيوخ بارزان النقشبنديون وأتباعهم من جهة وبين آغوات المنطقة ومتنفذيها من جهة اخرى في المرحلة الاولى، ثم تطور الامر الى صراع دام بين شيخ بارزان عبدالسلام بن محمد الثاني وبين السلطات العثمانية في مرحلة لاحقة بعد ان احسّت الأخيرة بأن الشيخ يشكل خطورة على أمن الدولة العثمانية بعد مطالبته بالحقوق السياسية والثقافية للكورد، واعتبرت هذا الامر تجاوزا للخطوط الحمر، لذلك آثر نصارى قرية بارزان الهجرة وترك المنطقة لا سيما وانهم اقلية يبحثون عن الامن والهدوء، فغادر قسم منهم الى مناطق اكثر امناً الى الشمال حيث ديار القبائل النسطورية في منطقة هكاري بقيادة المار شمعون، بينما غادر آخرون باتجاه الجنوب حيث القرى

(١) المرجع نفسه، ص٧٧، ويبدو ان القس داؤد بن حنا البارزاني غادر قريته بارزان الى قرية كاني فلا في منطقة شمكان شمال غرب قضاء عين سفني، بعد حدوث اضطرابات في قرية بارزان عام ١٨٦٧م ويبدو ان المؤرخ الموصلي صديق الدملوجي القي ضوءا على هذه الحادثة بقوله: ال... الى ما كان من مجيء، جده الشيخ عبدالسلام الاول، الى الموصل واقامته شهرا فيها (كان مجيئه سنة ١٢٩٣هـ – ١٨٧٦م بدعوة من الحكومة على اثر حركة قامت في الزيبار (منطقة بارزان) ترمي الى الاعتقاد بما لا يتفق والدين الاسلامي، وكانت الحكومة تلقت هذه الحركة باهتمام زائد، وخافت عواقبها)) انظر: امارة بهدينان الكردية، دار ئاراس اربيل الطبعة الثانية ١٩٩٩ ص٨٢.

(٢) فهارس مخطوطات دير الآباء الدومنيكان الموصل، ص٧٧.

النصرانية المتواجدة في منطقة نهلة وعقرة، كما أن عددا لا بأس به من هؤلاء النصارى اعتنقوا الإسلام على يد شيوخ بارزان ابتداءً من عهد الشيخ عبدالسلام الاول(1).

ومهما يكن من أمر فان الخوري يوسف تفنكجي دبج إحصائية خاصة بكنيسة المشرق الكلدانية، ونشرها في الدليل الحبري Annuario Pontificio لسنة ١٩١٤، بعد أن كانت قد نشرت في كتيب خاص بالفرنسية تحت عنوان (الكنيسة الكلدانية سابقا ولاحقا سنة ١٩١٣، وترجمها المطران أندراوس صنا ونشرها في مجلة نجم المشرق(2).

وفي هذه الإحصائية أشار الى أن عدد المسيحيين في قرية بارزان هم ٩٠ نسمة لديهم كاهن واحد، ولم يشر في الاحصائية الى قريتي ارديل وبيديال.

النصرانيتان الواقعتان في منطقة بارزان فضلا عن ذلك فإنه لم يتطرق في الإحصائية إلى وجود أية كنيسة في بارزان ولو كانت موجودة لكان قد ذكرها في الإحصائية حيث خصص حقولا لعدد الكنائس والمصليات والمدارس.

ومن خلال هذه الإحصائية يستشف الباحث بأن كنيستي مريم العذراء ومار كوركيس اللتان ذكرتهما المخطوطات آنفا لم يبق لهما اثر رغم تواجد بعض أعداد النصارى الذي لا بأس به في بداية الحرب العالمية الاولى، يبدو انهما قد دمرتا اثناء الصراعات والحروب التي كانت بارزان مسرحاً لها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين(3).

كما يجب الاشارة الى أن قرية بارزان نالها خلال فترة صراع المنصرين (المبشرين) الكاثوليك مع الكنيسة الشرقية النسطورية لاخضاع الاخيرة لكرسي روما مثل بقية المناطق الاخرى، فالبطريرك يوحنا هرمزد النسطوري الذي التحق مع روما سنة ١٧٧٨م واصبح كاثوليكيا واخذ بالتبشير لدعوتها يقول في سيرته الذاتية عن قرية بارزان وما

---

(١) فهارس مخطوطات دير الآباء الدومنيكان الموصل، ص٧٧.

(٢) لمطران اندراوس صنا: مجلة نجم المشرق، اصدارات بطريركية بابل الكلدانية، بغداد العدد ٨، ١٩٩٦، ص٥١٢-٥٣١.

(٣) العميد الركن حسن مصطفى: البارزانيون، الطبعة الثانية ١٩٨٣، ص١٨ نقلا عن مقال للرئيس الاول الركن (رائد ركن) ظفر الدين ابراهيم – المجلة العسكرية للجيش العراقي السنة العاشرة. واضاف بانه لم يبق من نصارى منطقة بارزان الا اهالي قرية (بيديار) والصحيح (بيديال) ولكن هناك قرية اخرى نصرانية وهي ارديل انظر: بى رةش: المراجع السابق، ص ٢٤.

حصل فيها سنة ١٧٩٠م ما يلي: ((ربنا يسوع المسيح أضاء عقول أبناء قرى (ارينا)(١)، و(برزان). كلاهما تقبلتا عقيدة الكنيسة المقدسة (يقصد روما) وتحرروا من الهرطقة (هرطقة نسطوريوس) بواسطة ابن أخي المطران شمعون، الذي جلب كهنتهما عندي... فأكرمتهم فأعطيتهم ما يحتاجون اليه من كتب وآنية مقدسة، لتكون كنائسهم كما هي البيع المسيحية وعادوا الى قرارهم))(٢).

وهناك مصدر سرياني يتطرق الى المعارك التي خاضعها الاثوريون (الاشوريون) النساطرة بقيادة آغا بطرس وملك خوشابا سنة ١٩٢٠ لاحتلال اجزاء كبيرة من كوردستان واقامة الدولة الاشورية عليها.

يذكر مؤلف سيرة آغا بطرس ان خطة عودة الآشوريين (النساطرة الجبليين) الى موطنهم الأصلي في هكاري ومناطق أورمية استأثرت باهتمام الانكليز لما لها من فوائد تخدم مصالحهم وهذه الفائدة تتجلى في ثلاث نقاط مهمة:

١- تقليل النفقات البريطانية المعروفة على الآشوريين.

٢- الانتقام من الأكراد الذين قتلوا ضباطا بريطانيين وإخراجهم من شمال العراق (كوردستان) واحلال الآشوريين محلهم.

٣- وضع حاجز امام الاتراك الذين ما انفكوا يهددون وحدة العراق الشمالية(٣).

ان الخطة التي رسمها آغا بطرس في قتاله للأكراد هي احتلال اورمية وسلامس أولا ومن هناك الانطلاق لتحرير منطقة حكارى (هكارى) من تركيا والجزيرة (بوتان) في سوريا وهذا يعني ان المناطق المزمع السيطرة عليها تقطع من أربعة دول هي: إيران - تركيا - سوريا - العراق.

وعلى اثر ذلك تم تسليح (٥٠٠٠) مقاتل آشوري بقيادة آغا بطرس للشروع بحملة عسكرية على كوردستان، وفي تشرين الاول سنة ١٩٢٠ تسلقت القوات الآشورية الجبال بقيادة الجنرال آغا بطرس وملك خوشابا وآغا مرزا داود شموئيل خان وآغا عزريا

---

(١) هرمز ابونا: الآشوريون بعد سقوط نينوى/ مج ٥ ص٣٦.

(٢) يعتقد انها احدى قرى عشيرة الزيبار. أنظر: السيرة الذاتية للبطريرك يوحنا هرمزد: عربها وحققها الاب الدكتور بطرس حداد، مجلة بين النهرين العدد ٣٤-٣٥، ١٩٨١، ص٢٥١.

(٣) نينوس نيراري: آغا بطرس سنحاريب القرن العشرين، ترجمة فاضل بولا، سان دياغو ١٩٩٦، ص١٨٥.

ورؤساء آخرين، وقد كانت لهذه القوات هيبتها وهي تتقدم الى أمام ورايتها الحمراء ذات الصليب الابيض خفاقة ابدا تلقي الرعب في قلوب الاعداء...

وبخصوص موضوع بارزان، فانه يذكر بعد احتلال آغا بطرس لمدينة عقرة توجه نحو بارزان وعبر الزاب وتمكن من كسر شوكة السورجيين والزيباريين حيث يقول: ((من بعد كسر شوكة العشائر الكوردية وإلحاق الهزيمة بها راحت تستسلم للاشوريين تباعا، وهذه العشائر هي (الشيروانيون، المزوري، الهركية، الدوسكية، سورجناي (السورجية)، ارطوشنيون (الارتوشيون)، الاورامار، الزيباريون، جردانيون، نرداريى (النيروه)، الريكانيون، بالانيون، آينشانيون (البنيانيشيون)، البرزانيون الذين فروا الى راوندوز وعمادية))[1].

ويستطرد المؤلف قائلا: ((وفي بارزان أتاح الجنرال الآشوري الفرصة لقواته ان تنعم بقسط من الراحة لمدة ثلاثة ايام لخوض معارك مقبلة، وفي ذهنه انتصارات مقبلة على العدو وفي احدى التقارير التي يكتبها المدعو سليم خان يشوع البازي يذكر بأن قواتهم احرقت ودمرت بارزان قرية شيخ الزيباريين حيث يقول ((... وهناك تجمع شتات الزيباريين لملاقاة قواتنا لكنهم لم يستطيعوا الصمود اكثر من ساعة وفروا ونحن في اعقابهم الى نهر الزاب الذي يواصل جيرانه (تيار الماء)، عبر الاكراد الى الجهة الاخرى من النهر الى اطراف قرية بارزان وهي قرية شيخ الزيباريين ومن هناك راحوا يقاتلوننا ونحن على الجانب الاخر من النهر، وهنا صال عليهم خمسون فارساً من رجالنا الشجعان وعبروا النهر وسط ازيز الرصاص وهزموا العدو في مواقعه ممهدين السبيل لبقية القوات لعبور النهر وتم احتلال بارزان وحرقها))[2].

وفي تقرير رقم (٢) يقول نفس المصدر بأنهم دمروا زيبار وبارزان وتم سحق الشيروانيين والميزورانيين (المزوريين) والهركية العشائر الثلاث الكبيرة ما بين زيبار ونيري. وفي نهاية تقريره يقول بأنهم خسروا فقط ستة مقاتلين وثمانية ماتوا غرقا[3].

وللرد على هذه التخرصات الجوفاء والبطولات الزائفة انقل ما ذكره السيد مسعود البارزاني حول تحريض الانكليز للآشوريين على قتال الكورد بقوله: ((انتظرت السلطات

---

(١) نينوس نيراري: آغا بطرس سنحاريب القرن العشرين، ص١٨١.

(٢) نينوس نيراري: المرجع السابق، ص١٨٧.

(٣) المرجع نفسه، ص١٨٨.

البريطانية ترقب الاحداث والتطورات، وفي ربيع عام ١٩٢٠ حرضت الاشوريين وارسلتهم لمقاتلة الاكراد، فهرب فارس آغا الزيباري مع عوائل اقربائه وعشيرته الى ايران والتجأ الى سمايل آغا شكاك، وفي بارزان حدثت معارك دموية بين البارزانيين والآثوريين بقيادة آغا بطرس، واستشهد في هذه المعركة (سعيد ولي بك) أحد قادة البارزانيين المشهورين، ولكن ما لبث الطرفان ان أدركا الخطة الخبيثة التي وضعها الانكليز وانتهى القتال...))[١].

مما تقدم ثبت بأن قرية بارزان هي مهد تعايش الأديان السماوية الثلاث الإسلام والنصرانية واليهودية، وان لكل هذه الاديان اماكنها الدينية الخاصة بها، وان النصرانية بقيت في هذه القرية الى الثلث الأول من القرن العشرين، أما اليهودية فقد بقيت الى منتصف القرن العشرين تقريباً، حيث دكّت الطائرات البريطانية الكنيس اليهودي عام ١٩٤٥ واستشهد من جرائه احد البارزانيين المسلمين، بينما غادر يهود بارزان قبل هجرتهم الى فلسطين الى مناطق عقرة حيث الأكثر اماناً.

والغريب ان احد الكتاب ذكر ان الزعيم الكوردي ملا مصطفى البارزاني هو من أصل آشوري من سلالة القس (داوود البارزاني)[٢] صاحب المخطوطة المكتشفة في قرية (كانيا فلا)، وما اوردته بخصوص القس المذكور كافي للرد على هذه المزاعم التي ما انزل الله بها من سلطان وتخالف الحقيقة حول اصل البارزاني، حيث لم يبقى شيئا في جعبتهم إلاّ أن يرجعو اصل البارزاني الى الاشوريين.

وبقيت بارزان تحتفظ بذكريات هؤلاء في ذاكرتها، تلك الذاكرة التي اصبحت ينبوعاً ثرياً للتسامح والمحبة وإحقاق الحقوق، ونتمنى من الابناء والاحفاد السير على هدى الشيوخ الاوائل الذين زهدوا في هذه الحياة فوهبت لهم الدنيا.

---

(١) مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكوردية، ج١ ص٣٠-٣١.

(٢) لوقا زودو: المسألة الكوردية والقوميات العنصرية في العراق، بيروت ١٩٦٩، ص٢٠٢.

الكهنة المسيحيون
وخدمة اللغة الكوردية

المقدمة

يظن الكثير بأنه ليس لرجال الدين المسيحيين شأن يذكر في خدمة اللغة والثقافة الكوردية, على أساس أن جهودهم وامكانياتهم تصب جميعاً في خدمة الدين المسيحي والتراث السرياني, فضلاً ان اللغتين السريانية والكوردية تنتميان الى عالمين مختلفين هما السامي والعالم الهندو – ايراني (الآرى).

ولكن رغم ذلك فان للعديد من هؤلاء الكهنة[١] جهودا لابأس بها في خدمة اللغة والثقافة الكوردية، جاءت في حقيقة الأمر نتيجة العيش في الوطن الواحد(كوردستان) والمصير المشترك وعشرات القرون من المحن والآلام التي ترتبت على تجاذبات الحياة تلك.

إذن فكوردستان هي موطن الجميع وهي الحاضنة التي تحتضن جميع الأديان والقوميات والمذاهب التي يتألف منها فسيفساءها الذي يضيف رونقا وبهجة على جبال وهضاب وسهول كوردستان, مثلها في ذلك مثل الازهار والورود العديدة الألوان والمتنوعة الروائح التي تضيف جمالاً على الحديقة مما يسر الناظرين.

وجدير بالذكر ان الكثيرين من الشخصيات الأجتماعية والفكرية والحزبية والدينية من المسيحيين يعدون أنفسهم من المنتمين الى قوميات اخرى لا تمت للكورد بصلة، غير العيش المشترك والجيرة مثل الكلدانية والاشورية فهذا شأنهم وهذا خيارهم ولهم الحق في ذلك فالقومية شعور بالانتماء– ولا يستطيع أي كائن ان يفرض ديناً او قوميةً او فكراً أو اتجاهاً محدداً على احدٍ ((لا إكراه في الدين)) ولنضرب مثالاً على ذلك فقد حاول النظام

---

(١) الكاهن: وهو خادم دين وفي الأصطلاح ا(لكتاب المقدس) الشخص المختص لتقديم الذبائح, وطبقة الكاهن ورتبته من (كهنوتا) كهنوت أي قدس قداسة ومنها جاءت كلمة قس من القدس أي من القداسة ولكن دغمت الدال فاصبحت الكلمة قس وهو الكاهن.انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩١, داود الجلبي: الأثار الآرامية في لغة الموصل العامية, مطبعة النجم الكلدانية في الموصل سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م, ص٧٨.

السابق ان يفرض التعريب على المسيحيين والأيزيديين ولكن فشل في ذلك فشلاً ذريعاً لأن المسيحيين لهم شعور بالانتماء خاص بهم سواءً أكانوا كورداً ام عرباً ام كلداناً ام اشوريين ام سريانا.كما ان أن الإيزديين هم كورد لا يتناطح في ذلك عنزان.

المسيحيون الكورد

وفي خضم هذا الواقع المليء بالاشواك.يثير البعض سؤالاً ولهم الحق في ذلك، مفاده لماذا لا يوجد مسيحييون كورد – على غرار المسيحيين العرب؟وقبل الاجابة على هذا السؤال بطريقة علمية اكاديمية بعيداً عن العاطفة والايديولوجيا التي مع الأسف الشديد هي سمة الكثيريين من كتابنا ومثقفينا الكورد على وجه التحديد، لابد من القول بأن هناك فرقاً بين الدين كمعتقد وبين القومية كعرق، فالانسان يستطيع ان يغير معتقده وفكره كما يحلو له ولكنه لا يستطيع ان يتخلص من موروثه العرقي بهذه البساطة حتى لو أنكر ذلك لأن الصفات الوراثية التي ورثها من أسلافه ستبقى ملازمة له الى الأخير.

نعم قد يتنكر الانسان لأصله أو لعرقه بسبب ظرفٍ ما سلبي او إيجابي ولكنه لا يستطيع ان يكبح تلك العاطفة الحميمية تجاه بني جنسه وللقاعدة شواذ..

ويخصوص الاجابة على السؤال السابق. يذكر المطران أدى شير (ت ١٩١٥) في معرض النزاع الذي حدث بين الاساقفة بعد وفاة الجاثليق (يهبالا) سنة ٤٢٠م وتولي (داد يشوع) الجثلقة وحرمانه لعدد كبير منهم مما حدا بهم الى أن يشتكوه الى الملك الفارسي الساساني بهرام الخامس (٤٢٠–٤٣٢م) الذى القاه في السجن وضيّق عليه، وحينئذٍ توسط سفير الملك البيزنطي ثيودو سيوس (٣٩٥– ٤٢٦م) وتمكن من إخراج داد يشوع من السجن لذا تقاطر عليه المعارضين له ومن ضمنهم الأسقف (أرداق) اسقف (مشكنا دقوُردو)[١] (مساكن الكورد– كوردستان) أو اسقف الكورد. وهذا دليل اكيد على ان مصطلح كوردستان يرجع الى القرن الرابع الميلادي وهو اقدم ورودا من المصادر الاسلامية.

كما ان المستشرق الفرنسي المختص بالسريانيات (روبنس دوفال) يذكر في سير الشهداء والقديسين أن هناك كتاباً باسم (الفردوس المفقود) لداؤد اسقف الأكراد[٢]

---

(١) تاريخ كلدووآثور, بيروت ١٩١٣, ج ٢ص١٢٠

(٢) تاريخ الادب السرياني, ترجمة الاب لويس قصاب,١٦٨.

ولاحاجة لإيراد مادونه المؤرخ الاسلامي الشهير المسعودي (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م) حول وجود مسيحيين كورد تحت اسم اليعاقبة (المنوفستيين – اصحاب الطبيعة الواحدة)[١]، وأشار اليهم الرحالة الايطالي الشهير ماركو بولوفي[٢] في رحلته الى الصين حينما ذكر بأنه شاهد أكراداً نساطرة واكراداً يعاقبة[٣]. والنساطرة كانوا متواجدين آنذاك في منطقة بهدينان وهكاري، واليعاقبة (السريان الارثوذوكس) كانوا متواجدين آنذاك في منطقة طورعابدين – جبل العباد الزهاد(*).

ولكن هذا لا ينفي وجود مسيحيين كثيرين ساكنين في كوردستان ينتمون الى قوميات اخرى، فكوردستان كانت وستبقى تفتح ذراعها لكل من يريد العيش فيها أو اللجوء اليها لأن الكورد كانوا ومايزالون انسانيين بكل المقاييس رغم بعض الشطحات هنا وهناك.

بداية ظهور الكرشوني الكوردي

الكرشوني: هو اسخدام الابجدية السريانية في رسم لغة اخرى، أي بعبارة اخرى كتابة الخط السرياني بأحرف لغة أخرى، ولقد ظهر الكرشوني العربي في القرن الاول الهجري/ السابع الميلادي بعد الفتح الاسلامي لبلاد الشام في عهد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، حيث بدأ تحديدا في المناطق التي كان الناطقون بالسريانية يتواجدون فيها، حيث فضلوا آنذاك إستخدام حروفهم السريانية لكتابة اللغة العربية، بعد أن إتسع شمل الدولة الاسلامية واخذت اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) تكتسح اللغات الاخرى من طريقها من سريانية ويونانية وبهلوية.

اما الكرشوني الكوردي، أي كتابة الخط السرياني بالكلمات الكوردية، فلا تعرف نقطة بدايته على وجه التحديد، أوفي حقيقة الأمر لم يكن له وجود البتة، إلى ان ظهرت في الوجود (مخطوطة أرادن) التي قدمها القس فرنسيس داود كاهن قرية ارادن نصارى[٤]

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت دار الفكر١٤٠٩ه–١٩٨٣م –ج٢–ص١٠٤

(٢) ماركوبولو: رحالة ايطالي ولد سنة ١٢٥٤ في مدينة فينيسيا (البندقية)،ذهب الى الصين في رحلة تجارية استغرقت رحلته حوالى ٢٠عاماً، توفي سنة١٣٢٤م

(٣) وليم مارتسدن: رحلات ماركوبولو، ترجمة عبدالعزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧، ص٣٧

(*) المنطقة المحصورة بين جزيرة بوتان ومدينة ماردين.

(٤) أرادن:قرية كوردية مسيحية تقع على سفح جبل متينا على علو ١١٤٠م فوق مستوى سطح البحر=

الى مكتبة المتحف العراقي عام ١٩٧٥ (١) وتكمن اهمية هذه المخطوطة ان الناطقين بالسريانية وخاصة الكلدان منهم كتبوا أكثر من لغة بحروفهم السريانية، فقد كان يعتقد في السابق ان الكتابة بالحروف السريانية والنطق بلغة اخرى غير السريانية وهو ما اطلق عليه (الكرشوني) كان حِكراً على اللغة العربية, إلاّ أنه بعد هذا الكشف تبين بأن الناطقين بالسريانية كتبوا نطق لغات اخرى غير العربية مثل الكوردية.

والمخطوطة موضوعة البحث هي من تأليف الراهب القس عبدالأحد عوديش بن خوشابا البقال الالقوشي احد رهبان دير الربان هرمزد(٢), وقد وضعها سنة ١٨٨٨.(٣)

وغني عن القول أن الراهب القس عبدالأحد عوديش, كان خدم ككاهن (قس) في عدد من القرى المسيحية في منطقة بهدينان, وبفضل ذلك أجاد اللغة الكوردية, وبجانب معرفته الواسعة باللغة السريانية: فقد تمكن من وضع هذه المخطوطة التي اطلق عليها(مخطوطة ارادن)(٤).

= تحيط بها بساتين مثمرة وتسقيها مياه عيون صافية وعذبة.كانت مركز ابرشية بهدينان للسنوات (١٩١٠-١٩٤٧) ثم نقل الكرسي الى العمادية, أشهر مزاراتها هو مزار سلطان مهدوخت الشهير الواقع على بعد ٤كم من القرية، يتكون من صحنين حجريين طول كل منها ٢٤م ويعتقد ان البناء يرجع الى القرن الرابع الميلادي. وفي سنة ١٩٠٨نشأت في أرادن (رهبنة قلب يشوع الاقدس) بجهود القس عبدالاحد ريس.

(١) اسامة النقشبندي: مخطوطة أرادن, مجلة بين النهرين العدد الثالث عشر ١٩٧٦, ص٦٩.

(٢) الربان هرمزد: ولد الربان هرمزد في بيث لاباط (شيراز الحالية) من اقليم فارس من ابوين مسيحيين, وبعد ان تمرس هرمزد في الحياة والنسكية ترك والديه قاصداً الأراضي المقدسة, وبعدة مسيرة ٣٧ يوماً وصل الى مدينة الموصل وفيها التقى بثلاثة رهبان من دير الربان برعيتا الواقع شرقي قصبة كرمليس), بعدها قصد الربان هرمزد مع زميله الربان ابراهيم جبل القوش الحالي حيث يقوم ديره منذ ذلك الحين الى (القرن السابع) وهنا في قلب الوادي وجد الاثنان ينبوع ماء متسلسل بين الصخور (عيناد دقديشا: عين القديس حالياً) فسكنا في مغارة بجوارة, ميزان الربان ابراهيم لم يمكث طويلاًمع رفيقه هرمز سوى ثلاثة ايام ثم تخلى عنه الى شمال شرق قرية باطناية حيث بنى ديراً باسمه, أما الربان هرمزد فعكف على الاختلاء واماتة الذات في هذا الوادي السحيق وجاءه العديد من التلاميذ للتنسك والزهد, بعدها توفي الربان هرمزد ودفن جسده في ديره. انظر: يوحنا جولاغ: دير الربان هرمزد, مجلة بين النهرين, العدد الرابع سنة ١٩٧٣, ص٣٩٤-٣٩٦.

(٣) اسامة النقشبندي :المرجع السابق,ص٧٠

(٤) المرجع نفسه,ص٧٠.

تتكون المخطوطة من ٣٤١ صفحة, وهي مقسمة الى قسمين: الأول ويضم ١٨٦ صفحة تتناول (صرفِ) الكلمات الكوردية ومشتقاتها ومعناها باللغة السريانية, أما القسم الثاني فتتناول مقتطفات من الاناجيل الاربعة[١] باللغة الكوردية- لهجة بهدينان (اللهجة الكرمانجية الشمالية)، ومرتبة حسب ورودها في الانجيل.

تعليق الباحث

في اعتقاد الباحث أن كتابة الكرشوني الكوردي اقدم مما ورد في مخطوطة ارادن التي ترجع كتابتها الى سنة ١٨٨٨م فقد كان لجهود القس يعقوب بن القس كانون البارزاني آل نجار في كتابة الكرشوني الكوردي قصب السبق في هذا المجال، والى أن تكتشف مخطوطات اخرى لا زالت طي النسيان.

إن المخطوطات التي كتبت بالكرشوني الكوردي كانت محفوظة ضمن مخطوطات أبرشية عقرة, وهذه الابرشية تم استحداثها سنة ١٨٥٢م حين قام المطران يوسف أودو (١٨٤٧-١٨٧٨) بتقسيم ابرشية العمادية المترامية الاطراف الى ثلاثة أبرشيات: عمادية, عقرة, زاخو وتم تعيين مارايليا سفرو من أسرة آل ابونا الالقوشية بعد ان دخل في نزاع مع المطران أودو (قبل إنتخابه بطريركاً) على ابرشية العمادية في زمن عمه البطريرك السابق (يوحنا هرمزد).[٢]

وكان الأب جاك ماري فوستى الدومنيكي Jacques-marie VO3TE,O.P. قد زار عقرة وسكن فيها من ٢٨ تشرين الاول وحتى ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٣٨ وبمساعدة الأب ميخائيل إيشوع الوكيل البطريركي على عقرة يومذاك والقس بولص يونان تلميذ معهد مار يوحنا الحبيب بالموصل, تمكن من وضع فهرس مخطوطات أسقفية عقرة، لا سيما المخطوطات التي كانت تحتفظ بها كنيسة عقرة وكنيسة خرية، القرية التي يقع الى جوارها ديرمار يعقوب الشهير بدير (بيث عابى-دير الغاب)، ونشر الأب المستشرق فوستى حصيلة عمله في مجلة المعهد الشرقي بروما، ويبلغ عدد المخطوطات التي رآها فوستى فوضع لها فهرسا (٦٧ مخطوطة)، بينما بلغت المخطوطات التي فهرسها الأب

(١) وهي انجيل متى، إنجيل مرقص، إنجيل لوقا,إنجيل يوحنا.

(٢) د.فرست مرعي: بارزان وانحائها في المصادر السريانية, مجلة دهوك العدد ٣٢ تشرين الاول ٢٠٠٦, ص٨٤-٨٥.

الدكتور يوسف حبي (٩٦ مخطوطة)[١]، ولعل أهم المخطوطات هي مخطوطة العهد القديم والعهد الجديد وصلوات الطلب (الباعوثا) وغيرها المخطوطات القديمة جداًمن مخطوطات دير مار يعقوب (بيث عابي).

أما اهم المخطوطات واجملها فهي ذات أصل القوشي. ولا عجب, فقصبة القوش مدينة الخط السرياني الشرقي ومعين غزير للمخطوطات[٢].

وأهم المخطوطات التي تضم الكرشوني الكوردي فهي حسب الترتيب التاريخي

١- مجموعة في التوبة وفي اسرار الكنيسة وفي الكهنونية يضم هذا المحتوى ٢٦ موضوعاً مختلفاً في مواضيع مسيحية مختلفة, ولكن ما يهم موضوع بحثنا في الموضوع الأخير رقم ٢٦: فصل من انجيل متى باللغة الكوردية ومكتوبة بالكرشوني وهو إنجيل ماراسطفيا نوس الطقسي,الورقة ١٤٧ ب كاتبها القس يعقوب بن القس كانون البرزاني آل نجار(النجارين). فرغ من كتابتها في ٣٠ تشرين الأول سنة ٢١٦٦ يو ١٨٤٤ م (هكذا والصحيح ١٨٥٥م).

كتبت في برزان في ايام مار يوسف أودو الجاثليق بطريرك بابل. على الورق ٥٥ نقرأ ما تعريبه (تمت في ٢ نيسان سنة ٢١٦٦ يو- ١٨٤٤م في برزان، على يد القس يعقوب بن القس كانون البرزاني من آل نجار على الورقة ٥٨:

ملاحظة بالكوردية.[٣]

أما مخطوطات دير الأباء للدومينكان بالموصل فهي تضم عدة مخطوطات بالكرشوني للقس داود بن يوخنان بن نيسان كوركو القرداحي البرزاني، ولد داود في قرية تقع على نهر الزاب الكبير قرب بارزان في نهاية القرن الثامن عشر, وبدا عمله في بارزان في استنساخ الكتب، وفي سنة ١٨٢٧م حدث طاعون في منطقة الزيبار امتد الى الموصل حيث هلك المئات من الناس ومن ضمنهم عمه القس حزيران الذي هو الأخر له كتابات بالكرشوني الكوردي تعد الكتابة الأول بالكرشوني الكوردي[٤] حسب علمي. وأهم هذه

(١) فهارس المخطوطات السريانية في العراق مطبوعات المجمع العلمي العراقي, هيئة اللغة السريانية, مطبعة المجمع العلمي العراقي١٩٨١م – ١٤٠١هـ, ج , ص٨.

(٢) فهارس المخطوطات السريانية في العراق, ج , ص٩.

(٣) د.فرست مرعي: بارزان وانحائها في المصادر السريانية, ص٨٥-٨٦

(٤) عزيز عبدالاحد نباتي تاريخ عينكاوة, راجعه وقدم له الاب البير ابونا ٢٠٠٠م ص ٢٣٠.

المخطوطات هي:

١– مديحة القس داؤد البرزاني للتوبة بللغة الكوردية (الكرشوني)

٢– مديحة بالكوردية الكرشونية على الحسد والمحبة والمال وقرب مجيء المسيح .

٣– مدراش (مرثية) على موت ابنه انطوان في قرية كانيفلا في التاسع من آب ١٨٦٥ مسيحية (ميلادية).[١]

كما يجب ان لا ننسى اسهامات الراهب إرميا جبرائيل شامير الذي ولد في قرية عينكاوة عام ١٨٢١ ودخل سلك الرهبنة في دير الربان هرمزد في ٢٣حزيران ١٨٥٩ ثم تركها وعاد اليها ثم تركها نهائياً, وعمل في الموصل مع المستشرق الالماني (أدوارد زاخاو) وترك الكثلكة واعتنق البروتستانتية وبعد عمر مديد توفي في الموصل عام ١٩٠٤ حيث ترك لنا عدة مؤلفات باللغات العربية والسريانية والكوردية.[٢]

وما يهم موضوع بحثنا فقد كتب شامير في سنة ١٨٨٣ معجماً باللغات الثلاثة: سورت (سرياني محكي) عربي، كوردي، وقد قام الباحث الايطالي (بيتا كويني) بنشر قسم من هذه المخطوطة في روما سنة ١٩٧٦.

كما ان لشامير معجم أنكليزي سورث كوردي باللهجة العينكاوية كتبه واكمله سنة ١٨٨٢–١٨٨٣. وقد قام مارك ليوزبارسكي بترجمتها ونشرها, ويذكر الباحث عزيز نباتي ان لشامير مخطوطات باللغة الكوردية.[٣]

مما تقدم يبدو ان لرجال الدين المسيحيين من الكهنة والرهبان اسهامات عديدة في خدمة اللغة الكوردية حرفاً ونحوا ومعجماً, ولكن لم يتسنى مع الاسف الشديد الاطلاع عليها نظراً لأنها مكتوبة في مخطوطات يتعذر الاطلاع عليها ومدونة بالابجدية السريانية التي لا يستطيع الباحثون الكورد الاطلاع عليها وقراءَتها لعدم المامهم بهذه اللغة التي كان لها دور كبير فيما مضى في العصور القديمة والاسلامية.

---

(١) الاب الدكتور بهنام سوني: فهرس مخطوطات دير الاباء الدومنيكان الموصل, منشورات المركز الثقافي الاشوري دهوك, نيسان ٢٠٠٥م, ص ٧٤–٧٥.

(٢) عزيز نباتي :تاريخ عينكاوة, ص ٢٣٤.

(٣) تاريخ عينكاوة, ص٢٣٤.

الارساليات الكاثوليكية

تأثيراتها الثقافية والاجتماعية على

المجتمع الكوردستاني

المقدمة:

عندما فتح السلطان العثماني محمد الفاتح (١٤٥١-١٤٨١) عام ١٤٥٣ مدينة القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية ومقر الكنسية الشرقية العالمية (الارثوذكسية)، وقعت على عاتق الفاتح مهمة صعبة وهي ارساء العلاقات المقبلة منذ البداية بين المسلمين الفاتحين وبين اتباع الكنيسة الشرقية الذين كانوا غريبين عن العثمانيين في الدين واللغة والعادات والتقاليد. وقد استند السلطان في هذا الامر على تعاليم القرآن الكريم وسنة المصطفى (عليه الصلاة والسلام) التي توصي بمنح الحرية الدينية لأهل الكتاب (اليهود والنصارى) أي للذين عندهم كتاب مقدس، والمحافظة على ممتلكاتهم شرط ان يمنحوا ولاءهم للدولة الاسلامية من ناحية ودفع الجزية وغيرها من ناحية اخرى. حيث يشير الى هذه الناحية المستشرق البريطاني الشهير هاملتون جيب بقوله: ((اما عن موقف العثمانيين الاوائل من غير المسلمين من سكان البلدان التي فتحوها قسرا، فيبدو وكأنه ابعد ما يكون عن الموقف الاسلامي المعروف بل انه وهذا من الغرابة بمكان – أشبه ما يكون بموقف المسلمين الاوائل عند فتحهم بلاد الشام اذ عاملوا الكفار من أهل البلاد المفتوحة بانفتاح ذهني لم يتوفر عند من جاء بعدهم من المسلمين))(١).

وكان للارثوذكس بطريركية رئيسية مسكونية في العاصمة العثمانية استنبول وثلاثة بطريركيات اخرى تجرى طقوسها باللغة السلافية فلم يكن بينها وبين الارثوذكسية اليونانية أي خلاف عقائدي، ولكنها نشأت وقامت نتيجة حركات كان بعضها قوميا وبعضها الاخر أسرويا ولذلك صارت مراكزا للمشاعر القومية، ولهذا عندما تهيأت الفرصة للسلطان محمد الفاتح لتقرير سياسة ثابتة تجاه الكنيسة الارثوذكسية بصورة عامة،

---

(١) المجتمع الاسلامي والغرب، ترجمة عبد المجيد القيسي. دار المدى، دمشق، الطبعة الاولى ١٩٩٧،ج ص ٢٤٣-٢٤٤.

وضع جميع رعاياها دون استثناء تحت سلطة البطريركية المسكونية في استنبول. وفي الوقت نفسه عين السلطان (جيناديوس سكولاريوس) لمنصب بطريرك الكنيسة الارثوذكسية الذي كان شاغرا منذ مدة طويلة، وقدم له بيده العصا والبيئة والخاتم وبذلك التزم السلطان المسلم بكل المراسيم التي كانت تتبع في مثل هذه الحالات في عهد الاباطرة البينزنطيين، ورقي البطريرك (جيناديوس) الى باشا ذوي الاطواغ الثلاثي ومنحه لقب (ملت باشي) أي رئيس طائفة وتسلم (براءت وهي وثيقة سطانية تفوضه حكم المسيحيين كافة دون رقيب تقريبا[1].

لم يكن السلطان العثماني على دراية بالاختلافات والمنازعات العقائدية واللاهوتية التي كانت تجري بين الطوائف والكنائس المسيحية، لذا اراد في بداية الامر ان يخضع كل مسيحيي الدولة العثمانية دون تفريق لزعامة البطريرك الارثوذكسي اليوناني، وكان مطران الأرمن (يواكيم) أول من خرج على هذه القاعدة، فقد استطاع اثناء وجوده مع السلطان محمد الفاتح في مدينة بورصة ان يكسب وده بعد انتقاله مع حاشية السلطان الى العاصمة استنبول، استطاع رئس الطائفة الأرمنية ان يحصل على اعتراف من السلطان بمساواته مع البطريرك اليوناني، فعين هذا الاخر بلقب (ملت باش) أو رئيس لجميع المسيحيين غير السلاف.

كما استطاعت الطائفة اليهودية التي وضعت مع المسيحيين غير السلاف تحت وصاية البطريرك الارمني ان تتحرر من تلك الوصاية، وتم تعيين المدعو (موسى كاسبالي) بمنصب (حاخام باشي) ومنحه سلطات مشابهة لسلطة البطريرك الارثوذكسي على أبناء دينه في الدولة، بل ان الحاخام الاكبر منح الاسبقية عل البطريرك في المراسم، وكان في مقامه في بعض الروايات يأتي بعد رئيس العلماء (المسلمين) مباشرة[2].

كنيسة روما والكنائس الشرقية

لقد اتصلت أوربا بالمسلمين لأول مرة منذ الحروب الصليبية أو حملات الفرنجة كما يحلو

---

(١) الكسندر آداموف: ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها. ترجمة الدكتورهاشم صالح التكريتي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، الطبعة الاولى –١٤٢٠ه، ١٩٨٢ ص ١٨٥ – ١٨٦.

(٢) هاملتون جيب وهارولدبوين: المجتمع الاسلامي والغرب ج٢ ص ٢٥١.

للبعض تسميتها (كأن التسمية تغير من نوعيتها)[1]، غير ان تلك العلاقات كانت بعيدة عن السلم في حقيقة الامر، ويذكر أحد الباحثين الروس بهذا الصدد قوله: ((اعتاد العالم المسيحي النظر الى المسلمين نظراته الى اعدائه الالداء، ولم يتورع الباباوات ملهمي حملة الصليب عن استخدام كل الوسائل المتوفرة لهم لتأجيج هذا الحقد ولم يترددوا حتى في اتخاذ اجراءات من امثال منع أي علاقة تجارية مع المسلمين مهددين المخالفين بالحرمان من الكنيسة وبفرض غرامة عليهم تعادل قيمة كل البضائع التي صدّروها الى ديار الاسلام[2].

والحال ان الحياة الدينية والتطور الثقافي لدى الطوائف المسيحية الشرقية سيرتبطان مباشرة بالتاريخ الديني للغرب المسيحي وذلك بسبب ارتباط مصالح الكنيسة الكاثوليكية الرومانية اولا، والكنائس البروتستانية لاحقا بالطوائف المسيحية الشرقية، بمعنى آخر فان مصير الكنائس الشرقية غدا في بعض الحالات متصلا اتصالاً مباشراً ووثيقاً بالعمل الذي يقوم مرسلو الكنائس الغربية (المبشرون – المنصرون) على ارض الشرق.

فوحدة الكنائس في ظل سلطة البابا وطبقا لعقيدة الكنيسة الرومانية وطقسها، كانت الشغل الشاغل والدائم للسياسة البابوية حيال المسيحيين الشرقيين[3].

هذا ما جرى التأكيد عليه في مقررات مجمع فيراري– فلورنسا (١٤٣٨-١٤٤١م) واعتباره المرجعية الاساسية في تشكيل العلاقات ما بين الجانبين. غير أن الظروف السياسية التي كانت سائدة انذاك لم تكن مؤاتية لذا اصاب هذه العلاقات المزيد من التدهور، فا نعقد مجمع في القسطنطينية عام ١٤٨٤م وقرر ان مجمع فلورنسا باطل، فلم تجد البطريركيات الثلاثة الاخرى (اورشليم القدس – والاسكندرية والقسطنطينية) وكذلك الكنيسة الروسية اى صعوبة في الموافقة على القرار، لكن الدوائر البابوية الرومانية لم تيأس جراء ذلك ولم تحد عن الخط الذي رسمته[4].

---

(١) نقولا زيادة: المسيحية والعرب، قدمس للنشر والتوزيع دمشق، الطبعة الثانية ٢٠٠م – ص٢١٠.

(٢) الكسندر اداموف: المرجع السابق ص ١٨٧.

(٣) استيريوس ارجيريو: المسيحيون في العصر العثماني الاول (١٥١٧–١٦٥٠)، ضمن كتاب المسيحية عبر تاريخها في الشرق، مجلس كنائس الشرق الاوسط، بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠٢، ص٦١٨.

(٤) برنار هيبر جيه: تطور الكثلكة في الشرق، ضمن كتاب المسيحية عبر تاريخها في الشرق، مجلس كنائس الشرق الاوسط بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠٢،ص ٦٤٩.

العثمانيون ومنح الامتيازات للكاثوليك

بعد أن تمكن السلطان العثماني سليم الاول (١٥١٢-١٥٢٠م) من ضم غالبية البلاد العربية الى رقعة الدولة العثمانية، فانه اصطدم بواقع جديد هو وجود طوائف مسيحية اخرى غير ارثوذكسية مثل الاقباط في مصر، والسريان في الشام، والنساطرة في العراق وكوردستان، لذا بدأ لأول وهلة بأن على الدولة ان تفكر في إيجاد آليات جديدة للتعامل مع هذه الكنائس المسيحية غير الخلقدونية التي تعتبرها الارثوذكسية كنائس هرطقية أي اصحاب بدعة[1]، وبعد الوفاة السريعة للسلطان سليم حل ابنه في الحكم وهو السلطان سليمان الذي يطلق عليه المؤرخون عدة القاب وصفات منها العظيم والقانوني، وهو الذي وافق دون تردد على عقد حلف دفاعي وهجومي مع الملك الفرنسي (فرانسو الاول)، حيث كان الاخير قد دخل في صراع غير متكافيء مع الملك الاسباني شارك الخامس الذي استطاع ان يوحد نصف اوروبا تحت سيطرته واستطاع ان يلحق الهزيمة بخصمه (فرانسو الاول) في معركة بافيام واسره والقاه.في السجن[2].

ودخل هذا الحلف في التاريخ تحت اسم (حلف الزئبق المدنس مع الهلال) كما يسميه خصوم فرانسو الاول السياسيون، وأثاروا عاصفة شديدة من الغضب في اوروبا. لذلك تحت هذا الضغط من الهجوم وهذه الاتهامات، قرر فرنسوا الاول ان يزكي نفسه امام العالم المسيحي ويتخذ دور المدافع عن المسيحيين في ممتلكات السلطان، وهكذا استطاع المبعوث الرسمي للملك الفرنسي في سنة ١٥٣٥م ان يحصل من السلطان سليمان القانوني على أاول وثيقة مكتوبة كانت فاتحة لما يسمى بالامتيازات (Capitulation)، إن كبرياء وغطرسة السلاطين العثمانيين الذين كانوا آنذاك في اوج قوتهم على حد تعبير احد المؤرخين الاوربين لم تكن تسمح لهم بأن يربطوا انفسهم بالتزامات ثنائية مع الكفار، لذا فان الوثيقة المذكورة لم تكن على شكل معاهدة وانما كانت عبارة عن مرسوم سلطاني منح فرنسا حقوقا وافضليات معينة في الامبراطورية العثمانية، ومن هذه الحقوق:

---

(١) هاملتون جب: المرجع السابق، ص ٢٦٣.

(٢) عبدالعزيز نوار: تاريخ العراق الحديث / ص ٢٨٣.

١– اقامة المحاكم القومية

٢– حرية التجارة

٣– حرية الدين وممارسة الشعائر الدينية على أن يشمل هذا الحق جميع رجال الدين الذين يعتنقون المذهب (الفرنسي) مهما كانت القومية التي يتنمون اليها.

٤–حرية التجارة للأمم الاوروبية الأخرى ولكن تحت العلم الفرنسي فقط[١].

واذا كانت فرنسا في مقدمة الدول الاوربية التي منحت لها هذه الامتيازات، فان بقية الدول لاسيما العظمى منها حصلت هي الاخرى وفي فترات مختلفة على امتيازات مشابهة، التي واتسمت خلال فترة انحطاط الدولة العثمانية بكونها امتيازات مذلة للعثمانين واصبحت تشكل مصدر نفوذ للدول الغربية الطامعة بها، وسببا في اشتداد انحدار دولتهم ثم سقوطها وهكذا ظلت فرنسا المحامي الوحيد لرعايا السلطان الكاثوليك حتى مؤتمر باريس ١٨٥٦ الذي طرحت فيه أول مرة قضية تدخل الدول بصورة جماعية لصالح الرعايا المسيحيين في الدولة العثمانية، ثم دخل هذا المبدأ في الممارسة الدولية نهائيا عن طريق مؤتمر برلين (١٨٧٨م) الذي ساوى بين الدول الكاثوليكية والبروتستانتية في حقوق الحماية الدينية[٢].

وصول الارساليات الكاثوليكية الى كوردستان:

لقد كانت للقرارات التي اصدرها المجمع التريدانتيني (١٥٤٥–١٥٦٣) وقوة شخصية بعض البابوات، كالبابا كريكوري الثامن (١٥٧٢–١٥٨٥)، وانشاء الرهبانية اليسوعية (١٥٤٠م)، وتأسيس البابا كريكورى لمجمع التبشير بالايمان (The Collge for the propagation of he Faith) من قبل الكنيسة الكاثوليكية ١٦٢٢م الذي اشتهر في التاريخ الكنسي باسم (Propaganda)، فضلا عن الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية لفرنسا، وانشاء مدارس متخصصة في روما مخصصة للطلاب الشرقيين، وتأليف الكتب الدينية الكاثوليكية ونقلها الى لغات الشعوب المسيحية في مختلف المناطق (كاليونانية والعربية والقبطية والسريانية والأرمنية والكوردية في التعليم، والتبشير (التنصير)، ناهيك عن اساليب متعددة لاتمت الى هذه الامور بصلة كالدسائس والسعايات والتدخل

---

(١) الكسندراداموف: المرجع السابق ص ١٨٩–١٩٠.

(٢) استير يوس أرجير يو – المسيحيون في العصر العثماني الاول، ص ٦١٩–٦٢٠.

في شؤون الكنائس الداخلية واستخدام النفوذ الاجنبي أو العثماني، كل هذا بغية احداث انقلاب في الاوضاع يكون لغير مصلحة كبار الاحبار المشاكسين على حد تعبير الباحث الكنسي الفرنسي (أستيرويوس أرجيريو). ولكن من جانب اخر اتى هذا العمل (ارسال المرسلين الى الشرق) مفيدا للطوائف المسيحية الخاضعة للعثمانيين والمفتقرة الى الوسائل الضرورية لتأمين تنشئه ثقافية ودينية وروحية، فلقد ساهم اذن المرسلون بطريقتهم في اعادة إذكاء الايمان المسيحي لدى المسيحيين ورفع المستوى الروحي عندهم الى جانب التطور الثقافي فكان تقابل صنيعهم هذا بالشكر والامتنان كلما ادوه بتبصر ودقة. ويكثير من العداء وردات الفعل العنيفة والمواقف المناهضة والاتهامات بشق وحدة الكنيسة والتدخل في شؤونها اذا كان تحرك هؤلاء المرسلين ناجماً عن هوى وتعصب ورغبة تبشيرية عمياء من ناحية اخرى(١).

لذا بدأت الارساليات الكاثوليكية تتوافد على منطقة الشرق الادنى ومن ضمنها كوردستان،فوصل اليسوعيون والفرنسيسكان والاوغسطينيون والكبوشيون واللعازريون والدومنيكان.

ويخوص كوردستان يذكر أحد الباحثين الدومنيكان:- (في سنة ١٥٥١م) قامت ردة فعل على عادة ذميمة شقت طريقهاعام ١٤٨٠م عند (النساطرة) وهي تسليم البطريركية بالوراثة من العم الى ابن اخيه فرفض ثلاثة اساقفة وبعض المؤمنين البطريرك الوراث المعين، واجتمعوا في الموصل وأختاروا مكانه رئيس دير الربان هرمز ("سولاقا)، وهو يميل الى الاتحاد مع روما. فذهب البطريرك الجديد يرافقه وفد من الموالين الى القدس ثم الى روما حيث انتهوا في ١٥ تشرين الثاني ١٥٥٢م. في ٢٠ شباط من السنة التالية اعلن سولاقا إيمانه الكاثوليكي فسلمه البابا (جوليانس الثالث) درع البطريركية في ٢٨ نيسان (١٥٥٣م)، وعاد أول البطاركة الكلدان) الى الشرق برفقة اثنين من الرهبان الدومنيكين المالطيين، أمبروسيوس بودجاج، وأنطونيوس زهرة الذي أصبح فيما بعد مطراناً. وإتخذ البطريرك اسم شمعون وجعل مقره في آمد(دياربكر) حيث وصل اليها في ١٢ تشرين الثاني ١٥٥٣م.

وما كاد البطريرك الجديد يرسم خمسة مطارين حتى وشي به خصمه شمعون الثامن دنخا(١٥٥١-١٥٥٨م) بطريرك القوش النسطوري، فسجنه باشا العمادية مدة ثم قتل

(١) استيريوس أرجير يو - المسيحيون في العصر العثماني الاول، ص ٦١٩-٦٢٠.

فيما بعد في كانون الثاني سنة ١٥٥٥م في إحدى البحيرات الواقعة جنوب شرق مدينة العمادية بالقرب من دير مار ساوه (قرية ديرش). غير ان باحثا اخر يأتي بوجهة نظر اخرى متهما فيها الكنيسة الكاثوليكية بزعامة روما بأنها بدأت محاولاتها لشق كنيسة المشرق في اواسط القرن السادس عشر اعتزانته مع بداية ظهور الحملات الاستعمارية القديمة، أي انه بعبارة اخرى يربط التبشير المسيحي بالاستعمار حيث يستند الى قول للكارديتال (الكاثوليكي) أوجين تيسران قوله: ((أوائل البعثات التبشيرية صاحبت الحملات الاستعمارية البرتغالية الاسبانية))، ويخصوص حادثة المطران سولاقا فانه يتهم روما مباشرة بانها قامت بهذا العمل لإكمال مشروع تقسيم كنيسة المشرق وان طلائعها من المبشرين الفرنسيسكان استطاعت إغواء الراهب المذكور (سولاقا) رغم معرفتهم بان بطريرك كنيسة المشرق حي يرزق وان كنيسة المشرق قد بلغ بها الضعف مبلغا كبيرا بعد المجازر التي لحقت بها على يد المغول وتيمورلنك لذلك فان المبشرين الكاثوليك لمسوا بأنفسهم مقدار ضعفها عندما لم يستطيعوا إيجاد ثلاثة مطارنة محليين لسيامة سولاقا بطريركاً خاضعا لهم فكان ان نقلوه الى روما، ورغم تنصيبه من قبل البابا فان الخط التي جاهدت روما لخلقه كان ضعيفاً وهزيلا وانتهى كالوميض. ومما تجدر الإشارة اليه ان الارساليات اللاتينية إستطاعت اقناع قسم من السريان الشرقيين (النساطرة) اللاجئين الى جزيرة قبرص بالاتحاد مع الكنيسة الكاثوليكية، فأقر اسقفهم طيمثاوس ايمانه الكاثوليكي بين يدي اندراوس رئيس اساقفة رودس الدومنيكي، وكان على اثرها اعترف البابا اوجيس الرابع (١٤٣٩-١٤٤٧) بالفريق الجديد، مطلقاً عليهم اسم (الكلدان) تذكيراً بكلدو القديمة حيث اسس كرسي مار مارى على حد تعبير فييه.

" الارسالية الكبوشية:

اولاً: في سنة ١٦٣٦م تأسست رسالة كبوشية في الموصل لجذب النساطرة الى كنيسة روما، وسرعان ما أفلحت هذه الرسالة في تكوين نواة كاثوليكية في الموصل. وتمكن الكبوشيون من اقناع الجاثليق (مارايليا التاسع) بارسال صورة إيمانه الى البابا أنوجنسيوس العاشر(١٦٤٤-١٦٦٠م) سنة ١٦٥٧ طالبا من قداسته الوحدة مع الابقاء على طقوس وصلوات كنيسته، وطالباً لطائفته اقامة كنيسة في روما(١).

---

(١) القس بطرس نصري الكلداني: كتاب ذخيرة الاذهان، الموصل، دير الاباء الدومنيكيين ١٩١٣، ج٢ ص ٣٤.

ومن جانب اخر فان مجمع بروبغندا (مجمع التبشير بالايمان) قد أرسل سنة ١٦٦٣ مرسلين اجانب رهبانيات مختلفة الى بلاد الشرق، ومن بينهم رسالة الكبوشيين الى آمد (دياربكر) وماردين.

وقد نشر الأباتي شموئيل جميل التلكيفي رئيس الرهبانية الهرمزدية في كتابه الموسوم (العلاقات بين الكرسي الرسولي والسريان المشارقة اى الكنيسة الكلدانية) قسما من المراسلات التي كانت تجري بين كنيسة روما وبين المرسلين وجثالقة كنيسة المشرق، وهناك شيء ملفت للنظر وهو ان الأباتي شموئيل جميل التلكيفي ذكر في احدى الرسائل التي نشرها نقلا من الملفات العائدة لكلية (بروبغندا) معلومات مهمة عن المدعو (بطرس جيسى) الملقب بالفارسي وهو كوردي من والدين مسلمين من اهالي العمادية وقد دخل في المسيحية،حيث تذكر سجل حوليات كلية بروبغندا في المجلد الاول لمجموعة الوثائق لسنة ١٦٣٣–١٧٥٣ في الورقة ما يأتي (ان بطرس جيسي الفارسي من مدينة العمادية قبل في الكلية (بروبغندا) في ١٧ أب ١٦٤٧ وله من العمر آنذاك ما يقارب ٢٤ سنة وذلك بترشيح من قبل الكوردينال بربرينو وبقرار المجمع في ٣ حزيران من عين السنة، وهو من والدين مسلمين وأدعى انه مدعو من الله أن يأتي الى روما ليصبح مسيحيا سنة ١٦٤١، وفي ٧ ايلول ١٦٤٢ عمّده المونسيور (سكنارولا) في كنيسة سيدة الجبال،فان أشبينه السيد التقي الكونت جيسي الفرنسي ابن سفير الملك (الفرنسي) في القسطنطينية (استنبول)).

رجع الاب بطرس جيسي بعد رسامته الكهنوتية الى بلاده (كوردستان) وعمل كثيرا في الرسالات والمواعظ وخصوصا في مدينة آمد (دياربكر)، حيث يبدو ان مجيئه الى مسقط رأسه في العمادية ربما سيشير مشاكل كانت الكنيسة آنذاك في غنى عنها. مهما يكن من أمر فإنه كانه غيورا على نشر الايمان الكاثوليكي والدفاع عنه ضد النساطرة الذين كانوا لايزالون هم الاكثر عدداً بين اتباع كنيسة المشرق[1].

مكث الاب بطرس جيسي عدة سنوات في آمد ثم ذهب الى قصبة القوش للقاء البطريرك (مار ابليا الثامن (١٦١٧–١٦٦٠) الذي سر بقدومه وراه غيوراً على الايمان ويكن محبة عميقة للكنيسة ووحدتها مع جميع الكنائيس وخصوصا كنيسة روما التي عاش بها فترة وتعلم اللغة الايطالية وتعرف على المسؤولين في الدوائر الرومانية ، لذا اختاره للذهاب الى

---

(١) القس بطرس نصري الكلداني: كتاب ذخيرة الاذهان، الموصل، دير الاباء الدومنيكيين ١٩١٣، ج٢ ص ٣٤.

روما برفقة اثنين من رجال الدين وهما الاب مرقس والشماس طيمثاوس لإطلاع المسوؤلين في روما على حالة المسيحين في بلاد الشرق وقد كتب البطريرك رسالة بهذا الخصوص الى مجمع التبشير بالايمان (البروبغندا) جاء فيها: (أرسل الى روما عندكم تلميذكم الاب بطرس جيسي، فإنا احببناه لأنه تلميذكم ونرجو ان يكون وسيطا بيننا وبينكم وهو مطلع على كتبنا وعارف جيدا نظام طقوسنا التي نقوم بها يوميا، أرجو منكم ان لا تعتمدوا على كل من يقول لكم انه مرسل من قبلنا ولكنه بالواقع ليس كذلك) وفي تعقيبه على هذه الرسالة يقول الاب بطا الكبوشي مسؤول رسالة الكبوشيين في كوردستان في رسالته الى مجمع البرويغندا) (ان البطريرك ارسل الاب بطرس جيسي مع شخصين آخرين وهويعرف اللغة لكي يرى ماذا يمكن القيام به لمجد الله وخلاص نفوس كثيرة)(١).

بخصوص ماتبقى من حياة بطرس جيس الفارسي العمادي فان حوليات البروبغندا تشير فقط الى انه استشهد في الحبشة من اجل الايمان الكاثوليكي سنة ١٦٨٠م.

يبدو ان بطرس جيسي العمادي أصبح ضحية نشر الكاثوليكية في بلاد الحبشة الذين كانوا يتبعون الطقس السرياني الارثوذكسي: ففي سنة ١٦٢٢ نجح الرهبان اليسوعيون في حمل امبراطور الحبشة (سوسانيوس) على التنصر واستحصلوا من البابا قراراً على تعيين بطريرك لاتيني على الحبشة، لكن الجهود المفرطة التي بذلوها في سبيل ليتنة الحبشة (أي جعلها لاتينية) تسبب بعد حوالي عشر سنوات بردود فعل عنيفة من قبل خليفته الأمبراطور سوسيانوس، فاسيلادوس (١٦٣٢-١٦٦٧) الذي امر بقتل وطرد كل المرسلين وقطع العلاقات مع روما، وهكذا اصبح الاب بطرس الكوردي العمادي الذي كان مسلما ضحية لنشر الكثلكة في الحبشة البعيدة جدا عن موطنه كوردستان.

" ثانيا: الرسالة الدومنيكية

عندما فشل مسيحيو الموصل من الكاثوليك في اعادة فتح الارسالية الكبوشية التي غادرت الموصل عام (١٧٢٤)، التمس القس خضر الكلدان الموصلي المقيم في روما آنذاك هربا من بطريك النساطرة من البابا (بندكتس الرابع عشر) بفتح دار لهم في هذه المدينة، وبعد تردد طلب البابا من الدومنيكان تجديد نشاطهم في بلاد مابين النهرين وكوردستان، فتأسست الرسالة في عام ١٧٤٨، وفي ١٧ كانون الثاني عام ١٧٥٠ وصل

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣٥٠.

المرسلان الايطاليان فرنسيس طورياني (Tarri ani) وعبدالاحد كوديلجيني) واضيف اليهما بصورة مؤقتة الكرملي لياندرو للقديسة سيسيليا لمعرفته اللغة العربية والاماكن في بلاد ما بين النهرين، وعملت هذه الرسالة في ظروف متباينة حتى سنة ١٨١٥، حيث تركت ردحاً من الزمن ثم استعيدت سنة ١٨٤٠م، وتغير المرسلون سنة ١٨٥٩ من ايطاليين الى فرنسيين.

وقد استعان هذان المرسلان بمهمتهما الطبية فنالا النجاح في مهمتهما الدينية، لاسيما وانهم تمتعوا بتأييد كاثوليك الموصل، ولما بلغ الخبر مسامع بهرام باشا الاول بن سعيد خان بك الثاني امير بهدينان (١٧١٤-١٧٦٨م) وكان مريضا، فأرسل في طلب الاب الطبيب فرنسيس توريانى لمعالجته، فلما نجح الاخير في مهمته سمح الامير بهرام بفتح فرع للارسالية الدومنيكانية في العمادية في سنة ١٧٥٩م والتي اصبح اول رئيس عليها الاب (دونيك كلوديليو)[١].

وبعد وفاة الاب عبدالاحد كوديليو، تولى (الاب ايبولدو صولديني) ولما كان حاذقاً في الامور الهندسية والطبية فقد نال احترام الامير بهرام باشا، حيث منح الدومنيكان دير (كنيسة عبد يشوع) في قرية ديرى الواقعة على بعد عدة كيلومترات شمال شرق العمادية، كما ان الامير حث النساطرة السكان الاصليون للمنطقة على اعتناق المذهب الكاثوليكي. وقد توفى الاب ايبولدو في زاخو سنة ١٧٧٥ ودفن فيها، وهو المرسل الاول الى العمادية، وفي سنة ١٨٤٠ بعد عودة الارسالية الدومنيكانية الى كوردستان،قام الاب (اسكا فهوسر) وزميله (اوغسطين) بفتح فرع للارسالية في ديرماريا قو الواقعة غرب دهوك سنة ١٨٤١ وبنو فيها كنيسة، وفي سنة ١٩٤٢ بنوا مدرسة فيها والتي اصبحت مركز اشعاع فكري في المنطقة بأجملها فكان يقصدها طلاب من القرى المسيحية مثل آرادن ومانكيش وبيرسفى وآشيتا وفيشخابور وبيدار، كما تم بناء قسم داخلي لإيواء الطلاب القادمين من القرى البعيدة، وكان للدير مكتبة كبيرة تضم آلاف الكتب. وفضلا عن ذلك فان الدير كان يستقبل المرضى من ابناء المنطقة من كافة الاديان مجانا وقد اغلقت هذه الارسالية سنة ١٩٦١ بعيد إندلاع الثورة الكوردية التي قادها الزعيم ملا مصطفى البارزاني[٢].

---

(١) م. ابراهيم: الدومنيكون – نشأتهم – ارسالياتهم ودورهم الانساني والثقافي والعلمي، البلاد، مجلة الصوت الكلدني العدد ٤ سنة ١٩٩٩، ص ٤٥-٤٦.

(٢) جميل برنادوس: دير قرية مارقو، مجلة الصوت الكلداني العدد ٢ سنة ١٩٩٨، ص١٢-١٣.

تأثير الرسالة الدومنيكانية على البنية

الاجتماعية والفكرية للمجتمع الكوردستاني

لقد ساهمت هذه الرسالة كثيرا في التعريف بكردستان وسكانه، لأن المرسلين الذين عملوا هناك وضعوا تأليف ذات فوائد كبيرة. وقد امتاز من بينهم الاباء لانزا، غارتروزني، وكمبانيلي الذي وضع أول قواعد ومعجم باللغة الكوردية في روما سنة ١٧٨٧ واعترف فيها لاول مرة باصالة اللغة الكوردية على اساس علمي، بحيث ان مؤلفه استحق لقب (أب الكوردية The pipher Kardish gram maroan Padre della courdologia) كما دعي رائد القواعد الكوردية، ويلاحظ الباحث الايطالي (بريداري Predari) انه لم يفكر احد بين العلماء الاوروبين المستشرقين قبله باللغة الكوردية. كما ان المعجم الذي ألفه في السنوات ١٧٦٤- ١٧٧٥ يشتمل على ٤٦٠٠ لفظة وتدخل فيه عناصر القواعد الكوردية وفق منهج تقريبي[(١)].

ويميز المؤلف في اللغة الكوردية خمس لهجات وفق الامارات الكوردية: كاراجولان(قهلاجولان - العمادية، جوله ميرك، الجزيرة (جزيرة بوتان)، تبليس، وهو يستخدم في معجمه لغة العمادية لانه عاش فترة طويلة فيها وهو المرسل الثاني فيها بعد صولديني، فضلا عن ذلك فانه يعتبر لهجة العمادية هي الاكثر نقاءً[(٢)].

كما لايمكن نسيان مؤلفات (كمبانيلي Campanile) وغيرهم الذين وصفوا في مؤلفاتهم بشكل مفصل لغة المجتمع الكوردي والبنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتركوا وثائق ثمينة لتفهم المجتمع الكوردي، فضلا عن ملاحظات وانطباعات حول عادات وتقاليد الديانات السائدة في كوردستان من إسلامية ومسيحية ويهودية ويزيدية وغيرها.

ويعلق الباحث والكنسي العراقي يوسف حبي على طروحات هؤلاء الرحالة الايطاليين بقوله: (ان هؤلاء الرهبان كانوا يرسمون عادة النواحي السلبية والغريبة للمجتمع

---

(١) يوسف حبي: التراث الكردي في مؤلفات الايطاليين، مجلة المجمع العلمي العراقي الهيئة الكردية العدد الثامن سنة ١٩٨١، ص ٢٧٤،٢٤٠.

(٢) يوسف حبي: المرجع السابق، ص ٦٧-٢٧٧.

الكوردي، كما كانت تبدو في اعينهم، بينما كان الرحالة من العلمانيين وذوي الافكار التحررية امثال ديلا فالي ددي بيانكى Della Valle , De Biahchi يقيمون النواحي الايجابية والخصوصيات المهمة وذلك بكل اهتمام مع تقبل لما عليه الأكراد دون محاولة تغيير او تشويه في مجرى حياتهم اوالمساس بالاسس الخلفية والثقافية والحاشية التي يرتكز عليها محبتهم(١).

وعلينا ان نفتش بين المرسلين في الرسالة الدومينيكية عن الشيخ منصور، فهو ايطالي كان له تأثير كبير في اواخر القرن الثامن عشر. وقد عرف باسم (الشيخ) بعد اعتناقه الاسلام، وقاد عشرة الالف كوردي واستولى في الفترة الواقعة بين سنة ١٧٨٥ و١٧٩٠ على بدليس وسعرد وارضروم، ومضى حتى القوقان، حيث اخضع قواما عديدة لسيطرته، وقد اغاظت انتصاراته هذه الروس الذين ارسلوا قوات كبيرة لمحاربته والقضاء على حركته، ولكنه رغم ذلك استطاع ان يحقق عدة انتصارات بقواته الكوردية على الجيش الروسي ولكن في الاخير استطاع الروس دحره رغم اسره وسجنه في دير اركانجيل حيث توفي بعد عشرين سنة في الحبس(٢).

اما الإرساليات الايطالية التي عملت في مدن اخرى من كوردستان. كما في ديار بكر ووان , فانها لم تقدم أية مساهمة ذات أهمية على الصعيد الادبي(٣).

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٤٠ – ٢٤١.

(٢) يوسف حبي: المرجع السابق.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٤١.

دولة كوردية..

مقابل حرية التبشير

أثارت زيارة الزعيمين الكورديين جلال الطالباني ومسعود البارزاني إلى الولايات المتحدة وأوروبا والفاتيكان في الآونة الأخيرة العديد من التساؤلات أمام المراقبين والباحثين العرب والترك والإيرانيين حول المغزى منها وجدواها على الصعيدين الإقليمي والدولي. فلأول مرة في التاريخ المعاصر يتبوأ كوردي منصب رئيس الجمهورية العراقية. ولأول مرة يحصل الكورد على الفيدرالية ضمن العراق بطريقة دستورية, ويتبوأ مسعود البارزاني نجل الزعيم الكوردي الراحل ملا مصطفى البارزاني منصب رئاسة إقليم كوردستان. حيث كانت الأمور تجري في السابق بنسق آخر وهو أن يستقبل أحد كبار موظفي وزارات الخارجية في أمريكا وأوروبا للزعماء الكورد أثناء تردّدهم عليها بقصد شرح معاناة الكورد ومحاولة الحصول على دعمهم في حل المسألة الكوردية.

نعم من حق الكوردي أن يتبوأ أي منصب في العراق لأنه قبل كل شيء مواطن عراقي مثله في ذلك مثل العربي، نعم العرب يشكلون الغالبية من سكان العراق ولا يختلف في ذلك اثنان، ولكن للكرد الحق في العيش ضمن ذلك الوطن بكل عزة ورفعة لأنهم القومية الرئيسية الثانية، ولأن إقليم كوردستان (ولاية الموصل) الحق بالعراق العربي في معاهدة ١٩٢٦م على أساس الاعتراف بإقامة فيدرالية كوردية ضمن العراق، لذلك ينظر البعض إلى الكورد على أساس انهم أقلية قومية مثلهم في ذلك مثل بقية الأقليات القومية من التركمان والكلدان والآشوريين والصابئة، ولكن الدستور العراقي الذي صدر في عام ١٩٥٨م أوضح هذه النقطة بكل جلاء بقوله أن العرب والكورد شركاء في هذا الوطن. إذن يتبع هذه الشراكة تبادل الأدوار من جميع النواحي بما فيها السلطة السياسية.

قد ينظر البعض إلى الزيارة التي كان الزعيمان الكورديان يجرونها بصورة متوازية على أساس أن مقدرات العراق ذي الأكثرية العربية قد وقعت بيد كورديين اثنين وان العروبة في العراق مصيرها إلى مجهول لذلك أرادوا بقصد أو بغير قصد إلصاق التهم والشبهات على اقل تقدير بهذه الزيارات واللقاءات المثمرة وتحديدا زيارة الرئيس الطالباني إلى إيطاليا ولقائه مع بابا الفاتيكان بنيديكت السادس عشر رئيس الطائفة الكاثوليكية في العالم, لقد اتهمت صحيفة المدار العراقية في عددها (٩٨) في

١/١٢/٢٠٠٥ بقلم كاتب عراقي، الرئيس الطالباني من خلال الإشارة إلى أسرار هذه الزيارة بالقول ((فمن هذا المنطلق جاء جلال الطالباني طالبا مباركة البابا حول قيام (دويلة) الكيان الكوردي في شمال العراق، لا سيما أن البابا الجديد يختلف اختلافا جذريا عن البابا السابق، حيث البابا الجديد كان عسكريا متشددا في شبابه، ومن ثم يميل كثيرا نحو السياسة، ونحو إسرائيل تحديدا، وتمضي الصحيفة العربية إلى القول: سيجتمع الطالباني مع زعيم الفاتيكان في ١٠/١١/٢٠٠٥ وكان الأمر عاديا, ولكن الأمر اكبر من الزيارة واكبر من البروتوكول حيث اصطحب جلال الطالباني حوالي ١٨ أسقفا عراقيا وسيعقد هؤلاء اجتماعات سرية مدة خمسة أيام في مكان عالي السرية وهذا ما أكدته وكالة أوروبا بريس الأسبانية. لذا تعتقد هذه الصحيفة بأن هذه الاجتماعات السرية لها علاقة مباشرة بإعلان الكيان الكوردي دويلة مستقلة، مقابل دعم الأكراد في المنطقة الشمالية وفي المركز بحكم مراكزهم الحساسة في المركز للحملات التبشيرية (التنصيرية) التي سيدعمها بابا الفاتيكان والكنيسة وكذلك سيدعمون تأسيس المدارس والمراكز المسيحية التبشيرية في أنحاء العراق, علما أن هذه المراكز والمراكز تنتشر على نطاق واسع في المنطقة الشمالية الكوردية , ويدعم الحزبين الكورديين منذ ما قبل الحرب على العراق)).

وقبل الرد على هذه المزاعم التي كثيرا ما تلصق بالقيادات الكوردية حتى وان كانت تقود العراق, لابد من الرجوع إلى الوراء قليلا لنرى أن نظام صدام حسين كانت لديه علاقات جيدة جدا بالكرسي البابوي وان عراب هذه العلاقات كان رئيس الطائفة الكلدانية البطريرك مار روفائيل بيداويد الأول, فضلا عن ذلك أن صدام حسين تبرع بمبلغ مليون دينار عراقي (أكثر من ثلاثة ملايين دولار) في نهاية السبعينات لبناء كنيسة كلدانية كبيرة في بيروت (كاتدرائية), وانه تبرع بمبالغ أخرى كبيرة لبناء كنائس وكاتدرائيات عملاقة في داخل العراق وخارجه, فضلا عن إسناد مناصب حساسة في الدولة العراقية إلى طارق عزيز وغيره من المسيحيين العراقيين والعرب كعبد المجيد الرافعي مسؤول حزب البعث العراقي في لبنان وإلياس فرح السوري الاصل منظر حزب البعث في العراق وناصيف عواد الفلسطيني رئيس تحرير مجلة الطليعة المالية للعراق في عقد الثمانيات من القرن العشرين وغيرهم ولم يتهم من قبل الصحافة العربية بالتملق للمسيحيين أو إنجاح المشروع التنصيري الغربي حول دق إسفين بين العرب والكورد في كل من العراق وسوريا التي كان يحكمها حزب البعث الذي أسسه المسيحي الأرثوذكسي ميشيل عفلق .

من جهة أخرى فان الباحث في المسيحية يرى أن هناك خلافات عميقة أصولية (عقائدية) بين الكنائس المسيحية الرئيسية الثلاثة: الكاثوليكية المنتشرة في ايطاليا وفرنسا واسبانيا ودول امريكا اللاتينية وغيرها والتي يتزعمها بابا الفاتيكان, والبروتستانتية المنتشرة في أمريكا وبريطانيا وألمانيا وكندا والدول الاسكندنافية, والارثوذكسية المنتشرة في روسيا وصربيا وبلغاريا واليونان, فالمسألة التي أشارت إليها الصحيفة العربية (المدار) كيف يعقل أن تتعاون الكنيسة البابوية مع الكنائس الإنجيلية في إنشاء دولة كوردية وليست دويلة "حيث للكرد الحق في تقرير المصير وإنشاء دولتهم بإعتبارهم اكبر قومية في العالم لا توجد لهم دولة".

لذلك لا توجد أي علاقة بين النشاط الذي تقوم به الكنيسة الإنجيلية في كوردستان وبين الكنائس الكلدانية والسريانية الكاثوليكية المرتبطة بالكرسي البابوي في روما, بل يغلب عليها طابع الجفاء والخصومة إلى حد ما. فالكنائس الإنجيلية التي تنتمي إلى الطائفة البروتستانتية تعد بقية الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية وكنائس المشرق القديمة كنائس طقسية تهتم بالشكليات ولا يهمها المضمون, أي بعبارة أخرى أنها تهتم بعبادة القديسين ومريم وتنسى الإله الحق بنظر الإنجيليين الذي هو نبي الله عيسى (عليه السلام)، بجانب أن هؤلاء الإنجيليون لا يعيرون أهمية للصلوات الطقسية والعشاء الرباني (الأسرار السبعة).

كما أن الكنائس المحلية في العراق ويضمنها كوردستان تتهم هؤلاء الإنجيليين بأنهم يحاولون التبشير بين المسلمين والمسيحيين المحليين من اجل تفرقة الصفوف وإضعاف جانب المسيحيين الوطنيين الذين عاشوا مئات السنين في ود ووئام وسلام مع المسلمين.

لذلك فإن اتهام الصحيفة للرئيس الطالباني باصطحاب الأساقفة ورؤساء الكنائس المحلية يصب في مصلحة تعزيز الوحدة العراقية باعتبارهم يقفون في وجه هؤلاء الإرساليات البروتستانتية – الإنجيلية القادمة من أمريكا وأوروبا الغربية بقصد تمزيق النسيج المسيحي أولا والنسيج العراقي ثانيا, لأن هناك تنافساً شديداً بين القوى الانكلوسكسونية التي تنتمى عقائدياً الى الكنيسة البروتستانية وبين القوى الفرانكفونية التي تتمى عقائدياً الى الكنيسة الكاثوليكية وعلى هذا الأساس فان الرئيس الطالباني اصطحب هؤلاء الأساقفة لتعزيز أواصر الحوار الإسلامي المسيحي أولا ومن ثم الطلب من البابا باعتباره اكبر زعيم ديني للمسيحيين في العالم بدعوة المسيحيين المغتربين

العراقيين إلى العودة إلى بلادهم والمشاركة في بنائه من جديد ولإسكات الأصوات التي تصدر من بعض التيارات المسيحية حول وجود اضطهادات للمسيحيين في كوردستان العراق وانه تمت السيطرة على قراهم وعلى أراضيهم الزراعية وعقاراتهم في المدن من قبل الكورد, وان الكثيرين من المسيحيين من سياسيين وغيرهم قد قتلوا على يد الكورد, لذلك فان مهمة الرئيسين الطالباني والبارزاني إلى الفاتيكان تصب في هذا الاتجاه, وليس من المعقول أن يقوم جلال الطالباني وهو رئيس الجمهورية العراقية المنتخب بالدعوة إلى تجزئة العراق وإنشاء دويلة كوردية حسب الصحيفة العربية على جزء من كوردستان العراق وهو ردّد القسم بالحفاظ على وحدة العراق وسلامة أراضيه.

أما بشأن وجود نشاط للإنجيليين في كوردستان العراق فهذا لم ينفيه أحد, حيث لهم تواجد في المحافظات الكوردية الثلاث دهوك وأربيل والسليمانية, من خلال وجود كنائس إنجيلية مرتبطة بها بجانب مكتبات متخصصة لبيع الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) وغيرها من كتب التنصير التي تعود في معظمها إلى مؤلفين أمريكيين مترجمة بواسطة إنجيليين عرب من المصريين واللبنانيين, فضلا عن وجود كتب إنجيلية مترجمة باللغة الكوردية باللهجتين الكرمانجية الشماليّة (البهدينانية) والكرمانجية الجنوبية (السورانية), كما توجد مدارس أمريكية ثلاث في كل محافظة كوردية، بالاضافة الى جامعة امريكية في مدينة السليمانية مهمتها: إنشاء جيل كوردي جديد مبني على أسس الليبرالية والانفتاح والحداثة وحوار الأديان وتقبل الرأي الآخر, بجانب وجود دروس في الكتاب المقدس ودراسة تاريخ الكورد من وجهة نظر الكنيسة, أي بعبارة أخرى إن نشاط الكنائس الإنجيلية في كوردستان العراق يشبه إلى حدٍ ما نشاطهم في منتصف القرن التاسع عشر في إنشاء الجامعة الأمريكية في بلاد الشام وتحديداً ببيروت التي سبقتها الكلية الإنجيلية السورية حتى يتخرج جيل كوردي جديد يبني قيمه على ركائز الحضارة الغربية الحديثة (الديمقراطية والليبرالية وحرية السوق). التي تتعارض في بعض ركائزها مع أسس ومرتكزات الفكر الاسلامي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الكثير من المطبوعات الإنجيلية تصل إلى كوردستان قادمة من مراكز الإنجيليين الرئيسية في عمان والقاهرة وبيروت, أي أن كثير من مراجعهم وكتابهم من أصول عربية وتحديداً من مصر (كنيسة الدوبارة) ولبنان حيث للانجيليين نشاط واسع فيهما في مجال التأليف والترجمة والقاء المحاضرات في النوادي والمحافل

والفضائيات التي تستقر قسم من محطاتها في قبرص. فلماذا الحملة على كوردستان والكورد فقط؟.

فنشاط الكنائس الإنجيلية والكاثوليكية بشتى فئاتها من يسوعيين وكبوشيين وكرمليين ودومنيكان وغيرهم ترجع إلى ما قبل اكثر من مائتي سنة في العديد من العواصم العربية التي كانت عواصم للخلافة الإسلامية. فإذا ما ظهر شيء من هذا القبيل بالنسبة للكرد أقامت الصحافة العربية الدنيا ولم تقعدها.

نعم اعترفت الصحافة الكوردية بأن عدة مئات من الكورد قد تنصروا على يد الكنيسة الإنجيلية في كوردستان ولكن يبدو أن الأمر مبالغ فيه، وإذا ما دخل بعض الكورد في النصرانية – إن وجدوا – فهذا يرجع في حقيقة الأمر إلى أنهم كانوا أصلاً لا يفهمون شيئاً عن الإسلام، أو أن بعض هؤلاء كان يدخل لغرض مادي بحت نظراً للعوز الذي كان الشعب الكوردي يعانيه من جراء الحصارين الدولي والصدامي، وحتى أن البعض من هؤلاء كان يريد عن طريق الدخول في النصرانية السفر عن طريق المنظمات الانجيلية إلى امريكا وأوروبا والاستقرار فيهما.

إن هذا الأمر أثار استهجان واستغراب العديد من فئات المجتمع الكوردي والمسيحي على حد سواء فقد صدرت بيانات استنكار بهذا الخصوص في الحركة الديمقراطية الآشورية وبعض الاحزاب الاسلامية الكوردية لما يشكله هذا الأمر من تمزيق في نسيج المجتمع الكوردي والاخلال بالوحدة الوطنية التي لا تتحمل تبعات أخرى نتيجة ما تحمله هذا الشعب من معاناة كبيرة في السابق في شتى المجالات، فضلا أن هذا النشاط التنصيري يؤدي إلى حدوث احتكاكات في المجتمع الكوردي بين المسلمين الذين يشكلون الغالبية والمسيحيين الوطنيين من الكلدان والسريان والآشوريين والمسيحيين الكورد وغيرهم، نحن في غنى عنها في هذه الظروف الصعبة التي يمر بها العراق عامةً وكوردستان خاصةً، والتي ستكون بيئة خصبة للمتشددين من الجانبين الإسلامي والمسيحي بالصيد في المياه العكرة، كما أنها ستكون مادة دسمة لإعلام الدول الأقليمية المجاورة لشن حملات مغرضة ضد التجربة الكوردية المتميزة بديمقراطيتها قياساً ببعض انظمة الدول المجاورة للعراق وإتهامها بالعمالة للولايات المتحدة الأمريكية التي ما فتئت تتعرض إلى مثلها بين الحين والأخر.

العلاقات الكوردية المسيحية

في عهد الامير بدرخان بك

لقد تعرض تاريخ الكورد إلى كم هائل من حملات الدس والتشويه والتحريف طالت تكوينهم وإرثهم وتاريخهم ورموزهم، هذه المؤثرات انعكست بلا شك على علاقة الانسان الكوردي مع نفسه وبيئته وعلى علاقته بالآخرين، ومن ثم ولدت عقده الشك والريبة في النظر إلى الآخر بحجة أنُة يريد سلب ما في يديه، والواقع التاريخي أكبر دليل على ذلك، فكوردستان بلاد الكورد أضحت مسرحاً وممراً للعديد من الأقوام الغازية والفاتحة، وهذا ما تجلى في أن هذا الشعب عرف اليقظة والحذر منذ بدء ظهوره على هذه الأرض، وما زالت هذه السمة واضحة في تصرفات أبنائه، فأصحبت الشجاعة والإقدام والنجدة من شيمهم ومن ثم نظر اليه الآخرون بعين التوحش والبربرية ولم يدر بخلدهم ان الكورد يعانون في قرارة انفسهم وفي واقعهم من الظلم والمرار وهم بحاجة إلى فهم الأخرين لهم. لذلك جاء تاريخهم الذي كتبه الآخرون (البعض) وكأنه تاريخ مخلوقات لا تمت إلى هذا الكوكب بصلة. فهذا يعدهم من نسل الأشخاص الذين فرّوا إلى الجبال هرباً من بطش الضحاك، وذاك يعدهم من أحفاد الجن وهلم جرا.. ولم يدر في فكر هؤلاء ان الكورد مثلهم في تكوينهم الخلقي وتاريخهم مثل بقية أمم المعمورة، فهم من نسل آدم وآدم من تراب.

وإستناداً إلى ما تقدم فان الجدل يثار حول كل الرموز والابطال الكورد ابتداءً من صلاح الدين وانتهاءَ بالشيخ عبد السلام الثاني البارزاني. والأمير بدرخان بك البوتاني داخل في هذا السجال مثله في ذلك مثل بقية رموز الكورد الذين تعرض تاريخهم للتشويه مثل الأمير محمد باشا الرواندوزي (ميري كوره) وعبيد الله النهري واسماعيل آغا المعروف بـ(سمكو شكاك) والشيخ محمود الحفيد والشيخ سعيد بيران وملا مصطفى البارزاني... الخ. رغم انهم ليسوا معصومين عصمة الأنبياء وإنما هم ابناء واقعهم تجاذبهم منغصات الحياة وتتقاذفهم يمنة ويسرةً.

فقد ثار جدل كبير حول شخصية بدرخان باشا وحركته الاستقلالية التي قامت في منتصف القرن التاسع عشر، تلك الحركة التي كانت لها أصداء واسعة في المنطقة لا تقل شأناً عن حركة محمد علي باشا في مصر وحركة داود باشا في العراق، ولكل منها ظروفها وأسبابها العديدة الخاصة بها, أمّا فيما يخص حركة بدرخان باشا فإن العامل

الجيوبولوتيكي كان له تأثير واضح في عدم تسليط الضوء على هذه الحركة ودراسة وقائع حياة مؤسسها بدرخان باشا بما يتناسب مع أهمية هذه الحركة وقوة شخصية زعيمها و(كاريزميته أي قوة شخصية) ومقدرته الادارية والسياسية.

يقول الدكتور وادي جويدة متحدثاً عن شخصية بدرخان: ((إن الأمير كان له شخصية جذابة وتاريخية (ديناميكية)، وليس هناك أي شك في أن بدرخان أعظم شخصية تاريخية كوردية))(1).

وبخصوص أهمية الحركة الاستقلالية للدولة الفيدرالية الكوردية التي اقامها بدرخان باشا يقول جويدة: ((إن الأمير بدرخان كان له اعتقاد راسخ بأن الله أختاره لقيادة المسلمين الكورد نحو الوحدة، وتحريرهم من ظلم الحكام العثمانيين))(2).

المصادر السريانية القديمة ودورها

في تشويه سمعة الكورد ورموزهم.

المصادر السريانية هي في الحقيقة مصادر آرامية، على أساس ان اللغة السريانية المدونة فيها المصادر المذكورة آنفاً هي أحدى لهجات اللغة الآرامية(3).

والآراميون أمة قديمة من الأمم السامية التي هاجرت من الجزيرة العربية في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد(4)، وقد انقسمت اللغة الآرامية إلى فرعين رئيسين في القرنين الأول والثاني الميلاديين احتوى كل منهما على عدة لهجات.

---

(1) د. عثمان علي: دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة، أربيل مكتب التفسير، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م، ص ٣١ –٣٢ نقلاً عن

W. Jwaideh (kurdish Nationalist Movemont) Syracuse University.1960. pt.1. p 184.

(2) دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة، ص٣٢.

W. Jwaideh (kurdish Nationalist Moviment) Syracuse University.1960. pt.1. p 184.

(3) مراد كامل: تاريخ الأدب السرياني من نشأنه حتى العصر الحاضر، القاهرة ص٦٣؛ أحمد هبو: المدخل إلى اللغة السريانية آدابها، حلب، ص ٧.

(4) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد مطبعة الحوادث ١٩٧٣، ص ٣٩؛ انطوان مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى، دمشق، ص ٢٦٩.

والمصادر السريانية موضوعة البحث تقع تحت قائمة الآرامية الشرقية التي تحول اسمها إلى السريانية بعد دخول المسيحية إلى بلاد الرها (أورفة الحالية) في نهاية القرن الثاني الميلادي مما حدا بمعتنقها إلى أن ينفروا من التسمية القديمة – الآرامية – التي هي مرادفة للوثنية عند اليهود والمسيحيين والاستعاضة عنها بكلمة – السريان – بدلاً من آرامي، والسريانية بدلاً من الآرامية، تلك التسمية التي اطلقها عليهم اليونانيون الذين كانوا قد احتلوا بلاهم (سوريا الحالية) سنة ٣١٢ ق. م في عهد الملك سلوقس الأول (٣١١ – ٢٨١ق.م) الذين جعلوا اسم الآراميين لسكان المدن الوثنية مثل حران[١].

ومما تجدر الاشارة اليه ان الكثير من المصادر السريانية بشقيها التاريخي والكنسي أسهمت إلى حد كبير في تشويه صورة الكورد ووصفهم بأبشع النعوت كالتوحش والهمجية والمغتصبين.... الخ[٢]. ففي حوادث سنة ١٨٩٥ تكلم القس اسحق ارملة السرياني بقوله في التعريف بقرية (قرةباش): ((قرةباش قرية في شرقي ديار بكر تبعد عنها مسافة ساعتين.. اهلها كلهم سريان تعجّل اليهم الاكراد في اليوم ذاته ونشموا ينهبون ويقتلون ويستبيحون وظلوا كذلك يومين كاملين لا تزداد قلوبهم إلاّ صلابة وتوحشاً كحمير او جحاش ثار ثائرها. ولكنهم فاقوا الحمير بتوحشهم "قيل لأحد الحمير نريد ان نغيرك كوردياً فبات ثلاثة ايام كئيبا لا يأكل عليقه"[٣])). وبخصوص تداعيات قتل الزعيم سمكو شكاك (اسماعيل اغا) لزعيم النساطرة (الاثوري) مارستمون سنة ١٩١٨م في كوردستان ايران، واتهام الكتاب الاثورين للاكراد بالخيانة فان احد رجال الدين يذكر مثلا ويقول: ((اذا الكوردي اصبح ذهباً لا تضعه في جيبك))[٤]. فضلاً عن

---

(١) أ. ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، القاهرة، ص ١٤٥ –١٤٦؛ هنري س. عبودي: معجم الحضارات السامية، طرابلس، ص ٤٧٥.

(٢) على سبيل المثال لا الحصر: تاريخ مختصر الدول لابن العبري وله أيضا تاريخ كنسي تحت اسم تاريخ الزمان، تاريخ الانطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، عمرو بن متي: أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدول، البير أبونا: تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية من انتشار المسيحية حتى فجر الإسلام، افرام برصوم: اللؤلؤ المنصور في الآداب والعلوم السريانية، التاريخ الكبير لميخائيل السرياني، تاريخ الرهاوي المجهول عربه عن السريانية ووضع حواشيه البير أبونا.

(٣) القصارى في نكبات النصارى، بيروت ١٩١٩، ص٥٩.

(٤) كيوركيس بيت بنيامين اشيثا: الرئاسة، شيكاغو، ١٩٨٧، ص٢٤، والكتاب عبارة عن مخطوطة لم تطبع حسب علمي.

محاولة إرجاع أسماء قرى وقلاع ومواقع وجبال كوردية إلى أصول مسيحية سريانية – كلدانية – أشورية فيما بعد، للإيحاء بأن المنطقة الكوردية كانت في حقيقة الأمر مهد الاقوام السريانية[1] وأنها استكردت فيما بعد وأبلغ دليل على ذلك ما ذكره صاحب كتاب تقويم قديم في الكنيسة النسطورية في تفسيره لكلمة كوردستان بأنها (كلدانستان) واستند في ذلك إلى كتاب المؤرخين السريان: ابن الحجري، وابن الصليبي، بيت يشوع، وابو فرج بقولهم: ((انها كلدانستان لا كوردستان، لأن أهالي الجبل جميعهم كانوا من شيعة الكلدانيين القدماء قبل المسيح (عليه السلام) وفي زماننا بدلوا الكلدان بالكرد وإلى الآن يقولون كوردستان وهذا غلط))[2].

كوردستان بعد أن كانت كلدانستان!! أصبحت الآن (آشورستان)!! استناداً إلى اعمال المؤتمرات الآشورية العالمية التي يطالب المكسيماليون (المتطرفون) تأسيس دولة آشور المستقلة على الأراضي الواقعة في شمال العراق (كوردستان العراق) فيما يريد المعتدلون دولة آشورية ذات حكم ذاتي (على مثال الحكم الذاتي الكوردي) ويعمد الفريقان كلاهما مهمة تأسيس الدولة الآشورية أمر واقعي ويأمل الطرفان بتحقيق ذلك في القرن الجاري (العشرين)[3].

لذلك كان لهذه الكتابات السريانية أثر كبير في تشكيل ذهنية منحازة سلفاً لكثيرين من كتابهم المتأخرين، فضلاً عن صب النار على الزيت من قبل بعض المنصرين والرحالة والدبلوماسيين الأوربيين وتحديداً الانكليز من ناحية تشويه سمعة الكورد ورموزهم وهذا ينطبق على حد كبير مع الأمير بدرخان.

المبشرون والرحالة الاوربيين ودورهم في تشـويه سـمعة الأميـر بدرخـــــان.

كان للمبشرين الانكليز والامريكان دور لا يستهان به في تشويه سمعة الكورد عامة

(١) يوسف حبي: كنيسة المشرق الكلدانية – الاثورية لبنان ■ جامعة الروح القدس الكسليك، ٢٠٠١م، ص ١٦١ – ١٩٥.

(٢) بطرس عزين، ص ١٢.

(٣) رياض السندي: جوستن بيركنز (اول مبشر إلى كوردستان)، مجلة كولان العربي العدد ٥٥ أربيل كانون الأول ٢٠٠٠، ص ٩٤.

والأمراء الكورد خاصة، كمحمد باشا الراوندوزي (ميري كورة) وبدرخان باشا البوتاني وعبيد الله النهري من خلال الملاحظات التي دونوها في كتبهم ومذكراتهم، والتي اسهمت إلى حد كبير في رسم السياسات المغايرة لتطلعات وأماني الشعب الكوردي بعيد الحرب العالمية الأولى والتي ما زال الكورد يكتوون بنارها إلى وقت كتابة هذه الأسطر.

فكتابات هؤلاء الرواد الاوائل الذين زاروا كوردستان وكتبوا عن عادات وتقاليد الكورد رسمت هذا التشويه في اللاشعور الاوربي وأصبح من الصعوبة بمكان إفهام الرأي العالم الاوربي وتحديداً المثقفين منهم والمهتمين بشؤون الشرق الأوسط ان هذا التشويه والخلط جاء في سياق تاريخي معين له ظروفه الخاصة، وأن هؤلاء المبشرين والرحالة كانوا ابناء بيئتهم، ورغم جدية بعض بحوثهم وتقاريرهم إلاّ أنها لا تخلو من روح التعصب ضد كل ما هو شرقي ومسلم في آن واحد، وإن تزامن مجيئهم إلى المنطقة على شكل ارساليات تبشيرية (تنصيرية) مع حدوث الصراع الكوردي المسيحي (النسطوري + السرياني) كل ذلك أدى إلى هذا الخلط والتشويه، وأن البعض من ابناء واحفاد تلك الطوائف ما زالوا يعزفون على نفس الوتر الحساس في زيادة الطين بله والمضي في تشويه سمعة الكورد رغم مرور أكثر من قرن ونصف على تلك الاحداث المأساوية التي حدثت بين الجانبين الكوردي والمسيحي. فضلا عن تعرض الكورد إلى مآسي ونكبات لم نسمع بها في عهد هولاكو وتيمورلنك.

ومهما يكن من أمر فان الدول الاوربية اهتمت بشؤون الشرق لاسيما بعد التوسع العثماني في اوربا وانحسار هذا التوسع فيما بعد واطلاق الساسة الاوربيون اسم الرجل المريض عليها حيث بدأت تلك الدول تحاول ايجاد موطئ قدم لها في اراضي الدولة العثمانية، وكانت البعثات الكاثوليكية من فرنسية وايطالية هي السباقة في ذلك فبدأت بإرسال البعثات والرحالة الى المنطقة، ولكن جهودها انصبت على تغيير مذهب النساطرة ومحاولة ربطهم بالكثلكة حيث نجحوا في ذلك إلى حدٍ كبير وتم تكوين طائفة منهم سميت بـ(الكلدان المتحدين)، أما جهود الولايات المتحدة وبريطانيا فقد جاءت متأخرة فترجع إلى بداية القرن التاسع عشر وتحديدا الثلث الاول منهم، وقد ارتبط التنصير البروتستانتي بشكل عام بتوسع المستعمرات الاوربية واسواقها الخارجية، حيث يشير أحد الباحثين إلى ذلك بقوله: ((ان النهضة الدينية البروتستانتية في اوربا والولايات المتحدة منذ أواخر القرن الثامن عشر قد ارتبط بشكل وثيق مع الحركات الاقتصادية

الامبريالية الجديدة، كما ان الثورة الصناعية اسهمت في تسهيل النقل والمواصلات بحيث لم يعد ذلك عائقاً أمام المبشرين))[1]. وبخصوص أمريكا فانها دخلت ميدان العمل التنصيري لأول مرة عام ١٨١٠ عندما تأسست أول هيئة امريكية في مدينة بوسطن للإشراف على ذلك النشاط ورعايته[2].

وفي سنة ١٨٣٥ أوفد مجلس البعثات البروتستانتية الطبيب والمنصر الامريكي (گرانت –Grant) على رأس بعثة تنصيرية إلى منطقة هكاري (كوردستان العثمانية)، حيث وصلها في سنة ١٨٣٩م، وبعد اجتماعه مع المار شمعون الزعيم الروحي والزمني للقبائل النسطورية (الاثورية) والأميرالكوردي نور الله بك امير هكاري، استطاع ان يبني مركزاً تعليمياً للتبشير في قرية آشيتا في منطقة تياري (شمال غرب ناحية كاني ماسي) ونجح في تكوين علاقة خاصة مع النسطوريين[3].

أما بخصوص الانكليز فقد صدرت الاوامر لكل من الدكتور(ويليام أنسورث– Willam F Ainswirth) وكريستين رسام بزيارة النسطوريين في منطقة هكاري ودراسة أحوالها والاوضاع القائمة فيها والتعرف على آفاق التحرك واقامة علاقات خاصة مع القبائل النسطورية، وفي ١٥ حزيران ١٨٤٠م وصلا إلى قرية ليزان الواقعة في منطقة تياري (بالقرب من الحدود العراقية التركية) على مسيرة يوم شمال العمادية، وبعد اجتماعات عديدة مع المار شمعون وملوك القبائل النسطورية تم الاتفاق على اقامة علاقة خاصة بين الكنيسة النسطورية والكنسية الانكليكانية من جهة ومحاولة ثني البطريرك مار شمعون عن اقامة علاقة مع المبشرين الامريكان[4].

كما قام رسام بمهمة ايضاح الخطوط العريضة التي قدمت البعثة من اجلها والتي تضمنت مقترحات جمعية ترقية المعرفة المسيحية The society of prommtion chiristian ،

---

(١) رياض السندي: جوستن بيركنز (اول مبشر إلى كوردستان)، مجلة گولان العربي العدد ٥٥ أربيل كانون الأول ٢٠٠٠، ص ٩٤.

(٢) د. عبد الفتاح علي يحيى: النشاط التبشيري الامريكي في كوردستان في النصف الأول من القرن التاسع عشر، مجلة جامعة دهوك المجلد السادس العدد الأول تموز ٢٠٠٣، ص ١٨.

(٣) صلاح هروري: إمارة بوتان في عهد الأمير بدرخان، دهوك مطبعة خبات، ٢٠٠٠، ص ١١٦.

(٤) هرمز ابونا: الاشوريون بعد سقوط نينوى، شيكاغو، امريكا ١٩٩٩، المجلد الخامس، ص ٢٧٣ – ٢٨٣.

غير انه يعترف بأن البطريرك مار شمعون لم يكن على معرفة بها وانه ليست لديه أية فكرة عن الكنيسة الانكليكانية (الانكليزية)، وكان مذعوراً في الوقت نفسه من اقامة علاقة ودية مع الكنسية الانكليكانية لأنها تبدو مختلفة في عقيدتها عن كنيسته في المبادئ والممارسة. ومار شمعون لم يخفِ مشاعره لأنسورث ورسام مما فعلته الكنسية الكاثوليكية في روما بكنيسته قائلاً: ((البابا ارسل ناساً من روما، وأخضعوا قسماً من كنيستنا، عقيدته حديثه، وعقيدتنا قديمة، نحن لا نغير قط من طقوس عبادتنا، بل نحافظ عليها ونتقيد بها، وما نقل لنا من قبل الرسل وآبائنا، وعليك أن تعلم بأننا لا نغير قط معتقداتنا ولا طقوسنا))(١).

ويبدو ان البعثة كانت تريد اقامة صلة ما بين انكلترا والمار شمعون من أجل الوحدة بوجه الاتراك والاكراد فيما لو حدث ما يعكر صفة الأمن، لاسيما وان مجيء هذه البعثة قد ولد قلقاً لدى الاوساط الكوردية وخاصة اميرها نورالله بك الذي كان في حلف مقدس مع الأمير بدرخان(٢).

وعلى أية حال فقد توالت بعثات التبشير الانكليزية تترى على منطقة هكاري ومحاولة دق اسفين بين الشعبين الكوردي والنسطوري. فقد وصل جورج بادجر Gorge Badger على رأس بعثة في شتاء سنة ١٨٤٣ إلى قرية آشيتا للقاء البطريريك مار شمعون حيث اجتمع معه بحضور مائة من الشخصيات البارزة من ملوك (رؤساء القبائل النسطورية) ورؤوساء وكهنة (رجال دين)، وقد ألح البطريرك على اتباعه بضرورة عدم عقد حلف أو اتفاق مع الكورد وانما عليهم اثبات اخلاصهم لباشا الموصل محمد اينجه بيرقدار(٣) وبعد ان استرسل في الكلام قال: "أيها الاصدقاء والاخوة إذا كنتم راغبين في إثبات اخلاصكم لباشا الموصل ولي، فأنني أنصحكم بما يتوجب عمله: عليكم تجميع قوة عسكرية قوامها ٣٠٠ مقاتل من القرية (آشيتا) وتتوجهون لمقاتلة زينل بك (امير منطقة البرواري) اطردوا أتباعه من منطقة بروارى، واذا كان بالامكان اعتقاله حياً أو ميتاً، معلوماتي الخاصة انه لا يملك عدد كبيراً من الاتباع..."(٤).

---

(١) هرمز أبونا: الآشوريون بعد سقوط نينوى، ص ٢٨١ – ٢٨٢.

(٢) صلاح هروري: المرجع السابق ص ٨٤٢ – ٧٥.

(٣) هرمز أبونا: المرجع السابق، ٥/ ٢٩٢.

(٤) هرمز أبونا: الآشوريون بعد سقوط نينوى، ٥، ٢٩٤، نقلاً عن Badger.

وفي تلك الاثناء وصل مبعوثان كورديان من قبل أمير هكاري نور الله بك إلى مار شمعون يطلب فيه عقد اجتماع في موضعِ ما بين جولمرك وقرية جمي لتسوية خلافاتهما وارساء أسس التعاون والصداقة بها، وحين سمع الشماس اسحق شقيق البطريرك مار شمعون فحوى الرسالة انفجر في موجة غضب وهياج قائلاً: ((نحن لسنا خاضعين لكم وإن ديارنا الآن ملك هذا الرجل))[1] مشيراً الى المبشر الانكليزي بادجر، واختتم الشماس اسحق كلامه قائلاً: ((نعمل سلام معه؟ لا أبداً، إلا بحد الخناجر))[2]. وقد أثار هذا الكلام الصريح استياء الكورد وهزّت مشاعرهم، لاسيما وان هؤلاء النساطرة قد تقووا بوجود هذا المبعوث الانكليزي في صفوفهم، ومما يزيد الأمر وضوحاً ان البطريريك نفسه كان قد ارسل رسالة عن طريق المبشر الامريكي كرانت إلى المقيم السياسي البريطاني في بغداد في أواخر سنة ١٨٤١م يطلب فيها تدخلاً أجنبياً لحماية النساطرة[3] وقد اشار المبشر الانكليزي جورج بادجر إلى الشهرة السيئة التي تمتع بها الأمير الكوردي بدرخان الذي ارتكب في عامي١٨٤٣ و١٨٤٦ مذابح رهيبة ضد النساطرة بحيث أباد قبيلتين من قبائلهم هما: تياري وتخوما إبادة كاملة[4].؟

أما الرحالة والجاسوس الانكليزي هنري لايارد (١٨١٧ – ١٨٦٤) فقد كان له قصب السبق في تشويه سمعة الكورد وقائدهم بدرخان بك، ومحاولة تأليب الرأي العام الاوربي والطلب من السلطان العثماني بضرورة وضع حد لهذه الامارة، وهذا ما حصل فعلاً بالقضاء على الامارة البوتانية وأسر بدرخان بك ونفيه إلى جزيرة قبرص[5].

يقول لايارد عند زيارته لكوردستان (منطقة بترواري شمال العمادية): ((مختار هذه المنطقة هو كوردي متعصب دينياً، وتمكن بشكل كامل تقريباً من القضاء على النساطرة الذين هم السكان الاصليون للمنطقة!!.. فقد استولى عليها الأكراد... ولكن الأكراد كسولون

---

(١) سلامة حسين كاظم: التبشير في العراق، وسلسلة أهدافه، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى مجلس كلية الشريعة جامعة بغداد ,١٩٨٥، ص ١٤٤.

(٢) هرمز أبونا: المرجع السابق، ٥/ ٢٩٦، نقلاً عن Badger.

(٣) عبد الفتاح علي يحيى: المرجع السابق ص ٢٣؛ وكان الدكتور عبد الفتاح قد ذكر ان ابن أخ البطريرك هو الذي تحدث إلى رسول أمير هكاري .والصحيح ان شقيقه الشماس اسحق هو المتكلم.

(٤) الكسندر آداموف: البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة الدكتور هاشم صالح التكريتي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ص ٢١١ نقلا عن Badger.

(٥) صلاح هروري: المرجع السابق، ص ١٢٧ –١١٠.

للغاية، وعلاوة على هذا فهم يحاولون بشتى الوسائل شلّ همة النساطرة. تتصف هذه المنطقة بفقدان الأمن، السبب في هذا هو عبد القادر بك احد زعماء (البرواري) الذي ينتهز كل مناسبة ويستغل أية ذريعة ليسفك دم المسيحيين الجبليين الابرياء! هنا ويأمر منه، تم بأبشع الوسائل الوحشية القضاء على حياة العديد من النساطرة فقط لأنهم بعد نجاتهم من حمامات الدم الاخيرة في تياري، أرادوا العودة إلى قراهم للالتحاق بزوجاتهم واطفالهم، أما السفاح المتوحش زين الدين وهو من عائلة عبد القادر بك فانه الأداة الطيعة في يد بدرخان الطاغي، المتعطش دائماً لسفك دم المسيحيين))[1].

وفي محاولته لإتهام بدرخان بالعجز عن احتلال مناطق تمركز النسطوريين في منطقة تياري – جبل آشتيا ومحاولته استغلال عامل الزمن حتى تنفذ مؤن النسطوريين نظراً لشجاعتهم وعدم افساحهم المجال للجيش الكوردي لإحتلال قراهم، وعدم معرفتهم بمكان اختباء هؤلاء النساطرة يقول بهذا الصدد :((ولكن بدرخان كشف المكان، إلاّ أنه عجز عن احتلاله بالقوة ولهذا أحاط كل المنافذ برجاله منتظراً ساعة الاستسلام، مؤونة النساطرة لم تكفيهم سوى لثلاثة أيام، بسرعة نفذت المياه والمواد الغذائية بسبب الحر الجهنمي. وضعيتهم بدت بدون مخرج، ولهذا قرروا اعلان الاستسلام تحت شروط وضمانات تعهد بدرخان التمسك بها مقسماً بالقرآن (الكريم) بأن لا يصاب أي تياري بأذى بعد تسليمه سلاحه وما عنده للاكراد للعبور عن طريق المنافذ الجبلية. بعد حصول الاكراد على سلاح الاسرى النساطرة، مباشرة وجهوا أفواه البنادق الى العزل المنهكين، دون أن يرحموا فرداً منهم. طبقات من أشلاء القتلى النساطرة غطت سفوح الجبل. وعندما انهكهم الرمي، راحوا يقذفون من بقي حياً من فوق الصخور الشاهقة الى نهر الزاب الكبير. من الف نسطوري اعتصم بهذا الجبل لم ينجُ – كما قيل لي – سوى انسان واحد))[2].

الكتاب السريان ومحاولة اجترار مغالطات المبشرين الاوربيين :

مما لا شك فيه ان المراجع السريانية التي تكلمت عن الصراع الكوردي النسطوري أيام الأمير بدرخان انما كان جلّ اعتمادها على ما أمده الرحالة من المبشرين الاوربيين

(١) هنري لايارد: البحث عن نينوى، ترجمة ميخائيل عبد الله، السويد دار سركون للنشر ١٩٩٨، ص ٢٠ – ٢١.

(٢) هنري لايارد: المصدر السابق، ص ٣٣ – ٣٤.

والامريكيين امثال : (لايارد) و(كرانت) و(بادجر) وكأنهم اختبروا هذه المعلومات وأعادوا صياغتها من جديد وصبها في قالب عصري لتشويه سمعة الكورد واعتبار بدرخان بك صاحب المجازر المروعة بحق النسطوريين والسريان والايزيديين على حد سواء، ولم أر والحق يقال كاتب محسوب على السريان بشتى فئاتهم واطيافهم قد درس بحيادية هذا الموضوع في سياقه التاريخي والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في منتصف القرن التاسع عشر في حدوث هذا الصراع والعوامل التي أدت اليه إلا ما ندر[١]. وان كان الجميع يحملون البعثات التبشيرية مسؤولية ما حدث.

يقول الكاتب الروسي النسطوري الأصل (ماتفييف بارمتي) محملاً البعثات التبشيرية مسؤوليتها عما حدث من صراع بين الجانبين: ((وقد لاحظ الباحثون بأنه منذ زمن دخول المبشرين (المنصرين) إلى المناطق الآشورية ازدادت الاشتباكات ومختلف انواع الصدامات بين الاشوريين والاكراد كثيراً))[٢].

ولكنه مع ذلك حمل بدرخان مسؤولية قتل الأشوريين واعتمد في ذلك على طروحات الرحالة والاثاري الانكليزي لايارد بقوله: ((وتفنن بدرخان ذو البربرية الوحشية بقتل الآشوريين ولم يكن متهماً بذلك بعض الاقطاعيين الاكراد فقط بل وكذلك المبشرون الانكليز والامريكان الذين اتسم نشاطهم في الجوهر بطابع عداء استفزازي))[٣].

وقد كتب الباحث الأثري الانكليزي الذي زار المناطق الآشورية (النسطورية) بعد حملات بدرخان الشريرة مباشرة يقول: ((وفي الحال رأينا آثار المذابح وكلما نقترب للأمام نصادف آثارها أكثر وأكثر حيث الجثث كانت ما تزال مترامية فوق الشجيرات، وعندما اقتربنا من منحدر صخرة كبيرة رأينا بأن هذا المنحدر مملوء بحدائل من شعر النساء تشدها الاربطة وقصاصات الأقمشة وكذلك بجماجم من مختلف الاعمار، ابتداءً من جماجم الاطفاء الرضع وانتهاءً بجماجم العجز العديمة الأسنان))[٤].

---

(١) يستثنى من ذلك الدكتور وادي جويدة في اطروحته باللغة الانكليزية تحت عنوان الحركة الوطنية الكوردية، حيث درس هذا الموضوع بروح غاية في الحيادية ونجح في ذلك إلى حد كبير.

(٢) ف. ب. ماتفييف (بارمتي) الآشوريون والمسألة الآشورية، ترجمة ح. د. ا دمشق مطبعة الأهالي ١٩٨٩، ص ٧٠.

(٣) بارمتي: الآشوريون والمسألة الآشورية، ص ٧٠.

(٤) بارمتي: المرجع السابق، ص ٧١.

أما الكاتب السرياني اللبناني (ايشو مالك خليل جوارو) فانه هو الاخر يُحمل المبشر الامريكي (گرانت) مسؤولية ما حدث بقوله: ((وفي مقابلة أجراها لابارد مع البطريريك (مار شمعون) بعد المعركة وجد البطريريك ناقماً بشدة على المرسلين الامريكيين اكثر منه على الاكراد)[1]، ولكنه مع هذا حمل الكورد مسؤولية ما حدث رغم انه اشار ضمناً إلى وجود صراع خفي بين البطريريك مار شمعون وبين زعماء القبائل النسطورية (الآشورية) كانت السبب في تصدع العلاقات الكوردية المسيحية (هجم الاكراد على الاشوريين ونشبت معركة طاحنة بينهم وادت دائرتها على الاشوريين القليلي العدد والشبه عزل من السلاح، فاحتل الاكراد مناطق بعض القرى الاشورية وذبحوا الكهول والشيوخ والنساء والاطفال واعتدوا على العذارى، نهبوا ما نهبوا وسلبوا ما سلبوا واغتصبوا ما اغتصبوا في معركة أعادت إلى ذاكرة الناس بربرية تيمورلنك ووحشية المغول...))[2].

أما الأب اسحاق ارملة السرياني فقد ألف كتاباً تحت عنوان (القصارى في نكبات النصارى) ضمن فيه اتهامات رخيصة وباطلة ضد الكورد عامة وزعمائهم خاصة[3]، حيث جاء في حوادث سنة ١٨٩٥م بخصوص قرية قرهباش: قرية في شرقي دياربكر تبعد عنها مسافة ساعتين أهلها كلهم سريان تعجّل إليهم الأكراد في اليوم ذاته ونشموا ينهبون ويقتلون ويستبيحون وظلوا كذلك يومين كاملين لا تزداد قلوبهم إلا صلابة وتوحشاً كحمير أو جحاش ثار ثائرها ((قيل لأحد الحمير نريد أن نُصيّرك كوردياً فبات ثلاثة أيام كئيباً لا يأكل عليقَهُ))[4]. وجاء في كتاب آخر حول المثل المتداول بينهم دائماً: ((إذا الكوردي أصبح ذهباً، لا تضعه في جيبك))[5].

أما كتاب مجلتا حويودو (الاتحاد) ودربو اللتان تصدران في السويد فتضمنتا مقالات

---

(١) ايشو مالك خليل جوارو: الآشوريون في التاريخ، ترجمة واشراف سليم واكيم، منشورات واكين اخوان ديروت ١٩٦٢، ص ١٦٤ – ١٦٧.

(٢) ايشو مالك: الآشوريون في التاريخ، ١٦٥.

(٣) اسحاق ارملة السرياني: القصارى في نكبات النصارى، بيروت ١٩١٩، ص ١٠٠ وما بعدها، وللكتاب طبعة جديدة منقحة أصدرتها دار سركون للنشر، السويد وفيها مقدمة لشمعون دنحو ضمن فيها هجوماً لاذعاً ضد الكورد عامة وبدرخان بك خاصة.

(٤) إسحاق أرملة السرياني: القصارى في نكبات النصارى، بيروت، ١٩١٩م، ص٥٩.

(٥) كيوركيس بنيامين آشيثا: الرئاسة، شيكاغو، ١٩٨٧ (مخطوطة)، ص٢٤.

ويحوث تتهم فيها بدرخان بك بالبربرية والتوحش ويجب وضعه في الصفحة السوداء من تاريخ الانسانية على حد تعبير رئيس تحرير مجلة حويودو (شمعون دنحو)، ويذكر دنحو في رسالة إلى كاتب هذه السطور ان علينا أي الكورد والسريان (استنكار تلك المذابح التي قام بها بدرخان بك كي نمهد الطريق لنقاء وصفاء العلاقات السريانية الكوردية)(١) ولولا خوف الاطالة لذكرت منها الشيء الكثير.

امثلة من مزاعم وتناقضات

الكتاب الغربيين والسريان

هناك مثل شعبي يتداول بين الناس وهو ان حبل الكذب قصير، وهذا ما يبدو واضحاً في الروايات التي قيلت بشأن المجازر التي ارتكبها بدرخان بك بالمسيحيين سواءً على صعيد المنصرين والرحالة، أو على صعيد الكتاب السريان انفسهم، يذكر العقيد يوسف ملك خوشابا ابن زعيم قبلية تياري السفلى في كتابه (حقيقة الاحداث الاثورية المعاصرة)(٢) ما نصه: ((إن ما جاء في كتاب تاريخ الرؤساء (باللغة السريانية) لمؤلفه (العقيد) ياقو مالك اسماعيل (ابن زعيم قبيلة تياري العليا) الذي انحى باللائمة على عشيرة تياري الكبرى (السفلى) لعدم تمكنها من مساعدة عشيرة تياري العليا عندما هاجمها الاكراد كان الغرض منه الطعن والتشهير فقط. إذ لو كان الكاتب صادقاً في زعمه فلماذا لم تهرع تياري العليا لنجدة قوذشان (قودجانس قرية فيها مقر البطريريك مار شمعون) وعشيرة دز اللتين كانتا الضحية الأولى للهجوم الكوردي المفاجئ، وإن الأسباب الحقيقية لعدم

---

(١) شمعون دنحو: رسالة جوابية إلى الدكتور فرست مرعي بتاريخ ١٩٩٩/١١/١٦ حول العلاقات الكوردية السريانية. ومما تجدر الاشارة اليه ان شمعون دنحو بالتعاون مع الكاتب العراقي سليم مطر والدكتور محمد البندر نشروا سلسلة من المقالات في الصحافة والمجلات السريانية الآشورية في السويد والولايات المتحدة... واستراليا وفي مواقع الانترنت تتضمن هجوماً على القومية الكوردية فضلاً عن اعتبار كوردستان منطقة سريانية وان القبائل الكوردية بالتعاون مع الدولة العثمانية قاموا بتكريد هذه المنطقة , وان كوردستان سوريا هي ارض الجزيرة الفراتية, وان كوردستان تركيا هي أراضي أعالي بلاد ما بين النهرين ,وان مدينتي كركوك واربيل تابعتين للارث الرافديني, وان مدينتي دهوك والسليمانية تابعتين لكوردستان فقط بغض النظر عن مدن: وان وسعرت و(سيرت) بدليس فانهاء اما مدن ارمنية أو سريانية.

(٢) يوسف ملك خوشابا: حقيقة الاحداث الاثورية المعاصرة، بغداد ٢٠٠٠م.

تمكن الاشوريين من مساعدة بعضهم البعض هي التي ذكرتها (وتتلخص) بأن الجيش الكوردي أحسن تسليحاً وأكبر تنظيماً مقارنة بالمقاتلين الاثوريين, اضافة إلى ان عددهم يفوق المقاتلين الاثوريين بعدة أضعاف, وكانت استراتيجية الأمراء المتحالفين (بقيادة بدرخان) تقضي بتطويق وفي آن واحد كل العشائر الاثورية المراد تدميرها من كل الجهات ومن ثم الانفراد بالهجوم عليها الواحدة تلو الأخرى مع الاستعداد لتنفيذ الخطة وضرب أية عشيرة تتحرك لنجدة العشيرة المهاجمة))[1].

ومن جانب آخر ينقل يوسف ملك خوشابا عن صاحب (كتاب تاريخ آشور في زمن المسيحية (يوناثان بيتا سليمان) الذي ينقل بدوره عن المنصر الامريكي كرانت رواية مفادها: ((بأنه في ساحة القتال سقط ما لا يقل عن عشرة آلاف كوردي وحوالي خمسة آلاف وخمسمائة مقاتل اثوري))[2]، أي ان خسائر الكورد كانت ضعف خسائر النسطوريين، وفي هذا دلالة أكيدة على عدم حدوث مذبحة بحق النسطوريين بل كان قتالاً يحدث بصورة اعتيادية بين أفراد القبائل في تلك المناطق الجبلية الوعرة سواءً أكانت كوردية أو نسطورية، ولكن الهالة الدعائية لهؤلاء المنصرين من امثال لايارد وكرانت وبادجر هي التي ضخمت المسألة وأدت إلى تشويه سمعة الكورد عامة وبدرخان بك خاصة، حيث ليس من المستبعد حدوث خسائر كبيرة في مثل هذه المعارك, إلى ان هذا الرقم المذكور آنفاً مبالغ فيه لأسباب سياسية ودينية، حيث ان عدد النسطوريين في تلك المنطقة لم يتجاوز ٦٠٠٠٠ شخص ودارت المعركة بأسلحة بدائية بسيطة وفي منطقة جبلية ذات تضاريس وعرة ولمدة لا تتجاوز الشهر. كما ان الاستراتيجية الكوردية كانت تتلخص في مهاجمة كل قبيلة نسطورية على حدة، لذلك بالغ هؤلاء المنصرون في تضخيم عدد الضحايا من النسطوريين لأثارة الرأي العام الاوربي ضد بدرخان بك، وهذا ما حدث فعلاً فقد تدخل سفراء الدول الاوربية لدى الخليفة العثماني وطلبوا منه التدخل لوقف المذابح ضد النسطوريين[3].

وقد ارسل الخليفة العثماني فوراً وفداً رسمياً بزعامة كامل باشا إلى بدرخان بك يطلب فيها منه وقف المعارك وتسليم الأسرى النساطرة، وعندما التقى الموفد العثماني مع

---

(١) يوسف ملك خوشابا: حقيقة الاحداث الاثورية المعاصرة، ص ٨ – ٩.

(٢) سف ملك خوشابا: حقيقة الاحداث الاثورية المعاصرة، ص ١١.

(٣) د. عثمان علي: دراسات في الحركة الكورية المعاصرة، ص ٤٢ – ٤٣.

الامير بدرخان، دافع الأخير عن موقفه مؤكداً بان النساطرة هم الطرف المعتدي بإيعاز من المنصرين ونائب القنصل الانكليزي في الموصل كرستيان رسام الكلداني الموصلي، وان حملته ضدهم كانت في حقيقتها حملة تأديبية لوقف اعتداءاتهم المتكررة ضد القرى الكوردية المتاخمة لمناطق تواجدهم.

ومهما يكن من أمر فان الوثائق البريطانية السرية التي نُشرت مؤخراً، تشير إلى اعتراف بدرخان بك بمقتل حوالي ٢٠٠٠ من الجانبين, بينما تشير وثيقة بريطانية سرية أخرى إلى حدوث خمسمائة اصابة فقط في الجانب النسطوري ليس إلاّ، ونظراً لأهمية الوثيقة التي سجلها (ار.دبليو ستيفين) نائب القنصل في الموصل عن لسان بدرخان بك سوف أورد مقتطفات منها:

((كان مار شمعون سابقاً الرئيس الروحي للنصارى السريان الخاضعين لإمارة بوتان ولم يكن له أي دور في الأمور الدنيوية للطائفة، علماً أن الأمور الدنيوية كانت بيد طائفة من مجموعة من الأشخاص الذي يدعون هنا بـ (الملوك) وكانوا على علاقة بي، واذا وقع في السابق خلاف داخل الطائفة السريانية أو بين السريان وأبناء القبائل الكوردية الخاضعة لنا كان يحسم بطريقة ودية بدون تدخل أحد. وكان الملوك يتعاونون مع قريبي نور الله بيك ولم يكن بينه وبين السريان خلاف.. ولكن في السنتين الأخيرتين (١٨٤١-١٨٤٢م) بدأ المار شمعون يتدخل في السياسة بشكل قوي ويحيك المؤامرات ضد الأمير نور الله بيك وحسب فهمنا ان المنصر الاميركي مستر كرانت هو الذي حرض المار شمعون وقام بتزويده بآمال لإثارة المشاكل. علماً ان المنصر المذكور قام بتشييد بناية كبيرة على مكان مرتفع في آشيتا، ففي هذه الاثناء دخل أنصار المار شمعون منطقتنا وقتلوا أثنين من أفراد القبائل الكوردية، وحسب العرف السائد في المنطقة قمنا باعتقال وقتل المجرمين من السريان للثأر لدماء الكورديين، وبالمقابل قام السريان بقتل أربعة اشخاص آخرين، قمت بشن حملة ثارية عليهم وقتل ٨ من السريان. وبينما كانت هذه الاحداث جارية جاءني نور الله بك، رئس منطقة هكاري مطالباً مساعدتي لتأديب النصارى السريان لقيامهم بالهجوم على عدة قرى كوردية ونهبها في منطقة جولميرك. ولبيت طلبه وبعد اخضاع السريان المتمردين هناك، غادرت المنطقة تاركاً فصيل مسلح في آشيتا تحت امرة زينل بك، ولكن حال مغادرتنا المنطقة قام المسلحون السريان بمحاصرة الفصيل الكوردي هناك وقطعوا عنهم الماء والمؤن لمدة ٩ أيام رغم ان زينل بك

قد استسلم إلاّ أن العديد من رجاله قد قتلوا وبعد التزود بالماء عاد زينل بك إلى القلعة وأرسل اليّ مطالباً النجدة. بعثت قوة قوامها ٢٦ ألف رجل لرفع الحصار عنهم وتأديب السريان. لذلك ترى فان النصارى هم الذين سببوا هذه المأساة لأنفسهم ببدئهم الحرب. فالجولة الأولى من الحرب لم تكن ذات أهمية لأنني فقدت من الرجال والمؤن بقدر ما فقده السريان. وحدثت الجولة الثانية من الحرب نتيجة خيانتهم لزينل بك. ففي هذه المرة سمحت لبعض أفراد القبائل لقتل السريان ووقعت مذبحة. في الحقيقة لم يكن باستطاعتنا لجم غضب الجيش الذي أهينت كرامته وكبرياءَه. أنا متأسف للقيام بالحملة التأديبية ضد النصارى دون اشعار السلطة المركزية ولم أتوقع تدخل الدول الاوربية لصالحهم، وبما ان النصارى يشكلون منذ زمن عنصراً متمرداً على الدولة، فإن الحكومة المركزية اعتبرت اخضاعهم مسؤولية موكلة اليّ ضمن القانون...))(١). ويضيف الأمير بدرخان في معرض رده على تساؤلات نائب القنصل بخصوص سيطرة الكورد على اراضي السريان ومصادرتها: ((وقال انه ليس من الصعوبة بالنسبة لي من ان أتأكد بنفسي بزيارة المنطقة الجبلية للوقوف على الحقيقة على ارض الواقع، وقال الأمير إنه يتحداني أن أجد أرضاً سريانية مسروقة من قبل الكورد. ثم أضاف وجد لمار شمعون حليفاً قوياً (المقصود – بريطانيا) لذلك يعتقد بأنه يكسب المزيد من خلال تضخيمه للاحداث، ويضيف الأمير بدرخان: فمثلاً يقول المار شمعون بأن عدد القتلى هو ٤٠٠٠ شخص أو ٥٠٠٠ شخص والحقيقة أن عدد القتلى لا يتجاوز ٢٠٠٠ قتيل...))(٢).

ومهما يكن من أمر فان الدعاية وتضخيم الاحداث هو ديدن الكتاب السريان ومن لف لفهم، فان تتبعنا ما جرى من خسائر في الحركة الاثورية الشهيرة في العراق سنة ١٩٣٣ لوجدنا ان عدد ضحاياهم الذين سقطوا في منطقة سميل يقارب ٣٠٠ شخص بشهادة أحد المنصفين من زعمائهم(٣)، بينما نرى هذا العدد يرتفع إلى أكثر من خمسة الاف عند معظم كتابهم(٤) وكأنهم أرادوا بهذا مجاراة اليهود في ادعائهم بقتل هتلر لستة ملايين شخص

---

(١) د. عثمان علي: دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة، ص ٥٢–٥٣ نقلاً عن تقرير نائب القنصل البريطاني في الموصل إلى سفير بريطانيا العظمى في استنبول في ١٠ تموز ١٨٤٤م.

(٢) دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة، ص ٥٤.

(٣) ٣٨– يوسف ملك خوشابا: المرجع السابق، ص ٢٤٣ – ٢٤٤.

(٤) راجع مثلاً جميع المؤلفات التي أصدرتها الاحزاب الآشورية وكتابهم أو الذين تطرقوا إلى هذه الحالة.

منهم لكي يثيروا الرأي العام العالمي لقضيتهم ويحصلوا على ما يريدون, ومع ذلك فان قتل المدنيين الاثوريين العزل في قرية سميل وفي غيرها من الاماكن ونهب اموالهم وممتلكاتهم من أي جهة كانت عراقية حكومية او كوردية عشائرية هي محل ادانة واستنكار وشجب.

وبهذه الطريقة استطاع النسطوريون وأد المشروع القومي الكوردي في مهده والذي حاول الأمير بدرخان تأسيسه في منتصف القرن التاسع عشر وتجلى هذا واضحاً في البيان الذي أصدره مؤتمر علماء كوردستان المنعقد في منطقة أورمية (كوردستان ايران) بعد سقوط الفيدرالية الكوردية بقيادة الأمير بدرخان، حيث حمل البيان المذكور النساطرة واعداء الإسلام من المنصرين مسؤولية هزيمة الأمير بدرخان. وهكذا حقق النساطرة غرضهم بتأليب الدول الاوربية والدولة العثمانية على الكورد (المتعصبين دينياً) على حد زعمهم مما أدى إلى تعاون الدول الاوربية مع الدولة العثمانية في القضاء على امارة بوتان سنة ١٨٤٧م، حيث كانت هذه الامارة آخر قلعة للصمود الكوردي في الدولة العثمانية(١).

(١) د. عبد الفتاح علي يحيى: النشاط التبشيري الامريكي في كوردستان في النصف الاول من القرن التاسع عشر، ص ٢٥.

سَرْيَنَة(*) أسماء المناطق
والبلدات والقرى الكوردية

ظهرت في الآونة الأخيرة بعض الكتب والدراسات التي تؤكد على سرينة وآرامية مناطق وبلدات وقرى عديدة في كوردستان استناداً إلى أن بعض هذه المواقع تبدأ بحرف الباء أو الدال (دير)، على سبيل المثال: باطوفة– باكوزى – بادي – باسفري – بيتواتة... إلخ(1).

يبدو أن هذه القاعدة قد تنطبق في مناطق محددة في لبنان وسوريا وفلسطين(2) غير أنها قد تكون مجانبة للواقع في كوردستان التي تختلف عن مثيلاتها في سوريا ولبنان وفلسطين لعوامل عديدة منها أركيولوجية (آثارية) وأثنوغرافية (سكانية) وطوبوغرافية وغيرها.

ويذهب أحد الباحثين النصارى بأن تغييرات لفظية قد حدثت بمرور الزمن، وجرت تغييرات في هذه التسميات، فقصبة عينكاوة الواقعة في ضواحي اربيل كان اسمها في العهدين الفرثي والساساني (عمكاباد)، وعم اضمحلال التأثير الفارسي وبروز واشتداد التأثير الكوردي في المنطقة، خاصة بعد الفتح الاسلامي الذي قضى على التأثير الفارسي، فاننا نرى التسمية تغيرت الى (عمكاوه)، وعنكاوه منذ مطلع القرن الرابع عشرسنة ١٣١٠م، وبهذه التسمية لم يتغير منها إلاّ المقطع الاخير الذي (آباد) الى (آوه)، والتغير الجديد من حيث المعنى هو ذات المعنى باللغة الكوردية اعني ان (آباد) الفارسية يقابلها (آوه) بالكردية الكرمانجية الجنوبية التي يقابلها (آفا) بالكردية الكرمانجية الشمالية. ان هذا التغيير لم يحدث لعينكاوه وحدها دون غيرها من قرى المنطقة، بل نرى مدنا كثيرة في كوردستان طرأ عليها التطور اللفظي عينه، وعلى سبيل المثال لا الحصر شقلاباد تحولت الى شقلاوه، ولاشك ان اللفظتين تزامنتا مدة غير قليلة الى ان طغت الثانية على الاولى(3).

(*) المقصود تغيير اسماء المناطق والبلدان والقرى من أصلها الكوردي الى اللغة السريانية.

(1) هرمز ابونا: الاشوريون بعد سقوط نينوى – القبائل الاشورية المستقلة في تياري وحكاري – الطبعة الاولى – شيكاغو – ص ١٨–١٩.

(2) انيس فريحة: معجم اسماء المدن والقرى اللبنانية، بيروت – الطبعة الرابعة – ١٩٩٦.

(3) عزيز عبد الاحد نباتي: تاريخ عينكاوة، راجعه وقدم له الاب البير ابونا، اربيل، الطبعة الاولى ٢٠٠ م، ص ٢٣.

أما من وجهة النظر الكوردية ، فان احد الباحثين الكورد يذكر بأن حرف (پى)، (پا) في بداية أسماء القرى والمدن والمواقع الكوردية ترجع في أساسها الى اللغة الهخامنشية (الاخمينية) على شكل (ظا– ظات) والى اللغة البهلوية على شكل (ظية) ، وتحولتا في اللغة الكوردية الحالية الى (پى وپا)، كما هو موجود حالياً في أسماء القرى والمدن الكوردية[1].

وحرف (ظا– ظات) تعني المكان أو محل الاقامة في اللغات الايرانية ، ومما تجدر الاشارة اليه ان كل (ظ) في بداية الكلمات الايرانية (الايرانية القديمة) قد تحولت الى (پ)[2]. ولدعم رأيه فقد أورد جدولاً بأسماء الالفاظ باللغة البهلوية مع مثيلاتها المقابلة لها باللغة الكوردية (اللهجة الكرمانجية الشمالية الشمالية).

الالفاظ باللغة البهلوية	الالفاظ باللغة الكوردية (كرمانجى)
ظات	با
ظاران	باران
ظائط	بانط
ظاظەر	باوەر
ظەفر	بەفر
ظەرەك	بەرخ
ظەستەن	بەستن
ظەهاك	بەها
ظەهار	بەهار
ظيشەك	بيشە
ظەزيتەن	بەزين
ظير	پير (هزر)

(١) فاضل عمر : ئاورةك ل زمانى كوردي، سبيريز دهوك ٢٠٠٤، ص١٧٩– ١٨٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٣) جمال بابان: اصول اسماء المدن والمواقع العراقية، بغداد الطبعة الثانية ١٩٨٩، ج ١، ص ٢٠.

وعلى نفس السياق فان وجود اسماء لبعض المدن والقرى على شاكلة شرنخ، دورنخ، شرانش، تروانش، ئالانش، بنيانش، كنيانش، لا يغير من القاعدة السابقة وإنما هي مرتبطة ببعض الجماعات التي سكنت كوردستان منذ القدم، ولكن قد يثير البعض سوءالاً مرده ان هذه الاسماء ترتبط دون شك بنزول سفينة نبي الله (نوح) عليه السلام في جبل الجودي كما هو مذكور في القرآن الكريم، وان شرنخ تعني مدينة نوح باللغة الكوردية، ودورنخ تعني مكان او حصن نوح باللغة الكوردية.

وفيما يلي جداول بأسماء المناطق والمواقع والجبال والمدن والبلدات والقرى الكوردية التي اطلقوا عليها تسميات جديدة بالآرامية والسريانية، بل وحتى الآشورية! او كانت موجودة عندهم انتقلت اليهم من اللغة الكورية وغيرها من اللغات الزاطروسية والهندوايرانية، واولوها حسب اوزان وصيغ لغتهم وتراثهم الكنيسي

جدول (١) المناطق

ت	أسم المنطقه	الأسم السرياني المرادف له
١	منطقة كركوك	بيث طرماي- باجرمي
٢	منطقة أربيل	حدياب – أديابين
٣	منطقة دهوك	نوهدرا – بانودرا
٤	منطقة بازيان	بورزان
٥	بەرى گاره	داسن
٦	منطقة رواندز	سلاخ الداخلية
٧	منطقة أورمية	سلاخ الخارجية
٨	منطقة بارزان وشيروان	بيث بغاش
٩	منطقة نهلة	دملكا دحلا
١٠	منطقة قنديل	معلتا
١١	جزيرة بوتان	قردو
١٢	منطقة نافكور	مرطا –المرج

١٣	منطقة بشدر (جوراته)	بشتدر
١٤	منطقة القامشلي	بيث زيدي
١٥	منطقة خانقين وحلوان	بلفشر
١٦	منطقة الجبال – ناف ضيا	بيث طوري
١٧	زموم الأكراد – زوميت كوردان	مشكنا قوردو

جدول (٢) المدن والبلدات

ت	اسم المدينة أو البلدة	الأسم السرياني المرادف له
١	عين سفني	عين الأوتاد
٢	بعشيقة، باشئك	بيث– بيت شيحقى أي (بيت المنسحقين)
٣	بحزاني	بيث حزوي– أي (بيت المناظر)
٤	مزار الشيخ عدي، شيخ ئادي	ما يوحنا ومار إشو سبران
٥	دهوك	أتوك
٦	مالطا	معلثا– أي (المدخل) باللغة الآشورية
٧	مانكيش	بيث مغوشي
٨	بامرني	بيث موردني– بامردني
٩	قدش	أقدش– أي المقدس
١٠	أربيل– هەولير	أربائيلو
١١	باعردي (مقر رئيس الطائفة اليزيدية)	بيث عذرى– إما مكان العون أو مزرعة الأشجار التي تستعمل سيقانها في تسقيف البيوت
١٢	كركوك	دبيث كرخ سلوخ
١٣	نصيبين	صوبيا

١٤	فنك	بيث زبي
١٥	مخمور	زيناي
١٦	كفري	كفرا
١٧	الكوير	نثفر
١٨	شنو (آشنوية)	بيث روستاقا
١٩	بجيل	بيث طحوني
٢٠	برطلة	بيث بريلي
٢١	بارزان	برزان
٢٢	قرقوش	باخديدا
٢٣	تلسقف	تل الأسقف
٢٤	عينكاوة	عمكو – عمكا
٢٥	عقرة – ئاكرى	عقرا – عكرا
٢٦	سيميل – سميل	شمعالا – سمويل

جدول (٣) القرى

ت	اسم القرية	الأسم السرياني المرادف له
١	خنس	أسمها الآشوري القديم: خنوشا
٢	بيريستك	بيث رستاق القديمة
٣	دلب	عين دلبي
٤	آلوكة	ألوكان
٥	بادرش	بيث درشا– بداهرش أي (بيت الدرس)
٦	بيبادي	بيت بيدا– أي (موضع القناني لأن أهاليها مشهورون بصناعة القناني)

٧	تني	كما أعيدت أو كررت بالآرمية
٨	داودية	مار داودو
٩	أرادن	أرعا دعدن- أي أرض عدن- جنة عدن
١٠	زيوة بيراميس	بيث صياري - أي دار الرسامين
١١	اينشكي	عين شاثا- أي (عين الحمى)
١٢	ديركزنيك	دير النساء
١٣	دركلي	دير جيلي
١٤	كاني	كومنا-أي أم الحياة والنور أو الحبة السوداء من التوابل
١٥	ديري	دير عبد يشوك - دير مار عوديشو
١٦	راش العين (راسليني)	ريشعينا
١٧	نهلا	دملكا دحلا
١٨	فنك	بيث زبدي
١٩	أيتوت	عين توث
٢٠	زيوة	بيث زيوا (اي بيت الشعاع)
٢١	كويا	كافيثا
٢٢	قشفر	ديربيث ربان ايشو عياب (دير مار ياقو)
٢٣	سيجي	شيزي (شيوز)
٢٤	دير الزعفران	دير دكوركما
٢٥	شوش	باشوش
٢٦	دفرية	دورا

٢٧	بابيرا	بيث بوري– قرير واقعة بالقرب من باقاق على الطريق بين دهوك والموصل
٢٨	بخشاش (من قرى عشيرة الشيروانين)	بيث بغاش اسم مقاطعة كنسية تقع شرقي داسن وشمال سلاخ
٢٩	آفوكي	أواخ
٣٠	شرمن	شلمث
٣١	آتوش	عطوشا
٣٢	آسين	بيث آسيا
٣٣	بيساطي	بيث ساطي
٣٤	كلاتي	قلعنوتا
٣٥	سيلان	حبوشتا
٣٦	كفرعزيل	قسطروم
٣٧	تلان	تلا
٣٨	بلان	بريلا – بريلي
٣٩	خلفت	خلفتنا
٤٠	بيبوزي	بيث بوازي
٤١	جنكو	شيكون
٤٢	عمر مندان	دير برعيتا
[illegible]	[illegible]	قرديلاباد
٤٤	ريزان	زاران
٤٥	شت كنديناوة	دير بيث نسطوريس

٤٦	صوريا	صورا
٤٧	سيان	عصان – عصيان
٤٨	أرز	هارز – أي العرس
٤٩	جسر بلبل	عين ببل
٥٠	ديرش	دير مارساوة
٥١	بوزان	بابوسا– أي لغة الطفقل أو حلقة من الجلد تربط الفدان إلى النير
٥٢	تلخش	تل حاش– أي تل الحزن
٥٣	بيبان	بيبانو – أي محل الحمامات
٥٤	ديرالوش	دير آنوش
٥٥	ديرالوك	دير لوكا – لوقا
٥٦	ديرةشيش	ديرا شيشي
٥٧	بيرسفي	بيراساوا
٥٨	شرانش	شهر آنوس
٥٩	بهيرة	البحيرة
٦٠	ملا ئومةر	باقوقا (تقع جنوب غرب اسكي كلك)
٦١	قارو	كفر قورا
٦٢	بيدار	بيث درا– أي ميدان الحرب
٦٣	فيشخابير– فيشخابير	بيث شابور

٦٤	خلفت	خلفثا
٦٥	ريزان	زاران
٦٦	ئوره	أوري بيث كوزا (*)

جدول (٤) الجبال

ت	أسم الجبل	الأسم الآرامي السرياني المرادف له
١	جبل كمكا	جبل ديرشمخ
٢	جبل بيخير	جدرون
٣	جبل كارة	جبل جورزان
٤	جبل حمرين	جبل بارما
٥	جبل مقلوب	جبل ريشا
٦	الجبل الأسود (جبل زاوة)	جبل دلياثا
٧	جبل متين	كومتا

(*) يرجى مراجعة المصادر والمراجع السريانية التالية: توما المرجي: كتاب الرؤساء، ادي شير: تاريخ كلدو واثور، يوسف حبي: تاريخ الكنيسة الكلدانية الاشورية، البيرابونا: شهداء المشرق وتاريخ الكنيسة الشرقية، مجلة نجم المشرق، مجلة بين نهرين، مجلة رينوثا.... وغيرها من المصادر.

مقترحات الآثوريين على مشروع الحكم
الذاتي لكوردستان

في سنة ١٩٧٤ تقدم لفيف من الناطقين بالسريانية (الاشوريون) بتقديم مقترح الى الرئيس العراقي الاسبق احمد حسن البكر، ثمنوا فيها دعوة القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي لهم لحضور مناقشة المشروع الذي اعدته الحكومة العراقية حول الحكم الذاتي لمنطقة كوردستان. وقد استغل الممثلون الناطقون بالسريانية (الآشوريون) هذه الفرصة لتقديم اقتراح لمنحهم الحكم الذاتي للمنطقة التي يزعمون انهم يشكلون اكثرية سكانها، وهي دهوك وانحائها، بعد ان تمنوا للشعب الكوردي بالتوفيق في تمتعه بالحكم الذاتي.

وجاء في مقترحات هؤلاء انهم سبق لهم وان قدموا مقترحاً بهذا الصدد يرجع الى سنة١٩٣٢ وتحديداً في ١٦ حزيران، حينما طالبوا لايجاد وطن قومي لهم في العراق يتكون من مناطق: زاخو ودهوك وعقرة والعمادية ، اي محافظة دهوك، وان تكون هذه المنطقة سياسياً واداريا منطقة آثورية (آشورية).

لذا من المنطقي عرض المطالب التي قدمها البطريرك مار شمعون زعيم الطائفة النسطورية (الاثورية)وبقية زعماء الاثوريين في مؤتمر سرعمادية(١) في ١٥-١٦ حزيران ١٩٣٢، وهذه المطالب هي:

١- الاعتراف بالاثوريين شعباً مقيماً(٢) في العراق وليس اقلية دينية او عنصرية.

٢- يجب إعادة مواطنهم في هكاري(٣).

---

(١) مصيف واقع في سفح او بالاحرى قمة جبل متين المقابل لمدينة العمادية من الجهة الشمالية، يبلغ ارتفاعه اكثر من ٢٢٠٠م عن مستوى سطح البحر، اتخذه المار شمعون مقراً له اعتباراً من سنة ١٩٢٢ ولغاية شهر آب ١٩٣٣ في فصل الصيف، كما كانت تتواجد فيه في فصل الصيف ايضاً حامية بريطانية، والمنطقة جميلة وخلابة تمتاز بمناخ معتدل في اكثر اشهر الصيف حرارة.

(٢) على اساس انهم في دولة اخرى وهي تركيا وان ديارهم الاصلية تقع في منطقة هكاري التي اصبحت حسب معاهدة ١٩٢٦ (خط بروكسل) وضمن الاراضي التركية.

(٣) الآثوريون يطلقون لفظة حكاري والتسمية الصحيحة هي هكاري وهي منطقة كوردية جاء ذكرها في المصادر الاسلامية القديمة.

٣- في حالة عدم تنفيذ ما جاء في الفقرة الثانية، فيجب ايجاد وطن لهم في العراق تكون ابوابه مفتوحة لجميع الاثوريين في العراق وخارجه على ان يرتب ذلك الموطن كما يلي:

آ- ان يكون من مناطق زاخو، دهوك، عقرة، العمادية، حيث تكون هذه المنطقة سياسياً وادارياً منطقة اثورية، وتكون شبه لواء ملحق بلواء الموصل، مركزه دهوك وتحت ادارة متصرف عربي ومستشار بريطاني[1].

ب- يجب تشكيل هيئة لإيجاد اراضي مناسبة وكافية مع ايجاد المبالغ اللازمة من المال، على ان تسجل الاراضي بأسماء الافراد الاثوريين[2].

ت- ترجيح الاثوريين على غيرهم في الوظائف الادارية، وتكون السريانية اللغة الرسمية لهذه المنطقة.

٤- على العراق الاعتراف بالسلطتين الزمنية (السياسية) والدينية للمار شمعون[3]، وان تمنحه الحكومة وسام الشرف للخدمات المهمة التي قدمها شعبه للعراق، وتقديم منحة سنوية له.

٥- ان يكون للاثوريين ممثل في مجلس النواب.

٦- انشاء مدارس تدرس فيها اللغتان السريانية والعربية معاً.

٧- تأسيس اوقاف لرجال الدين الاثوريين.

٨- تأسيس مراكز صحية في المنطقة الاثورية.

٩- عدم مصادرة اسلحة الاثوريين.

١٠- اذا وافقت الحكومة البريطانية والعراقية على مطالبنا لغاية ٢٨حزيران ١٩٣٢ ،

---

(١) هذه المطالب سبق وان قدمها القائد الاشوري آغا بطرس في نهاية الحرب العالمية الاولى الى بريطانيا ثم فرنسا.

(٢) كانت الحكومة البريطانية والعراقية قد اسكنتا هؤلاء الآثوريين في القرى الكوردية الاميرية في عدة مناطق في العمادية ودهوك وديانا وغيرها.

(٣) للمار شمعون سلطتين زمنية وروحية على رعيته، علماً ان البطاركة المسيحيين من شتى المذاهب لهم سلطة روحية فقط، وهذا جاء في اعتقادي لان منطقة هكاري مسقط رأس هؤلاء كانت وعرة جداً وبعيدة عن ادارة السلطة العثمانية، وكانت هذه القبائل الاثورية شديدة البأس لذا فليس من المستغرب ان تكون سلطة البطريك مارشمعون زمنية ايضاً

فأن الليفي (الليوي) الآثوري سيستمر في الخدمة وان تتم هذه الموافقة بقرار من مجلس عصبة الأمم، وتعلن كضمانات وتعهدات من قبل الحكومة العراقية ويوافق عليها ملك العراق وتبقى جزءاً من الدستور العراقي، وبخصوص خدمات الاثوريين يجب ان تقدم الشرطين الاتيين· آ) استعدادنا لتهيئة افراد لكافة – قوة دفاع طيران– علماً بأن مناخ البصرة – الشعيبة لا يليق بالاثوريين[1].

ب– تحضير فوج او اكثر باشراف ضباط اثوريين تحت أمرة ضابط عراقي وضباط بريطانيين، وتعيين داود مار شمعون كضابط ارتباط يكون مقره وزارة الدفاع ببغداد.

وبيّن الآثوريون انه في حالة تنفيذ مطالبهم فان استقالة الليفي لن تسحب، كما ان حركة الاثوريين ستزداد[2].

وقد وقع هذه الوثيقة كل من.

– المار شمعون ايشا

– المطران يوسف حنا ئيشو

– الاسقف زيا سركيس

– الاسقف يؤلاها

– ملك خوشابا ملك يوسف

– ملك زيا شمزدين

– ياقو ملك اسماعيل

– ملك خناتو التخمي

– صادق المار شموني[3]

---

(١) كان هؤلاء الآثوريون قد جندوا كليفي مهمتهم حماية القواعد الجوية للطيران البريطاني في قاعدتي الشعيبة في البصرة والهندية (معسكر الرشيد) في بغداد.

(٢) كان الآثوريون يتخوفون من ان استقلال العراق في عام ١٩٣٢ من شأنه ان يؤدي الى تسريح الآثوريين (الليفي) وانهم لن يتمكنوا من صد غارات الكورد، حيث كان سبق لليفي الآثوري ان قام بمساندة الطيران والجيش البريطاني باخماد الانتفاضات العربية والكوردية التي قامت ضد الاستعمار الببريطاني في سنوات ١٩١٩ –١٩٢٠و لغاية ١٩٢٢.

(٣) يوسف ملك خوشابا، حقيقة الاحداث الآثورية المعاصرة، بغداد ٢٠٠٠م، ص ١٥٤.

نص الوثيقة

تحية الى السيد ممثل رئيس الجمهورية المحترم
حضرات السادة المؤتمرين

اننا نثمن دعوة القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي لنا للحضور الى هذا المحل المقدس لمناقشة المشروع الذي طرح من قبل السلطة الوطنية حول منح الحكم الذاتي لمنطقة كوردستان، اننا بهذه العجالة نحيي جيشنا العراقي الباسل الذي يخوض الآن معركة المصير مع جيوش الأمة العربية لتحرير الاراضي المغتصبة من قبل ما يسمى بدولة اسرائيل ركيزة الصهيونية العالمية والامبريالية ونحيي خطوات السلطة الوطنية بالضرب على مصالح الامبريالية وذلك بالقرار المتخذ بتأميم حصة الشركتين الاميركيتين الامبرياليتين، وحيث ان تحرير الارض المغتصبة يكون كما فعلت حكومة ثورتنا الوطنية على الصعيدين الحربي والاقتصادي، واننا لعلى ثقة تامة بإنتصار جيشنا العراقي الباسل وجيوش الأمة العربية في معركة المصير.

فنحن الناطقين بالسريانية الاشوريين نذكر بهذه العجالة انه منذ القدم وفي عهد اجدادنا سنحاريب ونبوخذنصر قد قارعنا دولتي يهوذا واسرائيل واننا الان احفاد اولئك الابطال الاشوريين، ان أبناءَنا المتواجدين في صفوف الجيش العراقي والجيوش العربية الاخرى يمتزج دمهم مع دماء ابناء الشعوب العربية الاخرى لتحرير الارض المقدسة والمغتصبة من قبل الصهيونية واننا مستعدين جميعاً للتفاني في سبيل قضية وطننا الكبرى.

اما بخصوص مشروع الحكم الذاتي لمنطقة كوردستان الذي دعينا لمناقشته نتمنى مخلصين لاشقائنا الاكراد التوفيق في تمتعهم بالحكم الذاتي ضمن اطار الجمهورية العراقية.

ونحن بدورنا كممثلين للناطقين بالسريانية من الاشوريين لنا تطلعاتنا القومية ولاسيما بعد ان اخذ على عاتقه حزب البعث العربي الاشتراكي بحل المشكلة القومية في العراق حلاً سلمياً ووفاءاً منه بهذا الالتزام ومن إلتزام السلطة الوطنية نقترح ما يلي:

اقتراحاتنا على مشروع الحكم الذاتي لمنطقة كوردستان

١- نقترح على تسمية المشروع بـ(مشروع الحكم الذاتي لمنطقة كوردستان والمنطقة الآشورية من الناطقين بالسريانية).

٢- جاء في مقدمة المشروع في نهاية الصفحة الاولى ما يلي: (يطلب اجراء تعديل دستوري بإضافة فقرة جديدة للمادة الثامنة من دستور ١٦ تموز ١٩٧٠ على ان : تتمتع المنطقة التي غالبية سكانها من الاكراد بالحكم الذاتي وفقاً لما يحدده القانون.

الفقرة الجديدة الثانية – تتمتع المنطقة التي غالبية سكانها من الناطقين بالسريانية الاشوريين بالحكم الذاتي وفقاً لما يحدده القانون).

٣- فيما يخص الباب الاول الذي نظم اسس الحكم الذاتي نقترح ما يلي:

أ- بخصوص المادة الاولى فقرة (أ) يضاف اليها ما يلي: استناداً الى ما جاء في بيان مجلس قيادة الثورة المؤرخ في ١٩٧٢/٩/١٣ بخصوص الحدود الادارية للأقليات القومية وتجمعها في وحدات إدارية تظهر فيها شخصيتها القومية. ونظراً لما جاء في قرار مجلس قيادة الثورة المؤرخ في ١٩٧٢/١٢/٢٥ حول إعفاء الاثوريين من حوادث سنة ١٩٣٣ وإعادة الجنسية العراقية لهم، فعليه وحيث ان الناطقين بالسريانية الاشوريين الممثلين بـ(الاثوريين والكلدان والسريان) هم قومية واحدة، فعليه نقترح ان تكون لنا منطقة خاصة بنا.

بخصوص الفقرة (ج) من نفس المادة يضاف اليها ما يلي:

– تعتبر قيود احصاء عام ١٩٢٧ هي الاساس لتحديد المنطقة القومية للناطقين بالسريانية الآشوريين للأسباب التالية:

اولاً: بالنسبة للتعداد السكاني

أ- ان احصاء سنة ١٩٢٧ كان قبل حوادث سنة ١٩٣٣ وكان هذا الاحصاء اقرب احصاء الى تكوين الشعب العراقي كدولة حيث اعتبر قانون الجنسية ان الاقامة الدائمية من ١٩٢١/٨/٢٣ لغاية ١٩٢٤/٨/٦، يعتبر كل من كان مقيماً في حدود العراق عراقي الجنسية بالولادة.

ب- اما سبب عدم اخذنا بإحصاء سنة ١٩٣٤ فلقد كان بعد احداث سنة ١٩٣٣ التي

بسببها غادر الوطن كثير من الناطقين بالسريانية الاشوريين الى خارج العراق، ومثال ذلك خلو ٦٢ قرية في منطقة ناحية القوش وقضاء تلكيف وقضاء دهوك بسبب تلك الحوادث، حيث ان الجنسية العراقية قد اعيدت لهم في عهد الثورة المباركة بقرار مجلس قيادة الثورة المؤرخ في ١٩٧٢/١٢/٢٥ .

ت- اما سبب عدم اخذنا بإحصاء سنة ١٩٤٧ فلقد جاء بعد الحرب العالمية الثانية وحيث انه كان هنالك ازمات اقتصادية، وبنتيجة الضغط فقط اضطر قسم كبير من الناطقين بالسريانية الاشوريين الى النزوح الى المدن، وكذلك سبب عدم أخذنا بأحصاء سنة ١٩٥٧ نتيجة نزوح قسم كبير من الناطقين بالسريانية الاشوريين الى المدن وبالاخص الى بغداد والمنطقة الجنوبية، فسكن الاكراد المتسللون من تركيا وايران على الاخص وحلوا محلهم، ومثال على ذلك فأن قبل حوادث الشمال كان يسكن بغداد ٧٥٠ عائلة من الناطقين بالسريانية الاشوريين اما الان فيربو عددهم على نصف مليون نسمة.

ثانياً: بالنسبة للمنطقة اقليمياً:

أ- ان جميع القرى الاميرية اعطيت للناطقين بالسريانية الاشوريين للسكن فيها وكذلك اكثر القرى العائدة للمتركين والخالية من السكان، بدلاً من منطقة حكاري التي كانوا يسكنوها قبل الحرب العالمية الاولى.

ب- في عام ١٩٢٦ اتخذت عصبة الامم في جنيف قرار بمنح منطقة الموصل للعراق على اساس منح حقوق الاقليات والذي جاء تأكيد على قرارها المتخذ سنة ١٩٢٥ لمنح حقوق الاثوريين في الموصل طبقاً لما جاء في تقرير لجنة تخطيط الحدود العراقية التركية.

ج- اتخذت عصبة الامم في جنيف قرارها المرقم ٦٩ وبتأريخ ١٩٣٢/١٢/١٥، وبحضور معظم اعضائها قرارا بإسكان الاثوريين في مجموعة متجانسة في الموصل.

د- يقول الدكتور ولفكانك فون وايزل في وصفه وبتعبير صادق في مؤلفه (ورثة الاجيال) القضية كما يلي: (ان الملك فيصل - ويقصد فيصل الاول- والحكومة البريطانية وعصبة الامم كانوا قد قطعوا الوعود بشكل معاهدة مع تركيا في عام ١٩٢٥ بمنح الاثوريين المسيحيين الحكم الذاتي الاقليمي خال من الضرائب واية نوع من الغرامات.. الوعود التي لم يلتزم بها والتي اخذت تغوص في البؤس والشقاء اكثر فأكثر.

وهذه كانت مهمة كبيرة حتى بالنسبة لعصبة الأمم التي الزمت تركيا بتسليم مقاطعة

مهمة في شمال الموصل وتسليمها الى العراق مشترطة ان تكون موطناً قومياً للآثوريين المسيحيين. بخصوص الفقرة (٥) من المادة الاولى على ان تضاف اليها، تكون قصبة دهوك مركزاً لادارة الحكم الذاتي للناطقين بالسريانية الاشوريين علماً بأننا سبق وان طلبنا هذا الطلب منذ عام ١٩٣٢.

اما بخصوص الفقرة (ب) والفقرة (د) فحيثما وردت كلمة المنطقة فيقصد بها كل من المنطقتين – المنطقة الكوردية ومنطقة الناطقين بالسريانية الاشوريين – من حيث احكامهما.

اما بخصوص الفقرة (و) فتبقى كما هي.

ب– بخصوص المادة الثانية.

اولا– تضاف فقرة–أ– وتكون على الوجه التالي: (تكون اللغة السريانية لغة رسمية الى جانب اللغة العربية في المنطقة)

ثانياً: تضاف فقرة ثانية للفقرة (ب) وتكون على الوجه التالي: (تكون اللغة السريانية لغة التعليم في المنطقة وتدرس اللغة العربية الزامياً في جميع مراحل التعليم استناداً الى قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٢٥١ والمؤرخ ١٦/٤/١٩٧٢).

ثالثاً: تضاف فقرة ثانية للفقرة (ج) وتكون على الوجه التالي: (يجوز انشاء مرافق تعليمية في المنطقة عند تواجد العدد الكافي من القوميات الاخرى غير الناطقين بالسريانية الاشوريين وتكون اللغة العربية الزامية وتدرس اللغة السريانية فيها).

ج– اما بخصوص المادة الثالثة والمادة الرابعة فتبقى كما هي.

٤– اما الباب الثاني والباب الثالث نقترح على ان ينطبقا على المنطقتين – المنطقة الكوردية ومنطقة الناطقين بالسريانية الاشوريين.

هذه هي اقتراحاتنا المتواضعة التي نرفعها لسيادتكم المعبرة عن تضامننا مع القوميتين الشقيقتين العربية والكوردية وسائر افراد شعبنا العراقي لبناء وطن مزدهر متقدم والى الامام.

مقترحات الناطقين بالسريانية

الآشوريين

التسامح بين الاسلام والمسيحية كوردستان نموذجا

المقدمة

المسيحية إحدى الديانات السماوية الكبيرة التي لها تواجد لابأس به في المنطقة الكوردية،التي ظهرت فيها تسميات عديدة تحمل طابعا إثنيا إداريا او استيطانيا في القرون التي سبقت ميلاد السيد المسيح (عليه السلام) من علياتم الى سوبارتو الى ارمينيا وميسوبوتاميا فبلاد الاكراد الى الأثنوغرافيا الا وهي- كوردستان لقد وصلت المسيحية الى ديار الكورد في نهاية القرن الاول الميلادي وفق كتابات رجال الدين المسيحيين، وفي بداية القرن الثالث الميلادي حسب مصادر المستشرقين وعلماء السريانيات الغربين، وليس المجال هنا لبحث هذه الاشكالية حول التفاوت الزمني الذي يبلغ القرنين بين تواجد المسيحية في هذه البلاد بين التاريخين المذكورين آنفا.

الديانات السائدة في كوردستان قبل وصول المسيحية:

بعد وصول الديانة المسيحية الى كوردستان، كانت هناك ديانات عديدة سماوية وغير سماوية منتشرة بين الكورد من يهودية وزرادشتية وميثرائية ومانوية ومزدكية وغيرها، وكانت غالبية اراضي كوردستان تقع تحت سيطرة الامبراطورية البرثية (ملوك الطوائف حسب المصادر الاسلامية)، بينما كانت الاجزاء الغربية من كوردستان واقعة في المنطقة المتنازع عليها بين الامبراطوريتين البرثية والرومانية (إقليمي كوردوئين وإسراوين).

وتظهر المصادر التاريخية ان المسيحية بدات بالانتشار رويدا رويدا في شمال ما بين النهرين وكوردستان في نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الميلاديين، لذلك لم تتكون لها تنظيمات ادارية كنسية في المنطقتين المشار اليهما انفا،لذلك لم يظهر رتبة الجاثليق (البطريرك) رأس الكنيسة الشرقية في تلك الفترة حيث يذكر المؤرخ الدانماركي كريستنسن في معرض حديثه عن انتشار المسيحية في الامبراطورية البارثية وما قام به (الرسول) توما من التبشير في القرن الاول الميلادي بقوله (الخرافة تجعل سانت توماس مبشرا في بارثيا وفي اعمال توماس المنتحلة نجد أنه سار برسالته حتى بلاد الهند، ولكن هذه الاعمال ليست صحيحة من الناحية التاريخية.[١] وعندما يتطرق الى الدور

---

(١) ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة دار النهضة العربية، ص ٦٨.

السياسي المزعوم الذي لعبه المسيحيون في الامبراطورية البارثية نراه يقول (بأنه لم يكن للنصارى أي دور سياسي ايام الاشكانيين..[1]. في الوقت الذي يشير المطران ادي شير بأن الرسول مارى أخذ يطوف في بلاد حدياب وكركوك حتى وفاته في المداين (سلمان باك الحالية– جنوب شرق بغداد) سنة ٨٢م وكان قد اقام في المشرق ثلاثين سنة فأسس هناك كرسي الفطريركية في المداين (المدائن) وصار هو اول كل الأساقفة وناظر كرسي الفطريركية).[2]

الصراع الساساني البيزنطي وانعكاسه على مسيحيي كوردستان:

في عام ٢٢٦م تمكن الملك الساساني اردشير بن بابك بن ساسان من قتل الملك البارثي ارطبان الخامس ودخل العاصمة (طيسفون) ظافرا واعلن نفسه فيها شاهنشاها (ملك الملوك) بعدها بقليل اعلن ان الزرادشتية هي الديانة الرسمية للامبراطورية الساسانية[3]، وامر بجمع تعاليم زرادشت في مجلد واحد ،كما جمعت تفاسيره المعروفة باسم (الزند) وجعل له تفسيرا عرف باسم (بازند) ومنح رجال الدين صلاحيات واسعة معززا من دورهم ومكانتهم الاجتماعية في الدولة الساسانية، حيث كان الملك أردشير يعتقد ان الملك والدين توأمان لاحدهما دون لأن الدين امثل المك وعمادة ثم، صار الملك حارسا للدين فلابد بد للملك من أسه ولابد للدين من حارسه، لأن ما لا حارس له ضائع ومالا أس له فمهدوم[4].

ولقد عاش المسيحيون الكورد وغير الكورد في سلام ووئام وطمأنينة مادامت عقائدهم وافكارهم التي يحملوناها لا تؤثر في الخط العام للأمبراطورية الساسانية، ولكن الموقف تغيّر في النصف الاول من القرن الرابع الميلادي حين أصدر الامبراطور قسطنطين (Costanitin) (603-733 م) مرسوم ميلان الشهير في سنة ٣١٣م معترفا بالمسيحية كإحدى الديانات الشرعية داخل الامبراطورية الرومانية، فكان على مسيحيي الامبراطورية الساسانية ومنهم مسيحيو كوردستان ان يتحملوا تبعات هذا العمل لأن الامبراطورية الساسانية اعتبرهم بمثابة عملاء لـ (الطابور الخامس) للدولة الرومانية ومما زاد من تفاقم هذه المشكلة ان ارمينيت الدولة الحدودية بين الامبراطوريتين

---

(١) المرجع نفسه، ص ٦٨ .

(٢) تاريخ الكلدو واشور، بيروت ١٩١٣،ج ٢ ص٢ .

(٣) طه باقر: تاريخ ايران القديم، مطبعة جامعة بغداد ١٩٨٠،ص ١١٥ .

(٤) احسان عباس: عهد اردشير دار صادر بيروت ١٩٦٧، ص٢٧.

الساسانية والرومانية قد دخلت في المسيحية من خلال إعلان ملكها تيريدات الثالث (TradarIII) تنصر أرمينايا رسميا في عام ٣١٤م، ومما يؤيد هذا الاجراء تلك الرسالة التي وجها الامبراطور الساساني شاتبور الثاني (٣٠٩-٣٧٩م) الى امراء الأرمن بقوله: (عندما تعلمون بأمرنا هذا نحن الآلهة الاخرين وهو في الدرج الذي بعثناه اليكم، فعليكم ان تقبضوا على سيمون رئيس النزاريين، ولا تطلقوه مالم يرقم الوثيقة ويقبل ان يجمع جزية وغرامة مضاعفتين يؤديهما الينا عن كل النزاريين الذين يعيشون في بلاد قداستنا والذين يسكنون اراضينا، لأنا نحن الآلهة الآخرين ليس لنا غير متاعب الحرب وهم ليس لهم غير الراحة واللذات! انهم يسكنون بلادنا ويشاركون قيصر عدونا المشاعر)(١).

وقد كانت هذه الحوادث مقدمة لإشهار سيف الاضطهاد ضد مسيحي الامبراطورية الساسانية من الكورد وغيرهم دام اربعين عاما او تسعة وثلاثين، ووضعت فظائعه واهواله فيما(٢) لا يحطى من مدونات (سير واعمال الشهداء) باللغة السريانية ومما يؤكد الاضطهاد على مسيحيي كوردستان خاصة، اورده كريستينسن: ((وقد وقع الاضطهاد خاصة في ولايات الشمال الشرقي وفي المناطق المتاخمة للامبراطورية الرومانية حيث كان هناك مقاتل ومذابح كما كان هناك تشريد وفي سنة٣٦٢م نفي تسعة الاف مسيحي مع الاسقف هيليودور من قلعة فتك، في بزابدة الى خوارزم بعد الثورة(٣).

ومهما يكن من أمر فقد استطاعت المسيحية الصمود امام آلة التعذيب المجوسية الزرادشتية، ويعزو المستشرق (اسموسن) انقاذ المسيحية الى القول: «وما انقذ المسيحية في الامبراطورية الايرانية (الساسانية) من الفناء التام إلاّ لأن خلفاء (شابور الثاني) عجزوا عن الاستمرار، أو انهم لم يكونوا راغبين في مواصلة هذه السياسة الدنيئة»(٤).

وهكذا انتشرت المسيحية في الامبراطورية الساسانية ومنها موضوع بحثنا كوردستان وازدهرت كنائسها واسقفياتها حتى لقب الامبراطور الساساني كسرى اوبرويز (٥٩٠-٦٢٨) بالملك النصراني بسب تشجيعه للكثير من القيم الروحية والاخلاقية التي لها نظائر في الديانة المسيحية.

(١) جي. ب. اسموسن: فاتحة انتشار المسيحية في الشرق، نقلها الى العربية وأضاف اليها ابحاثا وملاحق وحواشي جرجيس فتح الله، ادي شير، اربيل ٢٠٠٥م ص ٣٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٥,٣٥.

(٣) ارثركريستنسن: ايران في عهد الساسانيين ص ٢٥٤ -٢٥٥.

(٤) اسموسن: فاتحة انتشار المسيحية في الشرق/٣٦.

في سنة ١٦هـ/٦٣٧ م استطاع المسلمون الفاتحون دخول العاصمة الفارسية الساسانية (طيسفون)، وحدث بعدها اول اتصال بين العرب المسلمين وبين الكورد، ونتيجة لذلك فان غالبية المدن والقرى والقلاع الكوردية فتحت صلحا فيما جرت مقاومة في بعض المناطق كشهرزور وماسبذان.

وعلى اية حال فان المسلمين قد التقوا بالمسيحين من الكورد وغيرهم كما التقوا باتباع الديانات الاخرى.

وتذكر المدونات وحوليات الكنيسة الكثير من الحقائق المتعلقة بهذا الاتصال الذي جرى على ارض كوردستان بين اتباع الديانتين السماويتين.

يقول صاحب التاريخ السعردي ان (الجاثليق ايشو عياب ارسل هدايا الى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وفي جملتها الف ستارة فضية مع جبرائيل اسقف ميسان، وكاتب الرسول، وسأله الاحسان الى النصارى، وبره الرسول بعدد من الأبل، وثياب عدنية))[١].

ومن جانب آخر فان الجاثليق نفسه الذي كان يرأس طائفة المسيحيين اثناء حكم الخلفاء الراشدين قال مانصه: ((ان العرب (المسلمين) الذين اعطاهم الله حكم العالم اليوم ليسوا اعداء النصرانية فهم يحترمون ديننا، ويكرمون القديسين والكهنة، ويساعدون الاديرة والكنائس))[٢].

وكتب المستشرق الفرنسي دوفال في كتابه تاريخ الرها: (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لايستكبرون[٣].

ومن جانب آخر فان المسيحيين الكورد وغير الكورد عاشوا جنبا الى جنب مع المسلمين الكورد وغير الكورد في جو يسوده التعاون والمودة والمصير المشترك، ولم ينغص حياتهم طيلة قرون عديدة من عهود الخلافة الاسلامية إلاّ بعض الهنات التي هي من طبيعة البشر وتتحكم فيها العوامل السياسية والاجتماعية التي تمر بها غالبية المجتمعات الانسانية.

واستمرت الأمور تسير على هذه الوتيرة حتى حل المغول بديار الاسلام وقاموا باعمال منكرة لايقرها شرع ولا قانون ولا عرف ضد المسلمين والمسيحيين وغيرهم على حد سواء وان

---

(١) مارى سليمان: اخبار فطاركة كرسي المشرق ،٦٢.

(٢) ترتون أ.س :أهل الذمة في الاسلام، ترجمة حسن حبشي، طبعة دار المعارف مصر ١٩٦٧،١٤٩.

(٣) سورة المائدة اية ٨٢ .

كان ألعتب الاكبر قد وقع على المسلمين بسبب علاقات المصاهرة بين اسرة جنكيزخان والمسيحين النساطرة فلا عجب ان كانت زوجة هولاكو خان (دوقوزخان)(١) مسيحية تتبع المذهب النسطوري، وكان عدد لا يستهان من القيادات المغولية من اتباع المسيحية.(٢)

ولكن بمجيء السفاح الاخر تيمورلنك في القرن الخامس عشر الميلادي وقيامه بأعمال فظيعة فاقت ما قام به اسلافه المغول جعلت المسيحيين ينكفِئون على انفسهم ويحاولون بشتى السبل ايجاد مأوى لهم خوفا من خطر الانقراض والابادة، لذلك تركوا السهول المحيطة بمدينة الموصل وغادروا الى الجبال الكوردية في منطقة هكارى (كوردستان تركيا) حيث المأوى والملجأ الامين بين ظهراني الكورد المسلمين، كما فعلوا في السابق عندما هربوا من البيزنطيين بتهمة الهرطقة والخروج على تعاليم الكنيسة.

العلاقات الاسلامية المسيحية في كوردستان في العصر الحديث

في بداية القرن السادس عشر حدث صراع عنيف بين الدولة العثمانية السنّية من جهة والدولة الصفوية الشيعية من جهة اخرى على مناطق النفوذ في الاناضول وأذربيجان وكوردستان، بلغت ذروتها في نشوب معركة جالديران عام ١٥١٤ م التي اسفرت عن خسارة الدولة الصفوية الحرب وتقسيم كوردستان الى قسمين: القسم العثماني والقسم الصفوي، وابتدأ من ذلك الوقت تاريخ جديد للمنطقة برمته.

فالعلاقات الاسلامية المسيحية ابتدأت من ذلك الوقت تاخذ منحى اخر سواء في كوردستان او في باقي الولايات التابعة للدولة، فالعثمانيون كانو في حالة صراع مستمر مع روسيا القيصرية والدول الأوربية بحكم عوامل الصراع الديني الذي كان يلف العلاقات الدولية انذاك وان كانت بعض سماته تحمل طابعا سياسيا او اقتصاديا او غير ذلك. وبشأن موضوع بحثنا فان المسيحية في كوردستان العثمانية الفارسية تمثل آنذاك في شكل شرقي قديم (كنيسة الشرق) التي تفرع منها: النساطرة حسب مقررات مجمع أفسس عام ٤٣١م، والسريان حسب مقررات مجمع خلقدونية ٤١٥م كما كان يعيش الى جنب الكورد واحيانا بين أظهرهم طائفة الأرمن ولم تكن الكنائس الاتحادية قد ظهرت بعد او كان أقل تقدير في منطقة كوردستان، فالموازنة اللبنانيون اتحدوا مع الكنيسة

(١) ابن العبري تاريخ الزمان، نقله الى العربية اسحق ارملة قدم له الاب الدكتور جان موريس فييه، دار المشرق بيروت ٢٩٨، ١٩٩١.

(٢) عباس اقبال: تاريخ المغول، ترجمة عبدالوهاب علوب المجمع الثقافي للامارات، (د.ت)، ص ٢١٤.

الكاثوليكية في وقت سابق على هذا التأريخ.

ومهما يكن امر فان الكنائس الاتحادية (من فعل (اتحد–to unite) (اتحادي union) وهي جماعات انفصلت وانشقت في اوقات وظروف مختلفة عن الكنائس الميسحيية الشرقية، ودخلت في اتحاد كنسي(عقيدي) مع الكنيسة الرومانية – الكاثوليكية– وهي تخضع بشكل عام للسطلة العليا لبابا روما وللزعامة الكنسية الكاثوليكية في الفاتيكان، معترفة بالعقائد الكاثولكية، مع الاحتفاظ في الوقت نفسه باستقلاليتها الداخلية (أشبه مايكون بالحكم الذاتي– ان صح التعبير) وتنظيمها الكنسي وطقوسها التقليدية واللغة الوطنية لليتورجيات، وممارسة شعائر العبادة والخدمة الدينية.

وقد تفرغ عنهم في كوردستان من الكنيسة النسطورية– الكلدان المتحدون الذين شكلوا كنيسة الكلدان حيث يتبعها مسيحيو الكاثوليك. ان هذه التفرعات الكنسية أدّت الى تزايد عدد الطوائف المسيحية في الدولة العثمانية بصورة عامة وفي كوردستان بصورة خاصة فأصبح عدد الكنائس المسيحية على الوجة الآتي:

١– الكنيسة النسطورية (الاشورية)

٢– الكنيسة الكلدانية.

٣– كنيسة السريان الارثوذوكس

٤– كنيسة السريان الكاثوليك

٥– كنيسة الارمن الطرطوريين (الأرمن القديم)

وتعد الكنيسة الكلدانية هي الاكبر من بين تلك الطوائف على اقل تقدير في كوردستان فهم يضمون الجزء الاكبر من مسيحيي كوردستان أي (٨٠٪).

العلاقات من التسامح الى التصادم

يذكر الدكتور جورج قرم في دراسته السوسيولوجية الفنية المتسمة بالتحليل العميق والتوثيق الكبير ان شبكة المدارس المسيحية التي أقامتها الدول الاوروبية في ارجاء الامبراطورية العثمانية ما لبثت ان تحولت الى بؤر للنزاعات الطائفية الانعزالية.

وان الثقافة التي لقنت لأبناء الاقليات كانت ترمي الى كسبهم لمعسكر الغرب وقيمه بطريقة غير مباشرة، وهذا ما أدى الى حدوث تنافس وصراع بين الاقليات المسيحية والغالبية الاسلامية.

ان هذا ينطبق على الوضع في كوردستان، فانها لم تشهد مثل هذه الظاهرة إلاّ في الثلث

الاول من القرن التاسع عشر بعد وصول البعثات التنصيرية (التبشيرية) التي جاءت من امريكا واوربا بقصد ادخال القيم الغربية في المجتمعات الاسلامية ومحاولة التأثير على رعايا كنائس المشرق الخلقدونية وغير الخلقدونية فحدثت عمليات احتكاك وتنافس وصلت الى مرحلة الصراع والحرب وحدوث المآسي والكوارث التي لم تشهد كوردستان مثلها في غابر الايام، فجرت في سنوات الاربعينات من القرن التاسع عشر مصادمات بين امارة بوتان الكوردية بزعامة الامير بدرخان بك وبين القبائل النسطورية بقيادة البطريرك في سنوات ١٨٤٣- ١٨٤٧ أدت الى حدوث ما لا تحمد عقباه، واتهم كل طرف الآخر بأنه المسؤول عن هذه الحوادث رغم ان سير الامور يشير الى ما فيه الكفاية بأن بعض الدبلوماسيين والرحالة والمبعوثين القادمين من اوروبا ومن رجال الكنيسة الانكليكانية (الانكليزية) هم سبب هذه الحوادث، وهم (رجال الدين من اتباع الكنيسة الانكليكانية) التي اوحت الى اتباع كنيسة المشرق النسطورية بأنهم ليسوا الا اتباع الاشوريين العظام الذين حكموا العالم القديم لحقبة تقدر بألف عام إنطلاقا من عواصم اشور ونينوى وخرسباد ونمرود، واستمرت هذه الاشكالية تفعل مفعولها السحري حتى قبيل الحرب العالمية الاولى حيث كانت هناك مصادمات بين القبائل الكوردية من جهة وبين القبائل النسطورية المستقلة المنضوية تحت راية المارشمعون والتي تقع ديارها في منطقة هكاري واجزاء من منطقة بهدينان لأسباب عديدة كالمراعي او الحيازات الزراعية او غير ذلك.

وكانت الدولة العثمانية بحكم انها دولة مسلمة تساند رعاياها المسلمين على أساس أن الاخرين كانوا متقوين بالجانب الاوروبي المسيحي سواء من الانكليز او الروس وهكذا ظهر معسكران متضادان في الدولة العثمانية مع بعض زعماء القبائل الكوردية وبعض علماء الدين الاسلامي من جهة والقبائل النسطورية (التيارية - الاثورية - الاشورية) مدعومين من جانب روسيا وبريطانيا (المبعوثين والقناصل) من جهة اخرى، في الوقت الذي كانت آليات الصراع تجري ضمن سياق آخر فكانت بعض القبائل الكوردية ومثلها بعض القبائل المسيحية النسطورية تقف مع بعض ضد تكتل قبلي كوردي مسيحي اخر بسبب مشاكل الرعي والزراعة والمياه.

واستمر الأمر على هذه الشاكلة إلاّ أن دخل الدين في الصراع فصدرت فتاوي من الجانبين الاسلامي والمسيحي تبيح دم الآخر، وحدثت انتهاكات من الجانبين الاسلامي والمسيحي فهما براء براءة الذئب من دم يوسف ولكنها السياسة وألاعيبها واستغلال الاخرين من اجل كسب النفوذ والسلطة والمال ليس إلاّ.

العلاقات من التنافس والتصادم الى الحوار والتفاهم

رغم الالام والمحن التي اصابت المجتمع الكوردستاني بمسلميه ومسيحييه، فإن صيحات العقلاء والحكماء سرعان ما سادت الساحة، فالجميع ابناء هذا الوطن ولهم الحق في العيش سوية تحت ذرى هذه الجبال الشماء، ولنذكر مثالا على ذلك من شيخ بارزان كان يرويه المستشرق الاسكتلندي دبليوويكرام: «كان يوجد نزاع قبلي طويل الامد بين قبيلة (التخوما-نسطورية) وبين جيرانهم الكورد المسلمين تفجرت براكينه مؤخرا (بداية القرن العشرين) وبات ينذر بشر مستطير، وحاول الطرف المسلم محاولات غير صحيحة لإقناع اخوانه الاخرين في الدين بالانضمام اليه لشن حرب (جهاد)، ولقد أصبنا براحة عندما علمنا ان شيخ بارزان (الشيخ الشهيد عبدالسلام الثاني بن الشيخ محمد) تدخّل لفض النزاع تدخلا جدّيا حازما بعد ان رفض الموافقة على (الجهاد) رفضا قاطعا، ومنع اتباعه ومريديه من التدخل...» كما يذكر ويكرام حادثة اخرى حول نبل وسماحة وتسامح الشيخ عبدالسلام الثاني البارزاني تجاه المسيحيين، فقد كانت قبيلة الهركية الرحالة تقوم بسلب اغنام القرى المسيحية المسالمة وهي في طريقها الى مرابعها في الزوزان (كوردستان تركيا) فما كان من الشيخ إلاّ أن ارسل رجاله لإعادة الغنائم المنهوبة الى سكانها المسيحيين وهذا ما دعاهم الى اعطائه لقب شيخ النصارى وقد ردّ هؤلاء المسيحيين الجميل للشيخ عبدالسلام فعندما كان يحاول الاختباء هربا من ملاحقة السلطات العثمانية له بسبب مطالبته للحقوق السياسية والثقافية لشعبه، التجأ الشيخ عبدالسلام الى منطقة هكاري حيث ديار مساكن القبائل التيارية المسيحية القوية الشكيمة وحصل على ملجأ آمن عند احد زعماء العشائر التيارية، وعندما دخل احد الضباط العثمانيين الى مجلسه وسأله عن الشيخ عبدالسلام البارزاني، فقال كما تراه فانا آراه في اسلوب راق بعيد عن الكذب ومن جانب آخر فان بعض الرحالة والقناصل ذكروا في كتبهم ومذكراتهم بان الكورد قاموا بعمل مجازر ضد المسيحيين وبهذا صبوا النار على الزيت، وللرد على هذه المهاترات نُذكّرهم بأن البابا بيوس الحادي عشر ما كان ليمنح ميدالية السلام لأحد الزعماء القبليين الكورد في منطقة زاخو لولا ان الشيخ وغيره دافعوا عن المسيحيين، وتذكر المدونات المسيحية كيف ان سعيد اغا الدوسكي وحاجي اغا الارتوشي والشيخ نوري البريفكاني دافعوا عن المسيحيين وحموهم من هجمات الغوغاء الذين كانوا يبغون الشر بالمسيحيين المسالمين ابان حركات آب ١٩٣٣.

أما إذا قامت الدولة التركية بعمليات عسكرية دموية ضد الارمن والسريان بحجة وقوفهم الى جانب اعدائها، فان الكورد لا يتحملون أية مسؤولية تجاه هذه الاعمال لأنهم لم يكونوا سادة انفسهم وانما كانوا رعايا للدولة.

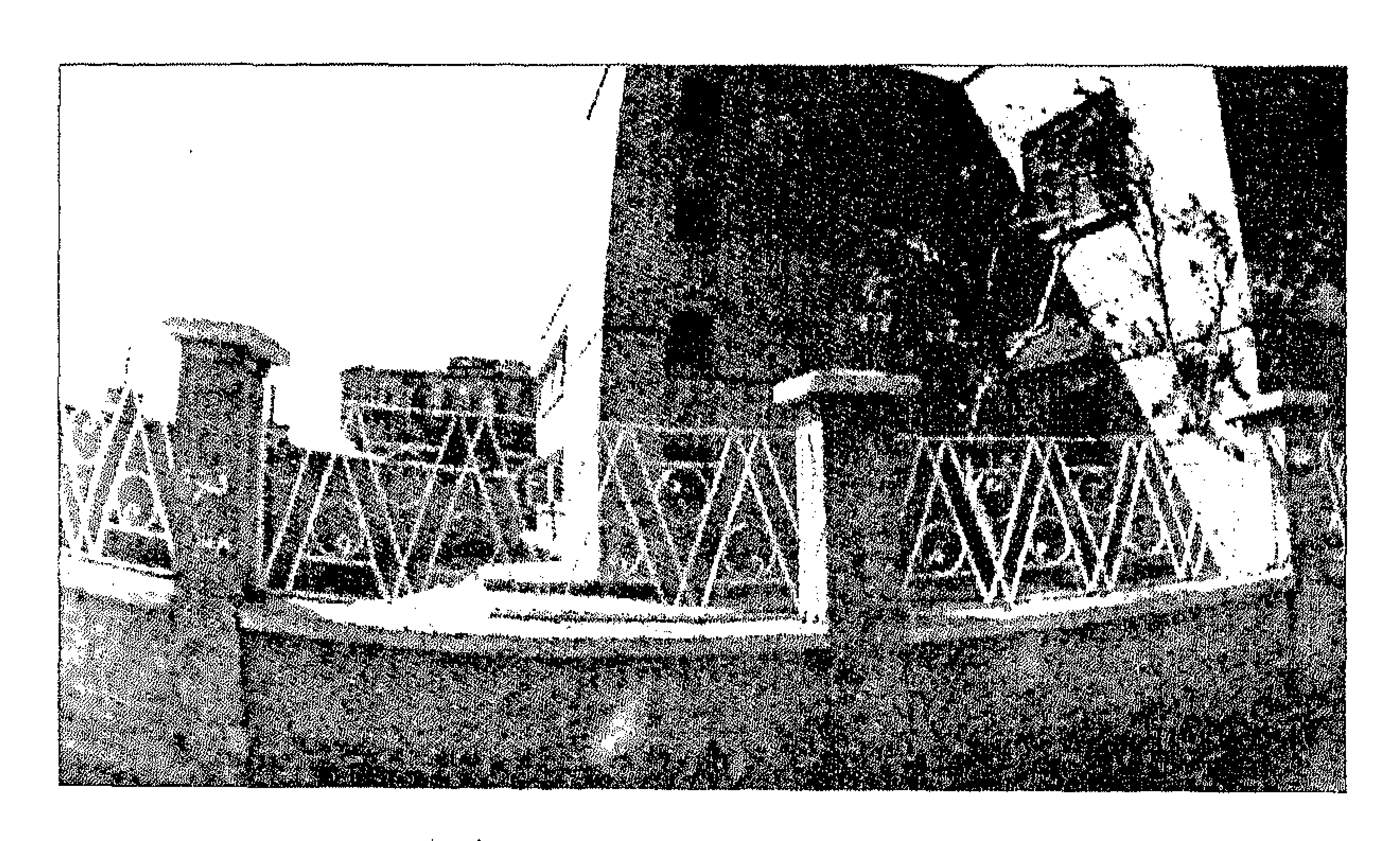


السير ساسون حسقيل

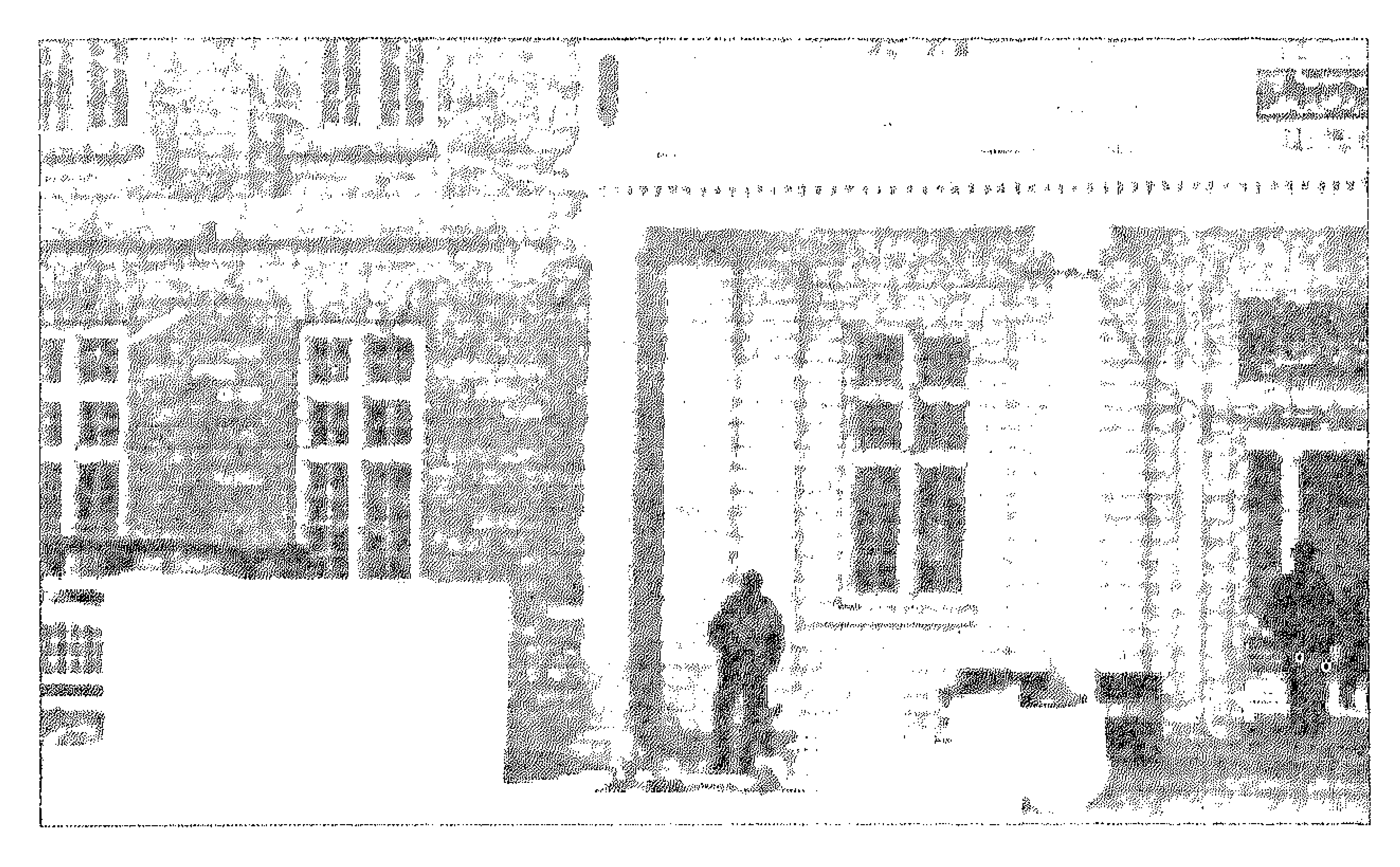
اول يهودي يتبوأ منصب وزير مالية في العراق



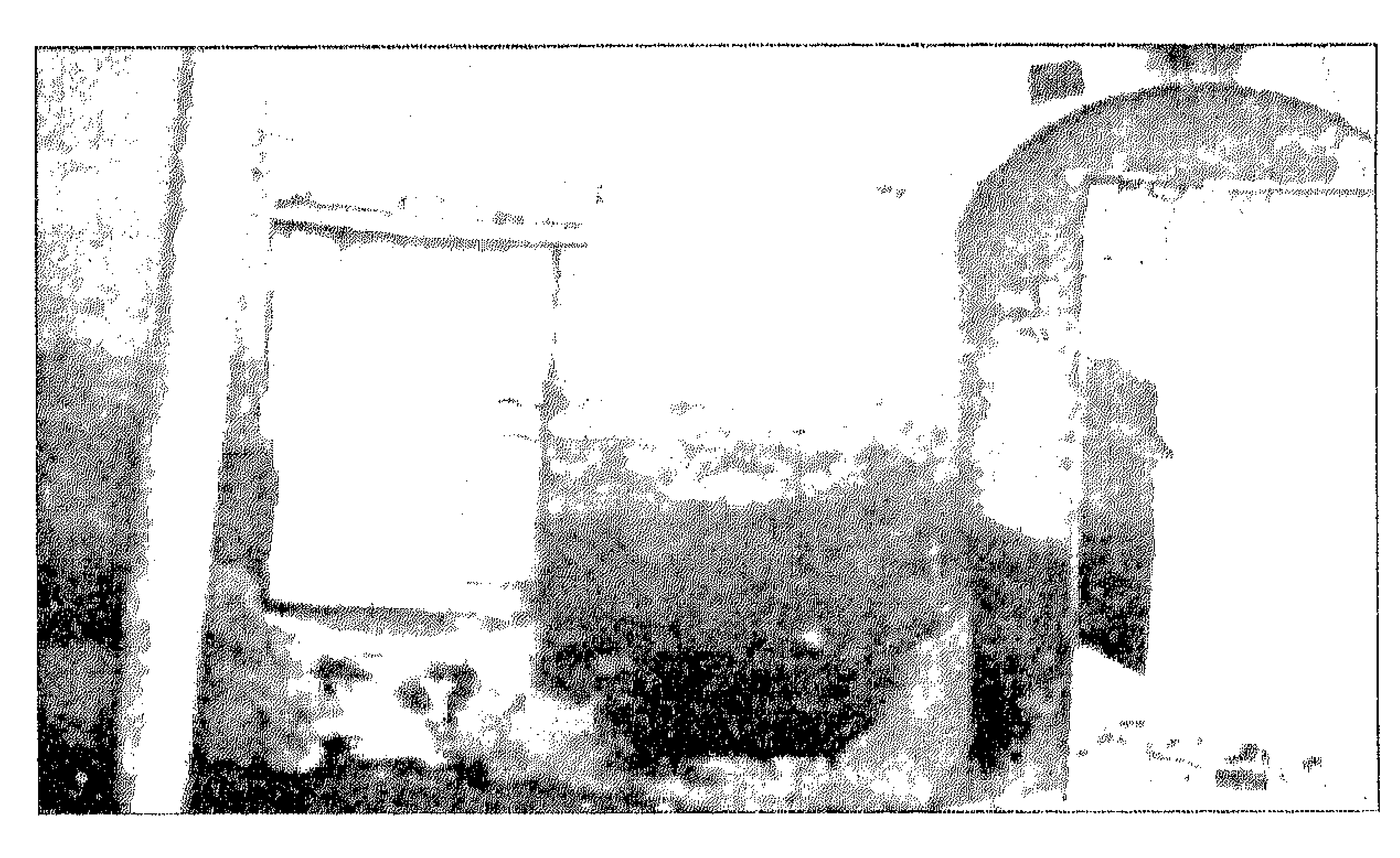
الملك فيصل الاول مع زعماء الطائفة اليهودية في العراق



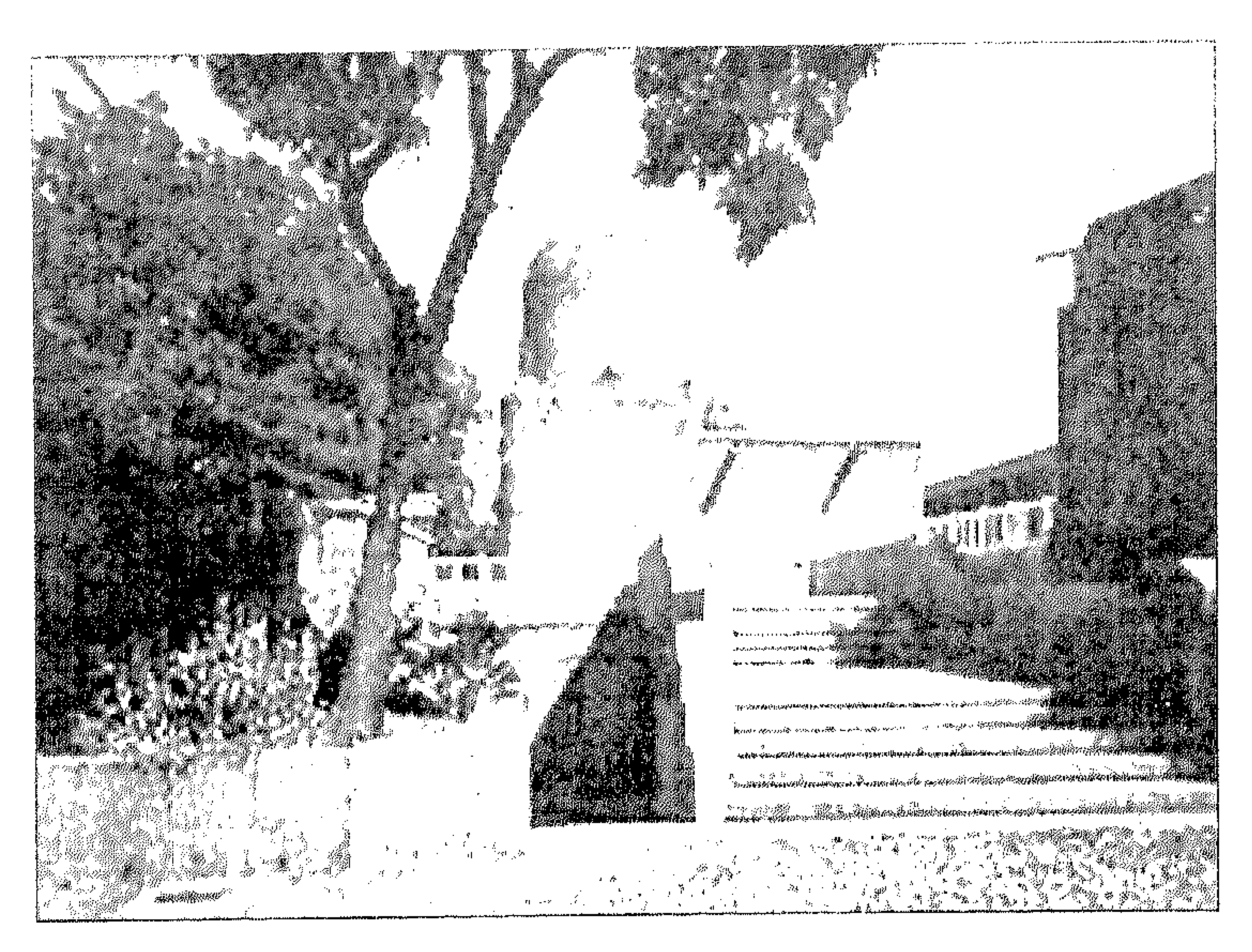
مدرسة سيلاس حضوري في مدينة كركوك



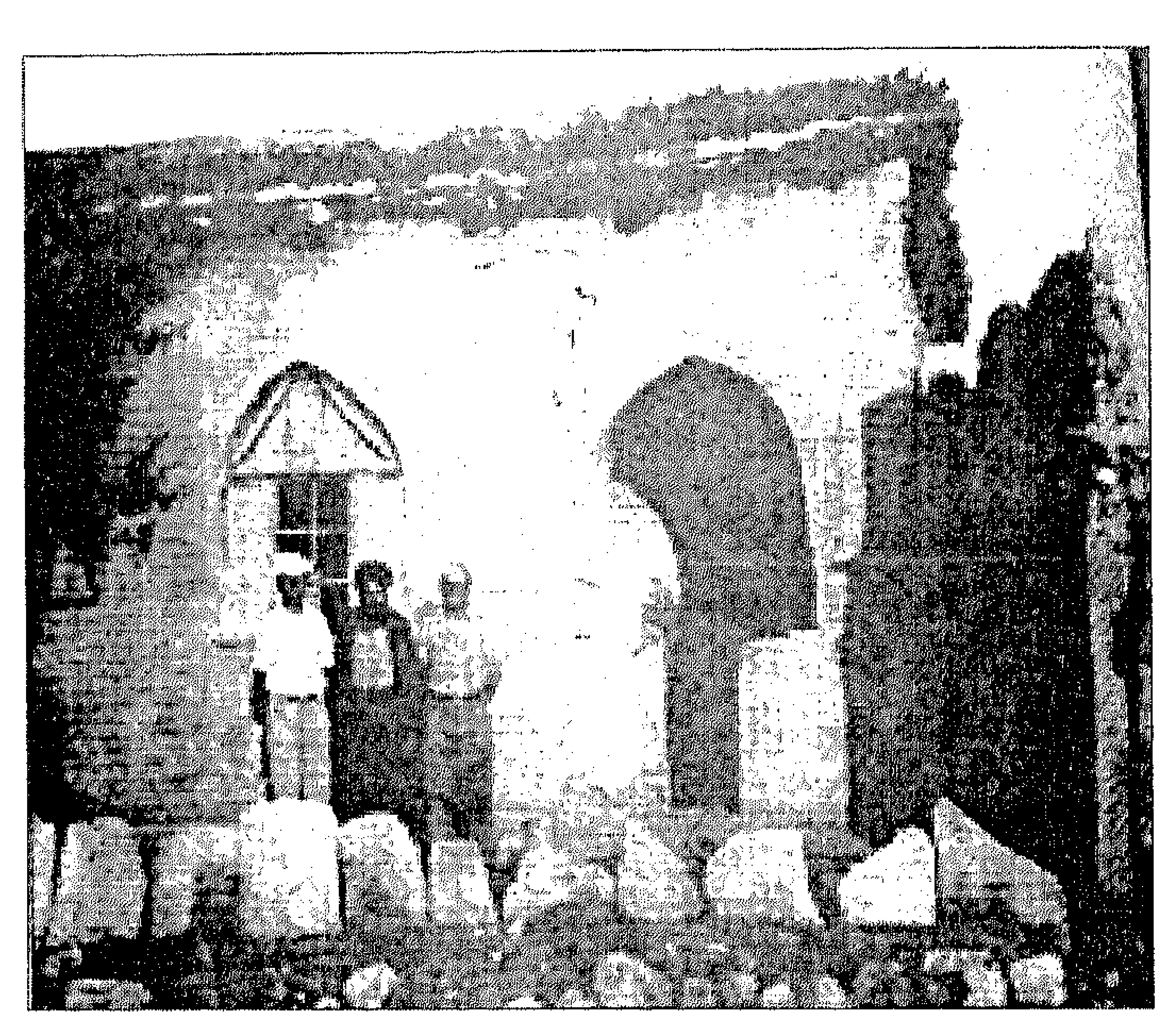
بناية مدرسة هوراس حضوري في مدينة كركوك



بناية لمدرسة اليهود في مدينة اربيل – محلة تعجيل اليهود



قبر ستير و عمها مردخاي في مدينة همدان – ايران



ضريح (حزان ديفيد) في آميدي، كوردستان العراق يزوره

الحجاج اثناء عيد شافوعوت

الفهرست

مطبعة مؤسسة



أربيل - كردستان
Aras Press
Kurdistan - Erbil